المعجزات الصحية في السنة النبوية

دلائل علمية معاصرة

تأليف

الدكتور/صالح بن عبد القوي السنباني

الدكتور/ عبد الوهاب مهيوب عامر

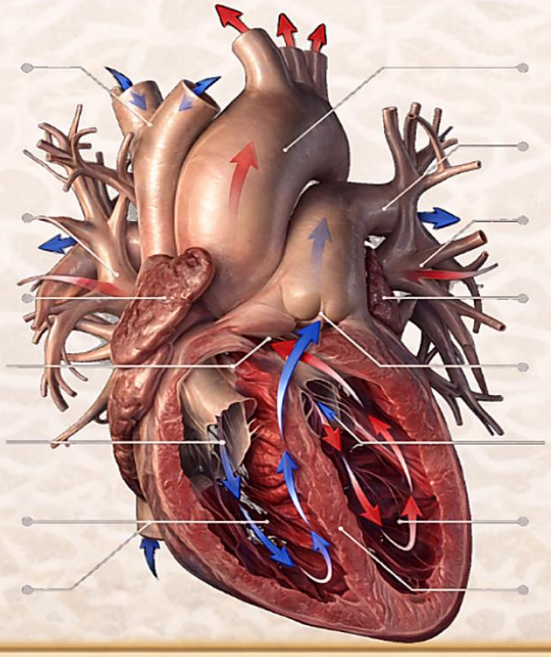

المعجزات الصحية في السنة النبوية

دلائل علمية معاصرة

تأليف:

الدكتور/صالح بن عبد القوي السنباني

الدكتور/ عبد الوهاب مهيوب عامر

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي طريقة من طرق الطبع والنقل والتصوير والترجمة والتصوير الضوئي أو الانتاج المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها إلا بإذن خطي من الناشر وتستثنى الاستشهادات لأغراض البحث العلمي مع الإشارة إلى المصدر على نحو ما تقتضي الأعراف العلمية.

ALL RIGHTS RESERVED
No part of this book may be reproduced, stored in any retrieval system or otherwise, without prior written permission from the PUBLISHER except quotations for research purposes in which the source is cited in a proper scientific acknowledged way.

عنوان الكتاب: المعجزات الصحية في السنة النبوية دلائل علمية معاصرة
The book title: Health Miracles in the Prophetic Sunnah: Contemporary Scientific Evidence

تأليف:
الدكتور/صالح بن عبد القوي السنباني
الدكتور/ عبد الوهاب مهيوب عامر

AUTHORS:
Dr. Saleh bin Abdulqawi Al-Sunbani
Dr. Abdulwahhab Mahyoub Amer

النشر عام: 2026/1447
Publication year: 1447/2026

Page Size: 16cm × 23cm

Cover Design: Alaa Abdulwahhab

EISBN: e ISBN 978-629-99491-5-2

PUBLISHER: Albayan Academy for Quranic Education
Reg. No: 1318699-K
Address: Taman Berjaya, 43000 Kajang, Selangor

أكاديمية البيان للتعليم القرآني
ALBAYAN ACADEMY FOR QURANIC EDUCATION
+601111008036
albayan.aqe@gmail.com
albayanaqe.com
@manasahbayan
@albayanaqe

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من تمكن من العلوم؛ ليسقي طلابَه علمًا وفكرًا وثقافة..

إلى من يحب الحياة للإنسان، ويحمل لواء الأخلاق الحسنة..

إلى من ضحى بوقته وجهده في حمل منارات العلم والإرشاد..

إلى من يمتلك عَرَضا من الحياة؛ فأعطى وأجزل في العطاء..

إلى من يقفُ على قمَّة المجد يقدم نفسه وأنفاسَه في العزّةِ والإباءِ..

إلى الأرواحِ المليئةِ بالقيم العالية، والمسيرة المحفوفة بكل عوامل النجاح..

نهدي هذا الجهد بتواضع.

المُقَـدِمَةُ

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدىً للناس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان، وجعل في سنّة نبيه -صلى الله عليه وسلم -البيانَ العمليَّ لهدي الوحي، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ المبعوث رحمةً للعالمين، الذي أرسى للإنسانية منظومةً متكاملةً تحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد فإنَّ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يشكّلان مصدر الهداية للإنسان في كل زمان ومكان، ولم يكن خطابُهما قاصرًا على الجوانب التعبدية المحضة، بل تجاوز ذلك إلى بناء الإنسان جسدًا وروحًا وعقلًا، وإقامة أسس الوقاية الصحية، والتوازن النفسي، والسلامة العامة، وحماية البيئة، في منظومةٍ تشريعية متكاملةٍ سبقت الاكتشافات العلمية الحديثة بقرون طويلة، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: 53]. فالإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ميدانًا معرفيًا يكشف عن وجوهٍ من الإعجاز المتجدّد، ويبرز التلاقي العجيب بين الوحي الإلهي والحقائق العلمية الثابتة، ووفق ضوابط علمية ومنهجية راسخة استمدها العلماء من منهج السلف الصالح ، ويأتي هذا الكتاب الموسوم بـ« **المعجزات الصحية في السنة النبوية دلائل علمية معاصرة** » ليسهم في إبراز جانبٍ مهمٍّ من الإعجاز، وهو البعد الصحي والوقائي في التشريع الإسلامي، حيث تتجلّى عظمة الوحي في بناء منظومة شاملة تقوم على مبدأ الوقاية قبل العلاج، وصيانة الإنسان من المهلكات، وتحقيق السلامة الفردية والمجتمعية، في انسجامٍ تام مع المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية. وقد سعى الكتاب إلى بيان أن الدلائل القرآنية والنبوية في مجالات الطهارة والنظافة، والغذاء والسلوك الصحي، والصحة النفسية والجسدية، وحماية البيئة بتشريعات وقائية ذات دلائل علمية وصحية دقيقة، أثبت العلم الحديث حكمتها وآثارها الإيجابية على صحة الإنسان وسلامة المجتمع، وقد اعتمد الكتاب منهجًا علميًا تكامليًا يقوم على

التأصيل الشرعي للنصوص القرآنية والحديثية ذات الصلة بالإعجاز العلمي والصحي، والتحليل الاستقرائي للنصوص وربطها بالحقائق الطبية والعلمية الثابتة، مع الالتزام بضوابط الإعجاز العلمي وتجنّب التكلف أو ربط النصوص بالنظريات المتغيّرة، والاستفادة من جهود العلماء المتقدمين والمعاصرين في فهم النصوص واستنباط دلائلها. فـ«الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها" (الترمذي، برقم: 2687، وضعفه الألباني). وقد توزّع الكتاب على ستة فصول رئيسة، بدأها بمدخلٍ تأصيلي للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وبيان مشروعيته وحجيته ومنهجه، ثم انتقل إلى التطبيقات العملية لهذا الإعجاز في مجالات الطهارة والنظافة الجسدية، والتغذية والسلوك الغذائي، والصحة النفسية والجسدية، والتحصين من المهلكات، وحماية البيئة والسلامة العامة، في عرضٍ يجمع بين النص الشرعي والتحليل العلمي، ويبرز شمولية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان. ويسعى هذا الكتاب إلى تحقيق جملةٍ من الأهداف، من أبرزها تعزيز الإيمان بالوحي الإلهي ومصدرية القرآن والسنة، وإبراز سبق التشريع الإسلامي في مجال الصحة الوقائية، والردّ على الشبهات المثارة حول تعارض الدين مع العلم، وتوجيه الباحثين والمهتمين إلى منهج علمي منضبط في دراسة الإعجاز العلمي، والإسهام في بناء وعيٍ صحيٍّ إسلاميٍّ معاصر يستلهم هديه من الوحي. فالله سبحانه خلق لنا أدوات العلم التي نتعلم بها ونحن لا نزال في بطون أمهاتنا كما قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:78]، وبدون هذه الأدوات التي جعلها الله لنا لا نستطيع كسب أي علم، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام:46] ، فحين خلق الله لنا أدوات العلم التي يريد لنا بها أن نسمع ونرى ونعقل لنكتسب العلم، أراد أن يكون أول علم يجب أن نعلمه هو: أن نعلم أنه لا إله إلا هو، وأن نعلم صفاته سبحانه، وأن نعلم أن محمداً رسوله الذي أرسله إلينا هادياً ومبشراً ونذيرا، وأن نعلم الدين الذي ارتضاه لنا، وأن نعلم مستقبلنا الذي نسير إليه بعد الموت وخروجنا من الحياة الدنيا، وهذه العلوم لا تعلم على الوجه الصحيح إلا بتعليم يأتينا من الله الذي خلقنا، وأحيانا، ويميتنا، ويبعثنا بعد موتنا، لذلك

أرسل الله الرسل للبشرية بألسنة أقوامهم لتبين الحق فتتحقق لهم حرية الاختيار في هذا الامتحان، فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ،كما قال سبحانه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [ابراهيم:4]، فلا يبقى لأحد من البشر عذر يعتذر به وحجة يتعلق بها، كما قال تعالى : ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [النساء:165]. والعلم بالرسول وتصديقه هو مفتاح الهدى والفوز في الدنيا والآخرة، ولكن إيماننا بالرسول -صلى الله عليه وسلم -لا يتحقق إلا إذا عرفنا أدلة صدقه وبراهين رسالته. ولذلك لم يترك الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين على ما هم عليه من الكفر، بل تأتيهم البينة والمعجزة المصدقة للرسول- صلى الله عليه وسلم- كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ، رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً، فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة:1-3]. وقد جعل الله الآيات البينات والمعجزات شهادات إلهية أيد الله بها رسله حتَّى لا يكذبهم الناسُ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:25]. وتحدى الرسل قومهم أن يأتوا بمثلِ ما جاءَهم من المعجزات التي يعجز أمامها البشر، حتى يصدقوا بالرسول، ويعلموا أنه مرسل من عند الله، كالبينات والمعجزات التي أيد الله بها موسى- عليه السلام- والتي حولت سحرة فرعون الذين قالوا لفرعون قبل مواجهتهم مع موسى عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء:41-42]. فقد أجابهم فرعون لما طلبوا من الأجر، وزادهم بجعلهم من المقربين، ولما ألقوا حبالهم وعصيهم، وجاءوا بسحر عظيم استرهبوا به أعين الناس، أمر الله موسى أن يلقى عصاه، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء:45-48]. فانقلب السحر على الساحر، وأسقط أمر فرعون، فتوعد السحرة بالقتل والصلب، قال تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء:49]. فكان الرد مع الإيمان الذي وقر في قلوب السحرة بعد رؤية البينة والمعجزة، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه:72]. فالآية البينة والمعجزة هي التي جعلتهم يؤمنون برسالة موسى- عليه السلام- ويصدقونه، فهانت الحياة الدنيا عليهم أمام وعد الآخرة، وهان الموت أمام صدق الإيمان. وكذلك فإن بينات الرسول -صلى الله عليه وسلم - ومعجزاته هي التي نقلت الصحابة من الكفر والتكذيب إلى الإيمان واليقين، فقد كانوا في الكفر والتكذيب ورموا رسول الله -صلى الله عليه وسلم -بالسحر والكهانة والشعر والافتراء، وصاروا بعد الإيمان والتصديق يتسابقون لامتثال أمره ويهتفون قائلين: "فداك أبي وأمي، يا رسول الله" فعن أبي ذر- رضي الله عنه- قال: "انتهيت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم - وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رآني ، قال: " هم الأخسرون ورب الكعبة " ، قال: فجئت حتى جلست، فلم أتقار أن قمت فقلت: "**فداك أبي وأمي، يا رسول الله**" من هم؟ قال: " هم الأكثرون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، وقليل ما هم" (البيهقي ، برقم: 9903)، فما يقوله النبي -صلى الله عليه وسلم - من دلائل الإعجاز العلمية؛ يظهر بيانه ويتحقق وقوعه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3-4]. والحقائق العلمية تؤكد أن هذا القرآن تنزيلٌ من رب العالمين نزل به الروح الأمين، لا يمكن أبدا أن يكون من قول بشرٍ أو افتراء أحد، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:37].

المحتـــويات

الموضـوع	الصفحة
إهداء	4
المقدمة	5
المحتويات	9
الفصل الأول: مدخل إلى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة	**14**
المبحث الأول: مصطلح المعجزة العلمية في القرآن والسنة	15
المبحث الثاني: مناسبة الإعجاز العلمي لزمن الرسالة الخاتمة	19
المبحث الثالث: الوعد الإلهي بظهور البينات القرآنية	22
المبحث الرابع: تجلي الإعجاز في عصر الاكتشافات العلمية	24
المبحث الخامس: أوجه الإعجاز العلمي المعاصر وضوابطه	29
الفصل الثاني: حجية الإعجاز العلمي في ضوء منهج السلف والمفسرين	**33**
المبحث الأول: إعداد الصحابة لحمل الرسالة	34
المبحث الثاني: دقة توثيق الصحابة والتابعين للأحاديث النبوية	41
المبحث الثالث: أعظم منهج علمي في نقد الرواية	45
المبحث الرابع: أبحاث الإعجاز في ضوء منهج السلف	48
المبحث الخامس: أهمية أبحاث الإعجاز العلمي وثمارها	50
الفصل الثالث: دلائل الإعجاز العلمي الوقائي في الطهارة والنظافة الجسدية	**53**
المبحث الأول: دلائل الإعجاز العلمي الوقائي في الطهارات التعبدية	**54**

الموضـوع	الصفحة
وأثرها الصحي	
أولا: دلائل الإعجاز العلمي في غسل اليدين خارج الإناء قبل الوضوء عند الاستيقاظ	55
ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي في الوضوء	56
ثالثا: دلائل الإعجاز العلمي في غسل يوم جمعة	61
رابعا: دلائل الإعجاز العلمي في التيمم	64
المبحث الثاني: دلائل الإعجاز العلمي الوقائي في سنن الفطرة والنظافة الشخصية	66
أولا: دلائل الإعجاز العلمي في الختان	68
ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي في إعفاء اللحية وقص الشارب	70
ثالثا: دلائل الإعجاز العلمي في سنة السواك	72
رابعا: دلائل الإعجاز العلمي في الاسْتِحْدَادُ ونتف الإبط	81
خامسا: دلائل الإعجاز العلمي في قص الأظافر	82
سادسا: دلائل الإعجاز العلمي في غسل البَراجِمُ	85
سابعا: دلائل الإعجاز العلمي في نظافة السبيلين والتخلص من الفضلات	86
ثامنا: دلائل الإعجاز العلمي في نظافة الثياب وطهارتها	88
الفصل الرابع: دلائل الإعجاز العلمي في الأطعمة الصحية والسلوك الغذائي	92
المبحث الأول: دلائل الإعجاز العلمي الأغذية الصحية النافعة	93
أولا: دلائل الإعجاز العلمي في الاستشفاء بالعسل	94
ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي في الاستشفاء بماء زمزم	97
ثالثا: دلائل الإعجاز العلمي في غذاء اللبن	101

الموضـوع	الصفحة
رابعا: دلائل الإعجاز العلمي في الرضاعة حولين كاملين من لبن الأم	104
خامسا: دلائل الإعجاز العلمي في زيت الزيتون	108
سادسا: دلائل الإعجاز العلمي في التصبح بالتمر	111
سابعا: دلائل الإعجاز العلمي في التداوي بالعجوة	115
ثامنا: دلائل الإعجاز العلمي في الحبة السوداء (حبة البركة)	117
تاسعا: دلائل الإعجاز العلمي في السنا والسنوت	125
عاشرا: دلائل الإعجاز العلمي في الاستشفاء بالقسط الهندي	127
الحادي عشرة: دلائل الإعجاز العلمي في اليقطين دواء السقيم	130
المبحث الثاني: دلائل الإعجاز العلمي في الصحة والسلوك الغذائي	135
أولا: دلائل الإعجاز العلمي بتغطية الإناء وإيكاء السقاء	136
ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن الإسراف في الطعام والشراب	138
ثالثا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن أكل الطعام الحار	143
رابعا: دلائل الإعجاز العلمي في الشرب مصًّا والتنفس خارج الإناء ثلاثًا	144
خامسا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن الشرب والأكل واقفًا	145
سادسا: معجزة النهي عن النفخ في الشراب أو التنفس فيه	147
سابعا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن الشرب من ثلمة القدح	148
ثامنا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن الشرب من في السقاء	150
تاسعا: دلائل الإعجاز العلمي في المضمضة بعد الطعام	151
عاشرا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن النوم بعد الطعام مباشرة	152
الفصل الخامس: دلائل الإعجاز العلمي في الصحية النفسية والجسدية	155
المبحث الأول: دلائل الإعجاز العلمي في الصحة النفسية	157
أولا: دلائل الإعجاز العلمي بإسعاد الإنسان	158

الموضـوع	الصفحة
ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي في التلبينة لذهاب الحزن	159
ثالثا: دلائل الإعجاز العلمي في النوم المبكر	161
رابعا: دلائل الإعجاز العلمي في قيام الليل	164
خامسا: دلائل الإعجاز العلمي في الحث على الزواج	166
المبحث الثاني: دلائل الإعجاز العلمي في الصحة الجسدية	170
أولا: دلائل الإعجاز العلمي في الصيام	172
ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي في التداوي بالحجامة	176
ثالثا: دلائل الإعجاز العلمي في الاكتحال بالإثمد	179
رابعا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن الغضب	180
خامسا: دلائل الإعجاز العلمي في اعتزال النساء في المحيض	186
الفصل السادس: دلائل الإعجاز العلمي في حماية البيئة والتحصن من المهلكات العامة	190
المبحث الأول: دلائل الإعجاز العلمي في الوقاية والتحصين من المهلكات العامة	191
أولا: دلائل الإعجاز العلمي في تحريم الخمر	191
ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي في تحريم لحم الخنزير	195
ثالثا: دلائل الإعجاز العلمي في تحريم أكل الميتة	198
رابعا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن الفواحش والزنا	201
المبحث الثاني: دلائل الإعجاز العلمي في حماية البيئة والأماكن العامة	205
أولا: دلائل الإعجاز العلمي في نظافة الأفنية	207
ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي في إماطة الأذى عن الطريق	208
ثالثا: دلائل الإعجاز العلمي في استزراع وحماية البيئة	211

الموضـوع	الصفحة
رابعا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن التبول في الماء الراكد	214
خامسا: دلائل الإعجاز في منع التبول والتغوط في الأماكن العامة	217
سادسا: دلائل الإعجاز في قتل الفواسق الخمس والمؤذيات العامة	219
سابعا: دلائل الإعجاز العلمي في غسل ولوغ الكلاب وخطورة مخالطته	225
الخاتمة وأهم النتائج:	229
المراجع والمصادر:	234

الفصل الأول

مدخل إلى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

إنَّ القرآن الكريم والسنة النبوية يحملان هداية الإنسان في دينه ودنياه، ويقيمان الحجة على الخلق في كل زمان ومكان، وقد تعددت وجوه الإعجاز في القرآن والسنة؛ فمنها البياني والتشريعي والغَيبي، ومنها ما يتصلُ بالآفاق والأنفس وسنن الكون، ومعجزات النبي -صلى الله عليه وسلم- ليست مقصورةً على جيلٍ بعينه، بل هي باقيةٌ متجددة، يراها كل من يدركها، وتتسع دلالتها كلما اتسعت أدوات الرصد والبحث، حتى يلتقي خبر الوحي بمشاهدة الواقع، وتتكامل الشهادة بين «الكتاب المسطور» و«الكون المنظور». وفي هذا الفصل نقدم مدخلا منهجيا لضبط مفهوم الإعجاز العلمي وحدوده، ونبيّن مناسبة ظهوره لزمن الرسالة الخاتمة، بنصوص القرآن والسنة وتتبع التجليات في عصر الاكتشافات الحديثة، وصولاً إلى بيان أبرز أوجه الإعجاز العلمي المعاصر، مع ذكر الضوابط العلمية والشرعية التي تقيم الحجة على وجهٍ صحيحٍ رصين.

المبحث الأول

مصطلح المعجزة العلمية في القرآن والسنة

المعجزة العلمية في القرآن والسنة يعبر عن سبق نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية لحقائق الاكتشافات العلمية التجريبية، وقد تم تأسيس هيئة علمية للإعجاز العلمي في مكة المكرمة، وكان أول جهد علمي قامت به الهيئة هو عقد المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي والجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد بباكستان في الفترة من (25-28 صفر 1408هـ) الموافق (18-21/ 10/ 1987م)، وكان من أهم ما أقر في هذا المؤتمر التأصيل الشرعي "لعم الإعجاز العلمي"، وقررت الهيئة في اجتماعها مع اللجنة الاستشارية في (14-16 رمضان 1409هـ) نشره للاستفادة منه، والذي وضع الأطر الصحيحة والقواعد والضوابط المتينة لهذا الإعجاز العلمي (الزنداني، 2012). والذي قال عنه شيخ الأزهر السابق جاد الحق علي جاد الحق في مقدمته: "لقد بدأ البحث بحد عرف فيه الإعجاز، ثم عرف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ثم تحدث عن أن لكل رسول معجزة تناسب ما تميز به قومه وقال: إن المعجزة العلمية هي التي تناسب الرسالة العالمية الخاتمة والمستويات البشرية المختلفة، وأنه قد حان الوقت لاستظهار رؤية حقائق العلم الذي أنبأ به القرآن والسنة وساق لذلك أمثلة متعددة من أنباء الأرض والسماء في القرآن والسنة، التي تجلت في عصر الاكتشافات، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: 53]، وقال تعالى : ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:67]، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص:87-88] ، وغير ذلك من الآيات. وجاء البحث في علم الإعجاز مدعوما بأقوال السلف من المفسرين والمحدثين وغيرهم، وخلص إلى أن أنه ضرب من التفسير للقرآن يدخل تحت النوع الثالث من الأنواع الأربعة، التي ذكرها ابن عباس رضي الله عنهما في قوله؛ التفسير على أربعة أوجه:1-وجه تعرفه العرب من كلامها. 2-تفسير لا يعذر أحد بجهالته. 3-تفسير يعلمه العلماء. 4-تفسير لا

يعلمه إلا الله". (السابق، 2012)، ثم تحدث عن الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، وأبان عن مصادر أبحاث الإعجاز العلمي، وأنها فرع من فروع التفسير وجزء من شرح الحديث؛ وإنه لما كانت هذه المصادر قائمة على إظهار التوافق بين نصوص الوحي وبين ما كشف العلم التجريبي من حقائق الكون وأسراره؛ فهي كذلك تقوم على مصادر العلوم التجريبية إلى جانب العلم المتعلق بتاريخها. وقد تناول قواعد أبحاث الإعجاز العلمي وصاغها ورتبها بما يجعلها تحيط بالموضوع، جامعة موجهة لمن يتصدى لهذه الأبحاث عن علم وهدى، مانعة لمن قعدت به مواهبه، عن إدراكها، وغابت عنه مصطلحات هذه العلم، ودلالات النصوص الظنية منها والقطعية، وما قد يقع بينها من توافق أو تعارض على نحو ما أجمل وفصل في هذا البحث المفيد. ثم تحدث عن أوجه الإعجاز العلمي وأوجزها في نقاطٍ خمسٍ، وبين أهمية أبحاث الإعجاز العلمي وثمارها. واختتم البحث بيان ميادين أبحاث الإعجاز العلمي مشيراً إلى أنها المجالات الكونية التي جاء ذكرها أو الإشارة إليها في القرآن والسنة، وتمكن العلم البشري من كشف أسرارها، وذلك إلى جانب الميادين التي يحتاجُهَا الباحث لتفسير النصوص الشرعية تفسيراً صحيحاً لا شطط فيه مع معرفة بتاريخ العلوم وتقدمها. وأضاف أن مسائل أبحاث الإعجاز العلمي: هي المسائل التي يتصدى الباحث لحلها، وأنها تجمع القضايا الشرعية، والكونية، والتاريخية، التي تبرز جوانب المعجزة العلمية في آيات الله الكونية والنفسية، فلما كان محمد -صلى الله عليه وسلم -هو رسول الله إلى الناس كافة، فقد جعل الله بينات رسالته ومعجزاته باقية متجددة مع كل عصر؛ تكفي كل أصناف البشر على اختلاف علومهم وثقافاتهم ومداركهم. فمن أراد البينة وجدها وشاهدها في عصر النبي- صلى الله عليه وسلم- وما بعده، وإلى يومنا هذا، وإلى ما شاء الله، ومن ذلك المعجزة العلمية، فما هو مصطلح الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية؟.

أولا: تعريف الإعجاز: الإعجاز مشتق من العجز. والعجز: الضعف أو عدم القدرة. والإعجاز مصدر أعجز: وهو بمعنى الفوت والسبق (ابن منظور، مادة: عجز، 5/ 370؛ الراغب الأصفهاني، ص 322). والمعجزة في اصطلاح العلماء: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة (القرطبي، 1/ 96؛ ابن حجر العسقلاني، 6/ 581). وذلك بوقوع الخوارق للأنبياء شاهدة

بصدقهم، وهي أفعالٌ يعجز البشر عن مثلها فسمّيت بمعجزة (ابن خلدون، 1/ 117)، ومعنى التحدي: حفز المُتَحدّى أن يُجند كل ما يقوى عليه؛ ليرد التحدي في الكلام بطريقه أبلغ من جميع ما عداه (الشعراوي، 8/ 4683؛ الجرجاني، ص: 31)، فالإعجاز حجة بيد الرسول ليعلم أنه تصديق له، وأن تقع وفق مقتضى قول صاحبها، فلا تقع على خلاف قوله. (الرومي، ص: 260، 263)

وإعجاز القرآن يقصد به: إعجاز القرآن الناس أن يأتوا بمثله. أي نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله، والكتاب العزيز كله دليلٌ على صدق الرسالة، بل كل سورةٍ منهُ دليل عليه؛ لمكان العجز عن الإتيان بمثلها (الجزري، ص 99).

ثانيًا: تعريف العلم: وصف الإعجاز هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم، والعلم: هو إدراك الأشياء على حقائقها. أو هو صفة ينكشفُ بها المطلوب انكشافاً تاماً (الراغب الأصفهاني، ص 343؛ الشوكاني، ص 4)، والمقصودُ بالعلم في هذا المقام: العلم التجريبي، وعليه فقد عرف الإعجاز العلمي بما يلي:

ثالثا: الإعجاز العلمي؛ هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم-وهذا مما يظهر صدق الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- فيما أخبر به عن ربه سبحانه. **أما التفسير العلمي**؛ هو الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية. **بينما مصطلح الإعجاز العلمي**؛ هو إخبار القرآن الكريم، أو السنة النبوية، بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيراً، وثبتَ عدمُ إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية، في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهكذا يظهر اشتمال القرآن أو الحديث على الحقيقة الكونية أو التجريبية التي يؤولُ إليها معنى الآية أو الحديث، ويشاهدُ النَّاسُ مصداقَها في الكون، فيستقر عندها التفسير، ويعلم بها التأويل، كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:67]. وقد تتجلى المشاهد الكونية الجدية والاكتشافات التجريبية لتزيد المعنى المستقر وضوحاً وعمقاً وشمولاً لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم-قد أوتي جوامع الكلم (فتح الباري: 13/ 247)، فيزدادُ بها الإعجاز

عمقًا وشمولاً، كما تزدادُ السنة الكونية وضوحًا بكثرة شواهدها المندرجة تحت حكمها. فيتبين أن مفهومَ الإعجاز في أصله اللغوي يدور على معنى العجز والضعف، ثم استقرَّ في اصطلاح العلماء على كونه **"أمراً خارقاً للعادة مقروناً بالتحدّي سالمًا من المعارضة"**؛ وبذلك يتبيَّنُ أن إعجاز القرآن هو إظهار عجز البشر عن الإتيانِ بمثله. كما اتضحَ أن وصفه بـ العلمي إنما هو نسبة إلى العلمِ التجريبيْ الذي يقومُ على إدراكِ الحقائق إدراكًا منضبطًا بوسائل الملاحظة والاختبار. ومن هنا يتحددُ الإعجازُ العلمي بأنه: **"إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقائق كونية أو تجريبية ثبتت بالدليل العلمي"**، مع تعذُّر الوصول إليها بالوسائل البشرية في زمن النبوة، فيكونُ ذلك شاهداً على صدق الرسالة وعلوّ مصدر الوحي. وفي الوقت نفسه يجب التفريق بين الإعجاز العلمي وبين التفسير العلمي؛ فالأول مرتبط بحقيقة قطعية يعضدها البرهان ويُبرز وجه التحدّي، أما الثاني فهو اجتهاد في بيان المعنى في ضوء ما ترجّح من معارف العلوم. وبذلك يتأكد أن اتساع دلالات النصوص وإحكامها، وما أُوتي النبي -صلى الله عليه وسلم- من جوامع الكلم، يجعل الوحي قابلاً لظهور وجوه جديدة من الدلالة كلما تجددت الشواهد وتراكمت الاكتشافات، فيزداد اليقين رسوخاً، وتتجلى دلائل الهداية والصدق عمقاً وشمولاً.

المبحث الثاني

مناسبة المعجزة العلمية لزمن الرسالة الخاتمة

لما كانت الرسالة الإسلامية خاتمة الرسالات، وكان النبي- صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء، اقتضت حكمةُ الله- تعالى- أن تكون المعجزةُ ذاتَ طبيعةٍ مستمرةٍ ودلالةٍ متجددةٍ تُقيم الحجة على الناس في كل زمان ومكان، ومن ثَمَّ جاءت نصوص القرآن والسنة ذات دلائل علمية تكفّل الله تعالى بحفظها ليبقى الوحيُ أصلَ الاحتجاج ومصدرَ الهداية، ويظلّ نصًّا محفوظًا من التحريف عبر الأجيال، وجاءت وجوه الإعجاز متعددة لتشمل الإخبار بالمغيّبات، والإعجاز البلاغي والتشريعي وغيرها؛ لتكون معجزةُ الرسول الخاتم -صلى الله عليه وسلم -معجزةً باقيةً متجددة، وموجهة إلى الناس كافة في كل الأزمنة، بخلاف معجزات الأنبياء السابقين التي كانت غالباً حسّيةً وقتيةً يشاهدها من حضرها ثم تنقضي بانقضاء زمنها. ومن هنا كانت معجزة القرآن الكريم والسنة النبوية أنسبَ ما يكون لرسالة الإسلام الخالدة التي لا تنتهي بانتهاء جيل، كما أن عصر الرسالة الخاتمة كانَ خاتمةَ النبوات، فكانَ لزاماً أن تُقامَ الحجةُ في كل عصرٍ لتدرك بحسب الأدوات والمعارف؛ فالناسُ يختلفون في طرائق الاقتناع، فمنهم من تقوم عليه الحجة ببلاغة القرآن وتشريعه، ومنهم من يهتدي بتأمل سننه في النفس والآفاق، ومنهم من يزدادُ يقيناً حين يرى توافق دلائل الوحي مع حقائقِ الكون التي يكشفها العلم عبر الزمن. فبعد البعثة المحمدية اتجهت المعارف بالبحثِ التجريبي شَيْئاً فشيئاً إلى أن صار العلم في الأزمنة المتأخرة من أقوى اللغات تأثيراً في العقل الحديث؛ فكان من تمام المناسبة أن يبرز في القرآن والسنة ما يدل على هداياتٍ تُفهَم في ضوءِ الحقائق الثابتة، فتتحولُ من مجردِ معانٍ محتملة إلى شواهد يقينية تعزز الإيمان وتردّ الشبهات، فنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ضمان لحفظ الدين بين أيدي الناس إلى قيام الساعة، قال تعالى:﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: 19]، ومن ذلك ما يتصل بهذه المعجزة العلمية. ولذلك نجد أن الله

تعالى قد بين حقيقة هذه المعجزة العلمية في قوله تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: 166]. ففي هذه الآية التي نزلت رداً على تكذيب الكافرين، بنبوة محمد-صلى الله عليه وسلم-(ابن الجوزي، 2/ 257؛ الطبري، 5/ 122؛ ابن كثير، 1/ 590؛ تفسير الجلالين، ص 137)، بيان لطبيعة المعجزة العلمية، التي تبقى بين يدي الناس، وتتجدد مع كل فتح بشري في آفاق العلوم، والمعارف ذات الصلة بمعاني الوحي الإلهي. قال ابن كثير: "فالله يشهد لك بأنك رسوله، الذي أنزل عليه الكتاب، وهو القرآن العظيم، ولهذا قال: أنزله بعلمه: أي فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه، من البينات والهدى، والفرقان، وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب، من الماضي والمستقبل (ابن كثير، 1/ 560). وقال الخازن: "لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة، بواسطة هذا القرآن، الذي أنزله عليك"(الخازن، 2/ 210). وقال أبو العباس بن تيمية: فإن شهادتَهُ بما أنزلَ إليه، هي شهادته بأن الله أنزله منه، وأنه أنزله بعلمه، فما فيه من الخبر، هو خبر عن علم الله، وليسَ خبراً عمن دونه، وهذا كقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: 14]، وليسَ معنى مجرد كونه أنزله أنه معلوم له، فإن جميع الأشياء معلومة له، وليس في ذلك ما يدل على أنها حق، لكن المعنى: أنزله فيه علمه، كما يقال: فلان يتكلم بعلم، فهو سبحانه أنزله بعلمه، (ابن تيمية، 14/ 196). وإلى هذا المعنى ذهب كثير من المفسرين (ابن الجوزي، ج 2، ص 257)؛ الزمخشري، 1/ 584؛ أبو حيان، 3/ 399؛ الألوسي، 6/ 19–20؛ الشوكاني، 1/ 539؛ الخازن، 2/ 210؛ تفسير الجلالين، ص 137)، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: 6] ، وهكذا تسطع بينةُ الوحي، المنزل على محمد -صلَّى الله عليه وسلَّم- بما أنزله فيه من علم إلهي، يدركه الناس في كل زمان ومكان، ويتجدد على مر العصور، ولذلك قال- صلى الله عليه وسلم-: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ» (البخاري، برقم: 4981)، قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث: "ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه، وفي بلاغته، وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار، إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون؛ يدل على

صحة دعواه... فعم نفعه من حضر، ومن غاب، ومن وجد، ومن سيوجد" (ابن حجر العسقلاني، 9/ 7). وعليه فإن الإعجاز العلمي متجدد الدلالة، ممتد الحجة، عالمي الخطاب، يلتقي فيه الوحي مع سنن الكون، فتقوم الحجة على أهل كل عصر بما يوافق مداركهم، ويبقى القرآن معجزةً حيّةً تشهد بصدق النبوة إلى قيام الساعة.

المبحث الثالث

الوعد الإلهي بظهور البينات القرآنية

إن من دلائلِ ربانية القرآن الكريم أنه كتابُ هدايةٍ وحجةٍ عالمية، لا يختصُّ بقومٍ دون قوم، ولا بزمنٍ دون زمن؛ ولذلك كانت بيناته تتجدد، وتزداد وضوحاً كلما تقدّم الناس في الفهم والمعرفة، والبراهينَ تتسع لها العقول في كل عصر. فكما أن إعجازه البياني تقوم به الحجة على أهل اللسان، فإن وجوهاً أخرى من بيناته تقوم بها الحجة على من بَعُد عن العربية، حين يرون موافقة الدلائل الكونية والسننية لما تكشفه المشاهدة والتجربة والوعد الإلهي بظهور بينات القرآن؛ يعني أن هذا الكتاب سيظل مصدرَ ذكرٍ للعالمين، وأن أجيال البشر ستتعرف تباعاً على ما فيه من حقائق ودلائل، كلٌّ بحسبِ ما يفتحُ الله به من علمٍ وفهم، فيبقى القرآن معجزةً قائمةً، وحجةً ممتدة، ودليلاً متجدداً على صدق الرسالة الخاتمة. فبينة القرآن الكريم العلمية سيدركها العربي والأعجمي، وتبقى ظاهرة متجددة إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص:87-88]، ففي القرآن أنباء تعرف المقصود منها؛ لأنها بلسانٍ عربي مبين، ولكن حقائقها وكيفياتها لا تتجلى إلا بعد حين، والحين هو الزمن القادم أو المستأنف. كما قال الفراء في تفسير الحين الذي ذكرته الآية أنه: "بعد الموت وقبله أي لتظهر لكم حقيقة ما أقول (بعد حين) أي في المستأنف" (القرطبي، 15/ 231). وذهب السدي الكبير إلى هذا المعنى (أبو حيان، 7/ 412). وقال ابن جرير الطبري، بعد ذكر الأقوال المتعددة، في تفسير الحين الذي ذكرته الآية، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: أن الله أعلمَ المشركين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين، من غير حدٍ منه لذلك الحين بحدٍ، ولا حدَّ عند العرب للحين، لا يجاوز ولا يقصر عنه، فإذا كان ذلك كذلك، فلا قول فيه أصح من أن يطلق، كما أطلقه الله، من غير حصر ذلك على وقت دون وقت (الطبري، 23/ 121). وشاء الله أن يجعل لكل نبأ زمناً خاصاً يتحقق فيه، فإذا تجلى الحدث ماثلا للعيان أشرقت المعاني، التي كانت تدل عليها الحروف والألفاظ في القرآن،

وتتجدد المعجزة العلمية عبر الزمان، وإلى هذا الزمن أشار القرآن في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:67]. ويبقى النبأ الإلهي محيطاً بكلِّ الصور، التي يتجددُ ظهورها عبر القرون. قال ابن جرير الطبري: "لكل نبأ مستقر، يقولُ: لكل خبر مستقر، يعني قرار يستقر عنده، ونهاية ينتهي إليها ليتبينَ حقه وصدقه، من كذبه وباطله. وسوف تعلمون. يقول: وسوف تعلمون أيها المكذبونَ بصحة ما أخبر به" (الطبري، 7/ 147). وقال ابن كثير: قال ابن عباس وغير واحد: أي لكل نبأ حقيقة، أي لكل خبر وقوع، ولو بعد حين، (ابن كثير، 2/ 144(17) وإلى هذا ذهب كثير من المفسرين (ابن كثير، 2/ 144، القرطبي، 7/ 111، الشوكاني، 2/ 128، الرازي، 7/ 25-26، القاسمي، 6/ 575، أبو السعود، 3/ 147، البقاعي، 7/ 145-146). كما قال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: 88]، وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: 38]. فتتجدد شواهد القرآن واكتشاف بعض دلائلها على مر العصور؛ ليبقى برهانه قائماً وحجته ظاهرة لكل جيل. فظهور البينات القرآنية تؤسس لسنّةٍ معرفيةٍ ممتدة، هي أن دلائل القرآن لا تُستنفَد في زمن التنزيل، بل تتجدد وتتسع كلما اتسعت أدوات الإدراك الإنساني؛ فبعض أنباء القرآن تُفهم ألفاظُها ابتداءً، بينما تتكشف حقائقها وكيفياتها بعد حين بحسب السنن والوقائع، دون توقيتٍ محدد، وبذلك تجدد الشواهد تُقيم الحجة على العربي والأعجمي، وتُثبت عالمية القرآن وخاتمية رسالته؛ إذ يبقى القرآن دليلاً متجدداً على صدق الوحي عبر العصور، لا ينقطع أثره العلمي والاحتجاجي إلى قيام الساعة.

المبحث الرابع

ظهور المعجزة في عصر الاكتشافات العلمية

شهد العصر الحديث تسارعًا غير مسبوق في مسيرة العلوم التجريبية، واتِّسَاعًا كبيرًا في ميادين الكشف عن سنن الكون وأسراره؛ حتى صَارَ الإنسان يقرأ كثيرًا من تفاصيل الخلق عبر المختبرات والمراصد والأجهزة الدقيقة. وفي هذا السياق تتجلَّى حكمة الله في إنزال القرآن والسنة للرسالة الخاتمة؛ إذ يبرز الإعجاز العلمي بظهورٍ أوسع وأوضح كلما تقدّم العلم، لأن طائفةً من الدلائل الكونية والحقائق الدقيقة لَمْ تَكُنْ مما تُدركه الوسائل البشرية في زمن التنزيل. ومن ثَمَّ فإن ظهور المعجزة في عصر الاكتشافات العلمية ليسَ توافقًا عارضًا، بل هو تحقق للوعد الإلهي بظهور البينات؛ إذ يزدادُ وضوح الدلالة كلما تطورت أدوات الإنسان في الفهم والرصد، وتتكشف من خلالِ ذلك جوانب من دقة الوحي وإحكامه. وقد أيَّدَ اللهُ نبيَّه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- بآلاف المعجزات الدالة على صدقه وصدق رسالته، وجعلَ القرآن آيةً باقيةً متجددة الدلائل؛ كما أخبر سبحانه بأنه سيُرِيْ عبادَه آياتِه لتقوم عليهم الحجة وتنكشف لهم حقائق الوحي في الواقع المشاهد، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: 93]. والمعرفة هنا هي مطابقة ما أخبر به الوحي لما يشاهده الناس لاحقًا في الآفاق والأنفس؛ فكلما انكشف للناس من الآيات الكونية ما يوافق البيان القرآني، ازدادت الدلالة رسوخًا ووضوحًا. وقد روى الطبري عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾، قال: في أنفسكم والسماء والأرض والرزق" (الطبري، 20/ 18). وقال ابن كثير في تفسير الآية: "أي الحمد لله الذي لا يُعذِّبُ أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه والإنذار إليه، ابن كثير، 3/ 380)، وبمثل هذا قال القرطبي في تفسيره، (القرطبي 13/ 246)، و (الألوسي في تفسيره، 20/ 40). قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: 53]، وقَالَ أبو حيان في البحر المحيط: "سيريكم آياته: تهديد لأعدائه بما يريهم الله من آياته، التي تضطرهم إلى معرفتها، والإقرار أنها آيات الله.

وقيل آياته في أنفسكم، وسائر ما خلق، مثل قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾، وقيلَ معجزات الرسول، وأضافها إليه لأنه هو مجريها، على يدي الرسول، ومظهرها من جهته (أبو حيان، 7/ 103). وبمثل ما قال أبو حيان، قال البقاعي، في نظم (الدرر البقاعي، 14/ 229-230). ومِمّا سبق يتبيّن لنا أنَّ البشرية على مَوْعِدٍ متجدِّدٍ ومستمرٍّ من الله بكشف آياته في الكون وفي الأنفس، ومشاهدتها بالأبصار؛ لِتَقُوْمَ الحُجّة وتظهر المعجزة. وها هو الوحيُ الإلهي في القرآنِ والسنة يفيض بالإخبار عن أوصاف المخلوقات ودقائق سننها، وها هي الأبحاثُ العلميةُ التجريبيةُ تتجه بدراساتها وتحقيقاتها إلى الميدان نفسه الذي وصفه القرآن الكريم، وتحدّث عنه الرسول- صلى الله عليه وسلم- فاللقاءُ حتميٌّ، والمعجزةُ واقعة. ولقد جاءت العلومُ البشريةُ التجريبيةُ شاهدةً بصدق ما أخبر به القرآن الكريم والسنة النبوية، وجاءت كذلك مُجلّيةً لدقائق المعاني في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ذات الصلة بالأمور الكونية والحقائق التجريبية. وكم من الأبحاث المعاصرة في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة شارك فيها كبارُ علماء العالم في الأجنة والتشريح والطب والهندسة وعلم النفس حتى من غير المسلمين، فكانت سببًا في إسلام عددٍ من المختصين في ميادين متعددة من العلوم التجريبية. فإنَّ أنباء الأرض والسماء في القرآن والسنة تتجلى في عصر الاكتشافات، وإن خبر القرآن والسنة وما فيهما من أوصاف لما في الأرض والسماء هو نبأ إلهي عما في الأرض والسماء، ممن هو أعلم بما خلق فيهما من أسرار، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: 18]، فالخبر بما في الأرض والسماء، نبأ عما في الأرض والسماء، ولقد زخر القرآن والسنة، بأنباء الكون وأسراره، وتفجرت في عصرنا علوم الإنسان، باكتشافاته المتتالية، لآفاق الأرض والسماء فحان الحين لرؤية حقائق العلم، الذي نزل به الوحي في القرآن والسنة ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت53]. ولقد نزل القرآن في عصر انتشار الجهل، وشيوع الخرافة، والكهانة، والسحر، والتنجيم، في العالم كله، وكان للعرب النصيب الأوفى من هذه الجاهلية والأمية، كما بين القرآن ذلك بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2]. كما نزل القرآن على قوم استماتوا في الصد عنه، دفاعاً عن أصنامهم، التي

كانوا عليها عاكفين، وتعلقاً بما آمنوا به من الخرافات والسحر، والكهانة، والتنجيم، وأوهام الأزلام، والتشاؤم من بعض الشهور، ومن مرور بعض أنواع الحيوان، وجادلوا عن ضلالتهم في طلب الحماية من ملوك الجان، في الشعاب والوديان. وما كانوا عليه من الضلال الفكري، والجاهلية الجهلاء، وكانوا العرب الذين بُعِث النبي -صلى الله عليه وسلم -من بينهم أمة أمية، حتى أنه بعد ما حثهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-على القراءة والكتابة والعلم، والحساب، لم يجدوا أمامهم من أدوات الكتابة إلا الجلود، والأحجار الرقيقة، وعسب النخل، وعليها كانوا يكتبون ، فعن زيد بن ثابت- رضي الله عنه- قال "فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال " (البخاري ، برقم: 4986)، ففي ذلك العصر، وفي تلك البيئة نزل الوحي، وفيه علم الله، يصف أسرار الخلق في شتى الآفاق، ويجلي دقائق الخلق في النفس البشرية، يقرر البداية، ويصفُ أسرار الحاضر، ويكشف غيب المستقبل الذي ستكون عليه سائر المخلوقات. وها هِيَ البشريةُ اليوم قد جعلت العلم طريقاً إلى معرفة الحق، بعد أن كبلت طويلاً بأغلال التقليد الأعمى، وما إن جاء عصر الاكتشافات العلمية حتى شيدت للعلم المؤسسات والجامعات ومراكز البحث العلمي، وفرغت لخدمته العلماء، ورصدت له الأموال والجوائز، وامتلكت أدق الأجهزة للبحث العلمي، وتمكنت من حشد الملايين من الباحثين، في شتى الآفاق، وجمعهم في ميادينه، على اختلاف الأجناس، يبحثون عن الأسرارِ المحجوبة في آفاقِ الأرض والسماء، وفي مجالات النفس البشرية، يجمعون المقدمات، ويراقبون ثمارها ونتائجها؛ وما إن استقرت العلوم التجريبية واشتد عودها، حتى شرعت في أداء رسالتها التي قدّرها الله لها، فجعلها سبيلاً إلى الإيمان به، وشاهداً على صدق رسوله. فإذا ما تكاملت الصورة وتجلَّتِ الحقيقةُ، وقعت المفاجأة الكبرى، بتجلي أنوار الوحي الإلهي، الذي نزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-قبل ألف وأربعمائة عام، بوصف أعظم هذه الحقائق في آية من القرآن أو بعض آية، أو في حديث لرسول الله- صلى الله عليه وسلم-أو بعض حديث بدقة علمية معجزة، وعبارات مشرقة، وبهذا نعلمُ النبأ العظيم فيما أوحاه الله للنبي الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم- في القرآن والسنة. وهذه الرؤية العلمية الموعودة ستتحقق في كل الأفاق حولنا وفي أنفسنا وذاتنا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ

كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 52-53].

فلقد ورد الأفق في اللغة بمعنى: ما ظهر من نواحي الفلك وأطراف الأرض، وآفاق السماء: نواحيها (مقاييس اللغة لابن فارس ،1/ 114-115؛ لسان العرب، 10/ 5-6؛ الصحاح للجواهري، 4/ 1446؛ تاج العروس، 1/ 279؛ المفردات للأصفهاني، 19)، فآيات الله في آفاق الأرض والسماء تحمل معاني ثلاثة: (**الأول:** المخلوقات التي خلقها الله في شتى آفاق الأرض والسماء، مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [الشورى: 29]، **الثاني:** آيات القرآن التي تخبر وتصف أنواع المخلوقات، وهي آيات كثيرة. و**الثالث:** البينات والمعجزات التي يظهرها الله تصديقاً لرسول -صلى الله عليه وسلم- في شتى آفاق الأرض والسماء من حقائق الخلق حينًا بعدَ حين. قال الشوكاني: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ [فصلت: 53] سنريهم صدق دلائل صدق القرآن، وعلامة كونه من عند الله في الآفاق وفي أنفسهم... والمعنى: سنريهم آياتنا في النواحي وفي أنفسهم (فتح القدير، 4/ 523). وقال ابن كثير: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: ستظهر لهم دلالاتنا، وحججنا، على كونِ القرآن حقاً منزلا من عند الله، على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-بدلائل خارجية في الآفاق (تفسير ابن كثير، 4/ 106). وقال الزمخشري: ومعناه أن هذا الموعود، من إظهارِ آياتِ الله في الآفاق، وفي أنفسِهم سيرونه ويشاهدون، فيتبينون عندَ ذلك أن القرآن تنزيلُ عالِمِ الغيب، الذي هو على كل شيء شهيد، أي مطلع ومهيمن، يستوي عنده غيبه وشهادته، فيكفيهم ذَلِكَ دَلِيْلاً على أنه حق وأنه من عنده (الكاشف، 3/ 458). وبهذا قال كثير من المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: 53] ، وقال أبو العباس بن تيمية: وأما الطريق العياني: فهو أن يرى العباد من الآيات الأفقية والنفسية، ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته الرسل عن الله حق، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53]، أي: أولم يكف بشهادته المخبرة بما في علمه، وهو الوحي الذي أخبر به الرسول -صلى الله عليه وسلم- فإن الله على كل شيء شهيد وعليم به (الفتاوى، 14/ 189). "وقال عطاء وابن زيد أيضاً: في

(الآفاق) يعني أقطار السماوات والأرض؛ من الشمس والقمر، والنجوم والليل والنهار، والرياح والأمطار، والرعد والبرق، والصواعق، والنبات والأشجار، والجبال والبحار، وغيرها" (القرطبي، 15/ 374-375)، وروى هذا عنهما عدد من أئمة التفسير (الطبري، 25/ 24؛ أبو حيان، 7/ 505؛ الخازن في مجموعة من التفاسير، 5/ 395؛ الشوكاني، 4/ 523). وفي تفسير الجلالين: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾، أقطار السماوات والأرض من النيران والنبات والأشجار، "وَفِي أَنْفُسِهِمْ": من لطيف الصنعة وبديع الحكمة (تفسير الجلالين، ص638). فهذه آياتُ الله في كتابه تُحدّث عن آياته في مخلوقاته، وتزداد تجلّيًا في عصر الكشوف العلمية حيث تتّسع آفاق الكون أمام الإنسان؛ بحقائق كونية لم يكن في الوسع البشري إدراكُها زمن نزول الوحي، ثم يُثبتها البحثُ العلمي التجريبي، وبذلكَ يتحققُ وعْدُ الله بإظهار آياته في الآفاق والأنفس، فتبرز شواهدُ علميةٌ منضبطةٌ بضوابطَ شرعيةٍ ومنهجيةٍ، تُسهم في إقامة الحجة وتؤكد صدق الرسالة وربانية المصدر.

المبحث الخامس

أوجه الإعجاز العلمي المعاصر وضوابطه

إن مُعْجزةَ القرآنِ العلمية، تظهر لأهل العلم، في كل مجالٍ من مجالاتِه، فهي ظاهرة في نظمه، وفي إخباره عن الأولين، وفي إنبائِه بحوادث المستقبل، وحِكَم التشريع، وغيرها، ولقد شاع مصطلح الإعجاز العلمي في عصرنا، للدلالة على أوجه إعجاز القرآن والسنة، التي كشفت عنها العلوم الكونية والطبية. والمتأمل في أحوال العالم قبل نزول القرآن، يرى التخلف الهائل في مجال العلوم الكونية، وكيف اختلطت المعارف الكونية للإنسان، بالسحر والكهانة والأوهام، حتى غلبت الخرافة، وسادت الأساطير، على الفكر الإنساني. ولقد انتظرت البشرية طويلاً -بعد نزول القرآن- إلى أن امتلكت من الوسائل العلمية، ما يكشف لها أسرار الكون، وإذا بالذي يكتشفه الباحثون بعد طول بحث ودراسة، تستخدم فيها أدق الأجهزة الحديثة، يرى مقررا في آية، أو حديث، قبل ألف وأربعمائة عام، وذلك فيما تعرض له الوحي من حقائق. وما كان العرب الذين خوطبوا بهذا القرآن، بحاجة إلى هذه الأوصاف، والأنباء المستفيضة فيه، وفي السنة، عن الكون وأسراره؛ لإثبات صدق الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم- لكنه الوحي المعجز؛ الذي يحمل بينه صدقه معه، لجميع البشر، في عصورهم المختلفة، وأطوارهم المتباينة، كما قال أبو العباس بن تيمية في وصف القرآن. وقد اجتمع فيه من الآيات ما لم يجتمع في غيره، فإنه هو الدعوة والحجة، وهو الدليل والمدلول عليه، وهو البينة على الدعوى، وهو الشاهد والمشهود به (الفتاوى، 14/ 190).

وتتمثل أوجه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة فيما يلي:

1-**في التوافق الدقيق بين ما في نصوص الكتاب والسنة**، وبين ما كشفه علماءُ الكونِ من حقائق كونية، وأسرار علمية، لم يكن في إمكانِ بشرٍ أن يعرفها وقت نزول القرآن، كالمحاضراتِ التي ألقَاها البروفيسور: كيث ل. مور وهو من أشهر علماء الأجنة في العالم، وكتابه في علم الأجنة مرجع علمي يدرس في كليات الطب وهو مترجم إلى سبع لغات، منها: الروسية واليابانية والألمانية والصينية. بعد اقتناعه بأبحاث الإعجاز العلمي، حيث ألقى محاضرة أقيمت في ثلاث كليات طبية في المملكة العربية السعودية عام (1404هـ) بعنوان: "مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة".

2-**في تصحيح الكتاب والسنة لما شاع بين البشرية**، في أجيالها المختلفة، من أفكار باطلة، حول أسرار الخلق. وهذا لا يكونُ إلا بعلمٍ من أحاطَ بكل شيءٍ علمًا. ومن ذلك ما كان شائِعا بين علماء التشريح من أن الولد يتكون من دم الحيض واستمر ذلك الاعتقاد إلى أن اكتشف المجهر، في القرن السادس عشر الميلادي، ونصوص القرآن والسنة، تقرر أن الإنسان يخلق من المني، وقد رد ابن القيم وابن حجر وغيرهما من علماء المسلمين أقوال علماء التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده، وأنه إنما يتكون من دم الحيض، بقولهم "وأحاديث الباب تبطل ذلك".

3-في تجلى الحقيقة كاملة، فإذا جمعنا نصوص الكتاب والسنة الصحيحة وجدنا بعضها يكمل بعضها الآخر، مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة في الزمن، وفي مواضعها من الكتاب الكريم، وهذا لا يكون إلا من عند الله؛ الذي يعلم السر في السماوات والأرض.

4-**في معرفةِ التشريعات الحكيمة**، التي قد تخفَى حكمتُها علَى الناس وقت نزول القرآن، وتكشفُها البحوثُ في شَتَّى المجالاتِ العلمية، مثل ما كشفه العلم حديثاً من حِكمٍ في تحريم أكل الميتة ولحم الخنزير.

5-**في عدم الصدام بين نصوص الوحي القاطعة**؛ التي وصفت الكون وأسراره، على رغم كثرتها، وبين الحقائق العلمية المكتشفة على رغم وفرتها، مع وجود هذا الصدام في سائر الأديان المحرفة والمبدلة، وصدق الله القائل: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا

عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: 48-52]. وهذه ضوابط وقواعد لأبحاث الإعجاز العلمي نوجزها فيما يلي:

(أ) علم الله هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتريه خطأ، ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان محدود، يقبل الازدياد، ومعرض للخطأ.

(ب) هناك نصوص من الوحي قطعية الدلالة، كما أن هناك حقائق علمية كونية قطعية.

(ج) وفي الوحي نصوصٌ ظنيةٌ في دلالتها، وفي العلمِ نظريات ظنية في ثبوتها.

(د) ولا يمكنُ أن يقعَ صدامٌ بينَ قطعي من الوحي وقطعي من العلم التجريبي، فإنْ وقعَ في الظاهر، فلابد أن هناك خللا في اعتبار قطعية أحدهما، وقد ألف أبو العباس ابن تيمية كتابا سماه: "درء تعارض العقل والنقل".

(هـ) عندما يري الله عباده آية من آياته، في الآفاق أو في الأنفس مصدقة لآية في كتابه، أو حديث من أحاديث رسوله يتضح المعنى، ويكتمل التوافق، ويستقر التفسير، وتتحدد دلالات ألفاظ النصوص، بما كشف من حقائق علمية وهذا هو الإعجاز العلمي.

(و) إنَّ نصوصَ الوحي قد نزلت بألفاظٍ جامعةٍ، قال- صلي الله عليه وسلم-: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ» (البخاري، برقم: 7273)، تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواضيعها التي قد تتتابع في ظهورها جيلاً بعد جيل.

(ز) إذا وقع التعارض بين دلالة قطعية للنص، وبين نظرية علمية رفضت هذه النظرية، لأن النص وحي من الذي أحاط بلك شيء علما، وإذا وقع التوافق بينهما كان النص دليلا على صحة تلك النظرية، وإذا كان النص ظنيا والحقيقة العلمية قطعية يؤول النَّصُّ بها.

(ح) وإذا وقع التعارض بين حقيقة علمية قطعية، وبين حديث ظني في ثبوته، فيؤول الظني من الحديث، ليتفق مع الحقيقة القطعية.

فيتبيّنَ من هذا أن الإعجاز العلمي يتجلَّى في القرآنِ الكريم والسنة النبوية بوصفهِ وجهاً من وجوه المعجزة الخالدة التي تتكشف دلالاتها لأهل العلم عبر العصور؛ إذ يثبت للمتأمل أن الوحي

أشار إلى حقائق كونية وطبية لم يكن للإنسان في زمن التنزيل أدواتُ إدراكها أو وسائلُ التحقق منها، في بيئة اختلطت فيها المعارف بالخرافة والأسطورة. ثم جاءت العصور اللاحقة بما توفر فيها من مختبرات وأجهزة دقيقة ومناهج بحث محكمة، فوقف الباحثونَ على نتائج يقررونها بعدَ طولِ تجريبٍ وتحليل، فإذا هي مندرجة في آيةٍ أو حديثٍ بعبارات موجزة محكمة سبقت إلى المعنى وأحاطت به. وهكذا تتجدد الحجة وتتأكد الدلالة، ويتجلى وجه الإعجاز في التوافق المنضبط بين نصوص الوحي والحقائق القطعية، وفي تصحيح الوحي لما شَاعَ من تصورات خاطئة عن الإنسان والكون، وفي سعة ألفاظه الجامعة التي تستوعب تتابع الكشف العلمي جيلاً بعد جيل دون اضطرابٍ أو تناقض.

الفصل الثاني

حجية الإعجاز العلمي في ضوء منهج السلف

يتصل موضوع الإعجاز العلمي اتصالًا مباشرًا بمصدرَي التشريع في الإسلام؛ القرآن الكريم والسنة النبوية، فالإعجاز العلمي حُجَّة معتبرة إذا التزم بضوابط منهج السلف، وضبط الطريق الذي تُفهم به النصوص، بالربط العلمي والاستنباط المنطقي بقواعد علوم القرآن وعلوم الحديث، وعلوم العربية، واتباع ما اتفق عليه علماء التفسير من خلال المرجعيات التفسيرية في المعارف الإسلامية التي ينطلق منها المفسر لبيان دلائل الإعجاز العلمي القرآني. وهو في حقيقته شاهدٌ على شمولية الوحي، وخلود رسالته، وصلاحيته لكل زمان ومكان، إذ يجمع بين الهداية الإيمانية والدلالة العقلية، ويؤكد أن الوحي من عند الله الذي أحاط بكل شيء علمًا. فحجية القرآن الكريم ثابتةٌ قطعًا بوصفه كلام الله المنزل، المحفوظ من التحريف، والسنة النبوية محفوظةٌ بحفظ الله لها؛ بمنهجٍ علمي فريد أقامه علماء الأمة بالرواية والدراية على أساسٍ منهج علمي رصين، بحمل الصحابة الكرام وتوثيق التابعين، واتباع منهج علمي في نقد الرواية وتصحيح المتون في ضوء منهج السلف والمفسرين.

المبحث الأول

إعداد الصحابة لحمل الرسالة

هيأ الله صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - لحفظ نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وحمل هذا الدين وتبليغه، ومن بعدهم التابعون، ثم تابع التابعين جيلا بعد جيل، في حفظ إلهي فريد حتى تبقى صالحة إلى آخر الزمان، من أجل ثبات هذه النصوص وعدم تغيرها أو تبديلها أو تحريفها، ولذلك قال- تعالى- تأكيدا لهذه الحقيقة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]. وقد قيض الله لخاتم الأنبياء والمرسلين جيلاً من الصحابة المؤمنين الصادقين المؤهلين لحفظِ هذا الدين ونقله لمن بعدهم، لأن مَشيئةَ الله أن يكونَ نبيُّه محمد -صلى الله عليه وسلم -هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأخبر سبحانه أنّه قد أعدّ هؤلاء الصحابة إعداداً إيمانياً رفيعاً، وزكاهم ورضي عنهم، ليكونوا أهلاً لشرف الصحبة وحمل الرسالة والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها:

1-شهادة القرآن والسنة للصحابة، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات:7] ، فهذا دليلٌ علَى أنَّ الله اصطفاهُم وأكرمهم بهذا النور الإيماني الذي ملأ قلوبهم وجعلهم يميلون إليه، وهو من علامات محبة الله لهم ، وعلامة حبهم لله ورسوله، فوجدوا حلاوته طعمه، وأحبوا ثباته ودوامه، والزيادة منه، وكرهوا مفارقته (ابن رجب الحنبلي ، 2/ 286)

2-شهد الله- عز وجل- للصحابة الكرام من مهاجرين وأنصار بصدق الإيمان، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:74]. فذكر المهاجرين بالجهاد بالمال والنفس، وذكر معهم الأنصار بالإيواء والنصر، ووصف الفريقين مَعًا بولاية بعضهم لبعض، وأثبتَ لهم معًا حقيقةَ الإيمان؛

وَهُم معًا الصادقون في إيمانهم، فاستوى الأنصارُ مع المهاجرين في عاملِ النصرة وفي صدق الإيمان (الشنقيطي، 8/ 42).

3-أخبر الله- سبحانه- أنه قد رضي عنهم، فقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:100]، في هذه الآية التصريح بالرِّضَى عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذينَ اتبعوهم بإحسان، وهو دليل قرآني صريح في أن من يسبهم ويبغضهم، أنه ضالٌ مُخَالِفٌ لله جل وعلا (الشنقيطي، 2/ 148)، فعن أنس- رضي الله عنه- قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «آية المؤمن حب الأنصار، وآية المنافق بغض الأنصار» (مسند أبي يعلى الموصلي، رقم: 4308).

4- بين فضل المهاجرين والأنصار وأثنى عليهم، فقالَ تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:8] ، فَقَدْ شهدَ اللهُ لهم بصدقِ إيمانهم بالهجرة في قوله للفقراءِ المهاجرينَ الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من اللهِ ورضوانًا وينصرونَ الله ورسوله أولئك هم الصادقون (الشنقيطي ، 8/ 97)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:8-9] فاتخذوا المدينةَ منازلَ فابتنوها ، والإيمان بالله ورسوله ويحبونَ من هاجرَ إليهم ، وانتقلَ إليهم من غيرهم (الطبري، 22/ 524).

5-رضي الله عنهم، فقال تعالى عن أهل بيعة الرضوان ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ [الفتح:18]، فكانت المبايعة سببًا للرضوانِ (الشنقيطي ، 9/ 53)، فنفى عنهم الشينَ والنقصَ، فرضي الله عنهم أجمعين ونفعنا بحبهم (القرطبي (3/ 264)، فَقَدْ علمَ ما في قلوبهم من صدق النية والوفاء بالبيعة، فعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- قال: قال لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يوم الحديبية: «أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ» وكنا ألفًا وأربعَمِئَة (البخاري ، رقم : 4154).

6-استخلفهم الله- تعالى- في الأرض لتمكين دينه ونشره بين الناس، كما قال- تعالى- مخاطباً نبيه وأصحابه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:55]، فأجمعت الصحابة على تقديم الصديق (القرطبي ، 1/ 264)، كما قال تعالى : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج:41] . فالمرادُ بهم- على قولِ بعضِ المفسرين- الصحابة- رضى الله عنهم- أو الخلفاء الأربعة؛ الذين مُكِّنوا في الأرض بالخلافة، وفعلوا ما وصفهم الله به، ونفاذ الأمر وساروا سيرة عادلة (ابن عجيبة، 3/ 538).

7-أثنى الله- سبحانه وتعالى- عليهم، فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:110]، فهذا يدل على أن أول هذه الأمة أفضل ممن بعدهم، وأن مَنْ صحب النبي -صلى الله عليه وسلم - ورآه ولو مرة في عمره أفضل ممن يأتي بعده، وإن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل، وقد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة أفضل ممن كان في جملة الصحابة (القرطبي (4/ 171)، والخطاب في الآيات يدخل فيه الصحابة- رضي الله عنهم- دخولاً أولياً، لأنهم أول من خوطب بهذه الآيات الكريمات من الأمة المحمدية، ولتحقق التمكين لهم في الأرض كما وعدهم الله.

8-جعل الله- سبحانه- الصحابة والأمة من بعدهم شهوداً على الأمم، وذلك لفضلهم وخيريتهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:143]. فذكر تعالى أن الرسول- عليه السلام- والمؤمنين يرون أعمالهم، ويشهدون يوم القيامة، عند حضور الأولين والآخرين، بأنهم أهل الصدق والسداد والعفاف والرشاد (القاسمي ،5/ 497)، ومعنى الوسطية هنا: كونهم عدولاً وأخياراً، كما قال النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-

«يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ. ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ-: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطا، قَالَ: عَدْلاً، ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة:143] (البخاري، برقم: 7349)، والصحابة أَوَّلُ الأمةِ دُخُوْلاً في هذه الآية، وهذه نبذةٌ من معرفةِ الصحابة والتابعين الذين نطق بفضلهم القرآن الكريم، رضوانُ الله عليهم أجمعين (القرطبي، 8/ 240).

9-هم خير القرون، قال النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي الَّذِين بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» (البخاري، برقم: 3651)، وقال- صلى الله عليه وآله وسلم-: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ولاَ نَصِيفَهُ» (البخاري، برقم: 3673). وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قائلا عن الصحابة: «مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم -كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ -صلى الله عليه وسلم - وَنَقْلِ دِينِهِ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ فَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ» (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 1/ 305). وقلوبهم خير القلوب، قال عبدالله ابن مسعود- رضي الله عنه-: " إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ- صلى الله عليه وسلم - خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ " (أحمد في المسند ، برقم: 3600).

10-شهادة الأمة بعدالة الصحابة، قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي : "وقد أثنى الله تعالى على أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم -ورضي عنهم في القرآن، والتوراة، والإنجيل ، قال تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29] ، وسبق لهم على لسان رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنَّأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين ، أدَّوا إلينا سنن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- عامّاً وخاصاً وعزماً وإرشاداً ، وعرفوا مِنْ سُنَنه ما عرفنا وجهلنا، وهم فَوقَنا في كل علمٍ واجتهاد وورعٍ وعَقْلٍ وأمرٍ (البيهقي ، المدخل إلى علم السنن ، 2/ 533، برقم: 1145، مناقب الشافعي للبيهقي، 442/1) . وقال ابن أبي حاتم: فأما أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله -عز وجل- لصحبة نبيه- صلى الله عليه وآله وسلم- ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة ، وجعلهم لنا أعلاماً وقدوة ، فحفظوا عنه- صلى الله عليه وآله وسلم- ما بلغهم عن الله -عز وجل- وما سنَّ وشَرَع وحَكَم وقضى ونَدَب وأَمَر ونَهى وحَظَرَ، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا في الدين، وعلموا أمر الله ونهيه ومراده، بمعاينة رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، وتلقفهم منه واستنباطهم عنه، فشرفهم الله – عز وجل – بما مَنَّ عليهم وأكرمهم به من وَضْعِهِ إياهُم موضعَ القُدوة فنفى عنهم الشكَّ والكذب والغلط والرِّيبة والغَمْز ، وسمَّاهم عُدول الأمة ، فقال -عز وجل- في محكم كتابه : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:143]، ففسر النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- عن الله قوله (وسطاً) قال : "عدلاً" ، فكانوا عدول الأمة وأئمة الهدى وحُجج الدين ونَقَلَة الكتاب والسنة، ونَدَبَ الله -عز وجل- إلى التمسك بهديهم والجَرْيِ على منهاجهم، والسلوك لسبيلهم، والاقتداء بهم، فقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء:115] (ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، 7/1).

11-حضَّ النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- على التبليغ في أخبارٍ كثيرةٍ، ووجدناه يخاطب أصحابه بذلك، منها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم - خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: «أَلاَ تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِيَوْمِ النَّحْرِ» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا، أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الحَرَامِ» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، وَأَبْشَارَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّهُ رُبَّ مُبَلَّغٍ يُبَلِّغُهُ لِمَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ» فَكَانَ كَذَلِكَ، قَالَ: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» (البخاري ، برقم: 7078) ، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» (البخاري ، برقم: 3461). ثم تفرقت الصحابة- رضي الله عنهم- في النواحي والأمصار والثغور وفي فتوح البلدان والمغازي والإمارة والقضاء والأحكام ، فَبَثَّ كل واحد منهم في ناحيته وبالبلد الذي هو به ما وعاه وحفظه عن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وحكموا بحكم الله -عز وجل- وأمضوا الأمور على ما سنَّ رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وأفتوا فيما سئلوا عنه مما حضرهم من جواب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- عن نظائرها من المسائل، وجرَّدوا أنفسهم - مع تَقْدُمة حُسْنِ النية والقربة إلى الله تَقَّدس اسمُه - لتعليم الناس الفرائض والأحكام والسنن والحلال والحرام حتى قبضهم الله -عز وجل- رضوانُ الله ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين" (الجرح والتعديل، 1/7-8).

12- شهادة الأمم لهم؛ فلقد شهدت البشرية، شُعُوبًا وقبائلَ وأممًا في شمال الأرض وجنوبها وشرقها وغربها، صدق الصحابة والتابعين؛ إذ عاشرتهم وعاينت أحوالهم في السِّلم والحرب؛ فأحبتهم الأمم وتعلقت بهم، لما رأت فيهم النموذج الأكمل للمؤمن الصادق، حتى صار الفتح في قلوبهم فتحَ محبةٍ ووفاءٍ واقتداءٍ وثناء، لا فتحَ قهرٍ وكراهية. وسرُّ ذلكَ أن هؤلاء الفاتحين لم يأتوا يبتغون دنيا الناس، وإنما جاؤوا ليخرجوا الأمم من الظلمات إلى النور، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، قال تعالى : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:83]، وقوله سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:110]، وجيل الصحابة ومن بعدهم ممن تبعهم بإحسان هم الذين رووا لنا ما شاهدوا من البينات والخوارق والمعجزات التي كانت سبباً في زيادة إيمانهم وقوته، ومن هذا يتبين أن إعداد الصحابة لحمل الرسالة لم يكن أمرًا عارضًا ولا اجتهادًا بشريًا محضًا، بل كان إعدادًا ربانيًا محكمًا تجلت معالمه في تزكية الله للصحابة، وشهادة القرآن والسنة بصدق إيمانهم، ورضا الله عنهم، واستخلافهم وتمكينهم في الأرض، وكانوا خير القرون وأعدل الأمة وأصدقها نقلًا. وقد اقترن ذلك بتوجيه نبوي واضح إلى حفظ الدين وتبليغه، فقاموا بأمانة الرواية والدراية، وتفرقوا في الأمصار يعلمون الناس الكتاب والحكمة، ويحكمون بشرع الله، ويثبتون معاني الإيمان في الواقع سلوكًا وجهادًا وعدلًا. ثم شهدت لهم الأمم التي خالطتهم في السلم والحرب بصدقهم ونزاهتهم، فكان فتحهم فتح هداية ورحمة قبل أن يكون فتح قوة وغلبة. وبذلك تكتمل صورة هذا الجيل الفريد؛ جيل اصطفاه الله لنصرة خاتم رسله، وحفظ دينه، وإبلاغه للناس كافة، لتبقى الرسالة محفوظةً قائمةً إلى قيام الساعة.

المبحث الثاني

دقة توثيق الصحابة والتابعين للأحاديث النبوية

كان الصحابة الكرام يعلمون أنَّ دخولهم الجنة متوقف على تأسيهم بأفعال النبي -صلى الله عليه وسلم -وأحواله، وطاعتهم لأقواله، فكانت أعينهم شديدة المراقبة لحركات الرسول -صلى الله عليه وسلم -وسكناته، وكانت آذانهم مرهفة السمع لأقواله ، وكانت قلوبهم متلهفة ومتعطشةً لسماع الحق والنور والهدى ومعرفته وقبوله فنقلوا لنا فيما نقلوا بينات رسالته، وأحوال عبادته، وحديثه وهديه وسنته، ودقائق أحواله الشخصية وجميع تصرفاته عليه الصلاة والسلام، مع أصحابه وأهله وأعدائه، وتفاصيل عادته في يقظته ونومه وطعامه وشرابه وسائر شؤونه، وتصرفه في أحرج اللحظات التي مرت به وكذا في حربه وأوج انتصاراته، وحين المكاره، وتفاصيل محاولات الكفار والمنافقين لخداعه ومساوماتهم له، فكانت سيرته العطرة صلى الله عليه وآله وسلم نوراً مشاهداً لمن حوله. ثم نقل لنا هؤلاء الأصحاب ما رأوه وشاهدوه وسمعوه من معجزات نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم وأقواله وأفعاله ، يحدوهم الشوق للأجر في تبليغ العلم والدين كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أ نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فحَفِظَهَا فَوَعَاهَا وحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ» (الترمذي، برقم: 2658)، ويدفعهم القرآن إلى الحذر من كتمان العلم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:195-160]. وكقوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» (الترمذي، رقم: 2649، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب 52/1) ، ولقد كانت أعين الصحب الكرام تصور كل شيء من الرسول -صلى الله عليه وسلم -في كل شؤون حياته، وكانت آذانهم كأجهزة التسجيل الدقيقة التي تلتقط كل شيء عنه؛ لأنهم يعلمون أن دخولهم الجنة ونجاتهم من النار متوقف على متابعته، فنقلوا ما

نقلوه بدقة بالغة وأمانة عالية، لأنهم يعلمون حرمة الكذب في دين الإسلام عامة، وحرمته بشكل أشد على الرسول صلى الله عليه وسلم، كيف وقد رووا عنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (البخاري، برقم: 1291)، حتى كان بعضهم يتحرج من الرواية عنه صلى الله عليه وآله وسلم خشية أن يخطئ فينقل ما لم يسمع فعَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ: إِنِّي لاَ أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -كَمَا يُحَدِّثُ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ؟ قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أُفَارِقْهُ، وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (البخاري، برقم: 107) ، ولم يكن أحدٌ من الصحابة- رضي الله عنهم- يُحدِّث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم -إلا بما ثبت عنده وتيقَّن أنه قاله، ويجزم بذلك؛ خشيةَ الوقوع في تحريفٍ، أو نقلِ ما لم يسمعه على وجه الدقة، أو الخطأِ في أداء الحديث فيتحمَّلون وزرًا عظيمًا. لذلك كانوا يتحرَّون في الرواية أشدَّ التحري، ويتحفَّظون فيما ينقلونه. وهذا يدل على عِظَم مسؤولية نقل السنّة، والتزامهم بالدقة في نقل كلام الرسول- صلى الله عليه وسلم- كما يبيّن مدى التوثيق البالغ لسنته- صلى الله عليه وآله وسلم- وجاء الجيل الذي بعد الصحابة الكرام، وهم التابعون ينقلون آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي- صلى الله عليه وسلم- ومنها بينات رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ومعجزاته وأقواله وأفعاله، يدفعهم شوقهم للأجر الكبير في طلب العلم كقوله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ» (البخاري، برقم: 71) . وقوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ» (ابن ماجة، برقم: 223)، فكان هؤلاء التابعون أرضاً صالحةً طيبة تتشرب نصوص السنة النبوية وأخبارها، تحفزهم دوافع التلقي نفسها التي كانت تحفز الصحابة على التلقي وأخذ الدين، ويحثهم على الضبط والإتقان ما كان يحث الصحابة الكرام على ذلك، وكانوا يعوضون ما فاتهم من مشاهدة الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- وسماعه بكثرة أسئلتهم لشيوخهم من الصحابة ودقة حفظهم، فكانوا كأدقِّ آلات التسجيل حفظاً،

يخشون أي زيادة أو نقص في الدين، واستعانوا بالتدوين لحفظ ما سمعوا من أقوالِ وأفعالِ ومعجزاتِ الرسول- صلى الله عليه وسلم- وهكذا من جاء بعدهم من تابعيهم وتابع تابعيهم إلى أن اكتمل تدوين علم الحديث النبوي، كما دونت معه المعجزات وبيناتُ الرسالة في الكتب المصنفة التي تناقلها الآلاف المؤلفة من المسلمين جيلاً بعد جيل عن طريق الحفظ والكتابة معاً، بحيث يستحيل معه التشكيك فيها أو نقدها. وقد اشترط المحدثون للحديث الصحيح شروطاً بالغة الدقة، ومنها أن يكون جميع رواة الحديث عُدولاً سالمين مما يقدح في دينهم، ضابطين لما نقلوه من العلم حفظاً وكتابة مما يبعث على الثقة في نقلهم. بالإضافة إلى ما بذله حَمَلَة الحديث من جهود عظيمة لجمع الحديث النبوي وتصنيفه وتأليفه، وحفظه عن ظهر قلب، وقد كانوا يسافرون المسافات الطويلة ويتحملون مَشَاقَّ السفر والاغتراب للقَاءِ أكابر العلماء والمحدثين لجمع الحديث النبوي، والبحث عن الأسانيد العالية، التي تمتازُ بقرب الناقلين إلى النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- يبذلونَ في ذلك أموالهم وأوقاتهم وجهودهم رخيصةً في سبيل جمعه، ويسافر أحدهم الليالي والأيام لطلب الحديث الواحد (عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، 2/ 74)، فعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- يقول: بلغني عن رجل حديث سمعه عن رسول الله- عليه الصلاة والسلام- فاشتريت بعيرا، ثم شددت رحلي فسرت إليه شهرا حتى قدمت الشام، فإذا عبد الله بن أنيس، فقلتُ للبواب: قل له جابر بن عبد الله على الباب. فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم. فخرج فاعتنقني، فقلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله، عليه الصلاة والسلام، فخشيت أن أموت قبل أن أسمعك. فقال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم -يقول: «يَحْشُرُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَوَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ حَتَّى يَقْتَصَّهَا مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةَ». قَالَ: «وَكَيْفَ، وَإِنَّمَا نَأْتِي عُرَاةً غُرْلًا؟» قَالَ: «بِالحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ» (عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 2/ 74، رقم: 78). وكان الصحابة رضي الله عنهم يقيمون المجالس العلمية لسماع الحديث النبوي وإملائه واختبار حفاظه، وإقامة المدارس لتعليمه للأبناء، مع ما يبذلونَ من جهودٍ في تدوينه وترتيبه وتبويبه والفحص عن العلل التي قد تكون في

إسناده أو متنه، والتحري في ألفاظه وجمع رواياته، والبحث في أحوال رواته وسيرتهم للتوثق من صحة ما ينقلونه من الحديث، حتى وجد في الأمة من يحفظ عشرات الآلاف من الأحاديث بأسانيدها عن ظهر قلبٍ، وكل ذلك يعملونه بنفوس راضية مطمئنة مستبشرة بما تناله من الأجر من الله- سبحانه- على ذلك، لأنه يُشَكِّل بالنسبة لهم دينهم الذي تقوم عليه سعادتهم في الدنيا والآخرة، ممتثلين أمر ربهم عز وجل القائل سبحانه : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: من الآية7]. فقد وثق الصحابةُ السنّةَ النبوية فراقبوا أقوال النبي - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله وأحواله بدقةٍ متناهية، وحملهم شوقُهم للهداية والنجاة على ضبط سنّته وضبط ألفاظها ومعانيها، مع تعظيمٍ شديد لحرمة الكذب عليه والتحرّز من الخطأ في النقل، حتى تَحرّج كثيرٌ منهم من الإكثار من الرواية خشيةَ الزيادة أو النقص. ثم جاء التابعون فكانوا امتدادًا أمينًا لذلكَ المنهج؛ عوَّضوا عدمَ المشاهدة بكثرة السؤال، وشدة الحفظ، واعتماد التدوين، واستمر هذا المسار في الأجيال اللاحقة حتى اكتمل علم الحديث بأصوله وشروطه الدقيقة في العدالة والضبط واتصال السند ونقد المتون والعلل. وبذلكَ تضافرت الجهود من الحفظِ والكتابةِ، والرحلةِ في طلب العلم، والتمحيصِ في الرجال والأسانيد، لتصل السنّة إلى الأمة الإسلامية محفوظةً موثَّقة، ويظهر معها صدقُ الرسالة وبيناتُ النبوة ومعجزاتها، بما يقطع طريق التشكيك ويؤكد أن الله تعالى حفظ دينه بجهود أوليائه من الصحابة والتابعين وحَمَلَةِ الحديث عبر القرون.

المبحث الثالث

أعظم منهج علمي في نقد الرواية

توالت السنين وتعاقبت القرون، فظهر بعد جيل الصحابة والتابعين من لا يُوثق بروايته، وبدأت الفتن تطل برأسها؛ والفتن إذا انتشرت عصفت بالأمم وغيّرت مساراتها، غير أنّ الله تعالى هيّأ لهذه الأمة أئمة الحديث والجرح والتعديل، فنهضوا لحفظ السنة، واعتنوا بعلم التاريخ، وعلم الرجال، وقواعد الجرح والتعديل؛ صيانةً للدين وتمييزًا للصحيح من السقيم؛ فظهر حال كل راوٍ من حيث أنه معروف أو مجهول، ومن حيث مدى حفظه وضبطه وإتقانه، وشيوخه وتلاميذه، وسنة ولادته وسنة موته، وهل بقي الراوي على حفظه كما هو أم تغير في آخر عمره لِكِبَر سنِّه، أو لحادثٍ أصابه، وما أشبه ذلك من مقاييس الجرح والتعديل، بل وصل الأمر إلى جمع روايات الثقات العدول ومقارنتها لمعرفة إن كان أحدهم قَدْ وَهِمَ في لفظة أو جملة، إلى أن استقر الأمر عند علماء الحديث والسنة، فوضعوا شروطاً للحديث الصحيح المقبول عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهي أن يكون الحديث المروي:

أولا: أن يكون منقولاً بنقل العدول الضابطين؛ بمعنى أن العدل، يقتضي السلامة من الفسق وخوارم المروءة. أمَّا الضبطُ فعلى نوعين: ضبط في الصدر؛ بأن يكون الراوي متقناً ذاكراً لما يحفظه تماماً، وضبط الكتاب؛ بمعنى أن يكون الراوي ممن يصون كتابه لديه من حين سمع فيه وصححه إلى أن يؤدي منه أو يروى عنه.

ثانيا: أن يكون متصل الإسناد؛ بأن يكون كل راوٍ قد سمع الحديث من شيخه، فلا يكون منقطعاً.

ثالثا: أن يكون سالماً من الشذوذ ومخالفة الثقة لمن هو أوثق منه ومن العلة القادحة؛ بما فيه علة خفية قادحة في إسناده أو في متنه؛ والعلة: سبب غامض خفي قادح في صحة الحديث مع أن الظاهر السلامة منه، ولا يعرف ذلك إلا أئمة هذا العلم (نزهة النظر، ص83).

رابعا: استبعاد من كان مجروحاً من الرواة؛ بأي سببٍ من أسباب الجرحَ، والتي لُخِّصت في عشرة أسباب: (1-الكذب. 2-التهمة بالكذب. 3-الفسق. 4-البدعة. 5-الوهم. 6-الجهالة سواء كانت جهالة عين أو جهالة حال، فجهالة العين: ألا يعرف من هو هذا الراوي، بأن لا يعرف إلا من رواية شخص واحد عنه، ولم يوثقه معتبر، وجهالة الحال: أن تجهل عدالة الراوي وإن كان شخصه معروفاً. 7-فُحش الغلط. 8-سوء الحفظ. 9-الغفلة. 10-مخالفة الثقات (نخبة الفكر للحافظ ابن حجر مع شرحها نزهة النظر، ص116-117)، ومما يبين صحة منهج المحدثين رحمهم الله ومنهجيتهم العلمية الدقيقة: عدم قبولهم الخبر المكذوب الذي زعم واضعه أنه قصد بوضعه نصرة الدين الإسلامي، أو الحث على بعض فضائل الأعمال، بل اعتبروا ذلك ضلالاً من فاعله وابتداعاً في الدين (تدريب الراوي 283/1؛ ونزهة النظر، ص121-122) . وبهذا يظهر لنا تميز منهج النقد والتوثيق في الحديث النبوي، الذي يشترط الشروط الدقيقة في الرواية، حتى يطمئن المحدث بأنَّ كل من في سند الرواية عدل أمين في روايته، ضابط دقيق في نقله، وبهذه الطريقة الأمينة الدقيقة نُقلت إلينا السنة النبوية، وأخبار المعجزات، ووجدنا المعجزة تُروى من عدة طرق لرواتها عن الذين حضروها وشاهدوها، فتتكاملُ تلك الروايات ويُصدِّق بعضُهَا بعضاً، وتلتقي مع ما ذكره القرآن أو أشار إليه، وليس هناك شخص في التاريخ توفرت لأمته تلك الدوافع والحوافز وقواعد الضبط والتحري لنقل أقواله وأفعاله غير محمدٍ- صلى الله عليه وآله وسلم- لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين الذي جعله الله حجة على العالمين، وتكفل الله بحفظ بيناته ومعجزاته في سجلات صادقة موثوقة لتقوم بها الحجة على من يأتي بعده إلى قيام الساعة. فهذا المنهج أعظم منهجٍ علميٍّ في نقد الرواية وتمييز صحيحها من سقيمها، بل هو منظومة دقيقة تجمع بين علم التاريخ والرجال، وتتبّع أحوال الرواة حفظًا وضبطًا وعدالةً واتصالًا، مع فحص المتون والأسانيد، وكشف الشذوذ والعلل الخفية، ومقارنة الروايات بعضها ببعض لتحديد مواضع الوهم والغلط. ولم يقف هذا المنهج عند التنظير، بل انتهى إلى قواعد محكمة وشروط صارمة للحديث الصحيح، واستبعاد كل ما تطرق إلى روايته كذبٌ أو تهمة أو ضعفٌ أو جهالة أو سوء حفظ أو مخالفة للثقات، حتى لو ادّعى الواضع أنه قصد نصرة الدين أو الترغيب في فضائل

الأعمال. وبذلكَ تميّزت السنة النبوية بمنظومة توثيق فريدة لم يعرفها تاريخ الأمم بمثل هذا الاتساع والدقة والصرامة، فانتقلتْ إلينا أقوال النبي- صلى الله عليه وسلم- وأفعاله ومعجزاته في سجلاتٍ موثوقة متكاثرة الطرق، يصدق بعضها بعضًا، وتتوافق مع أدلة القرآن ودلالاته، لتبقى الحجة قائمة على العالمين إلى قيام الساعة.

المبحث الرابع

أبحاث الإعجاز في ضوء منهج السلف والمفسرين

إن قضايا الإعجاز العلمي محصورة في النصوص التي تسفر عن معانٍ ومشاهدات لكيفيات وتفاصيل جديدة عبر العصور، أمَّا ما يتعلق بنصوص العقائد والغيبيات والعبادات، والمعاملات والأخلاق، فقد بينها رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ووضح تفسيرها (التفسير والمفسرون للذهبي، 1/ 34). والمعجزات والشواهد باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿لَكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء:166]، فهي عِلمُه الذي أراد أن يطلع العباد عليه، من البينات والهدى والفرقان (ابن كثير، 2/ 476). ولا يدركُ دلائلَ الإعجاز إلا من كان ذو بصيرة نافذة، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد:19]، فأسرار الكون وخفاياه؛ كتب الله التوفيق للسلف والمفسرين لمعرفتها، فشرحوا الآيات والأحاديث؛ بفضلِ اهتدائهم بنصوصِ الوحي؛ المنزل ممن يعلم السر في الأرض والسماء، وبما علم لهم من دلالاتِ الألفاظِ، ومعاني الآيات. فكانَ للسلفِ والمفسرينَ وشراح الحديث منهجٌ سديدٌ، في التعامل مع الأمور الغيبية؛ التي جاء بها الوحي، بالوقوف على ما دلت عليه النصوص، دون تكلف، بحدود الحس والزمان والمكان المحيط ببيئة الإنسان. وَكَلامُ الخالق سبحانه عن أسرار خلقه في الآفاق والأنفس غيبٌ، قبلَ أن يرينا الله حقائق تلك الأسرار، ولا طريقَ لمعرفة كيفياتها وتفاصيلها قبل رؤيتها، إلا ما سمعنا من طريق الوحي، فمعاني الآيات ودلالتها اللغوية معلومة، لكن الكيفيات والتفاصيل محجوبة، وإنما يأتيْ وصف حقائق الوحي الكونية، بدقائقها وتفاصيلها، بعدَ أن يكشفها الله ويجليها للأعينِ، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت:53]. فَمَا يُوصَفُ من خِلالِ نص يُسمعُ، يُعرَف الجزء الظاهر منه، ولا يرى مدلوله الواقعي إلا بعد السماع والمشاهدة لتأتي المشاهدة متوافقة مع السماعِ، ولقد وُفِّقَ السلفُ الصالح من المفسرين كثيرا في شرحهم لمعاني الآيات في

القرآن والسنة، رغم احتجاب مشاهدة حقائقها الكونية، مع أن المفسر الذي يصف حقائق وكيفيات الآيات الكونية، في الآفاق والأنفس، وهي محجوبة عن الرؤية في عصره، قياسا على ما يرى من المخلوقات، وفي ضوء ما سمع من الوحي، يختلفُ عن المفسر الذي كُشِفت أمامَهُ اليوم مشاهدة الآية الكونية، فجمع بين ما سَمِعَ من الوحي، وبينَ ما شاهد في الواقع. ولم يقف المفسرون في مجالِ الأمور الكونية عند حدود ما دلت عليه النصوص، بل حاولوا شرحها بما يسر الله لهم من الدراية؛ التي تيسرت لهم في عصورهم، وبما فتح الله به عليهم من أفهام، وكانت تلك الجهود العظيمة التي بذلها المفسرون عبر القرون، لشرح نصوص الوحي المتعلقة بالأمور الكونية، التي لم تكشف في عصرهم؛ مبينة لمستوى ما وصلَ إليه الإنسان من علم في تلك المجالات، ومبينة لمدى توفيق الله لهؤلاء المفسرين. فإذا ما حان حِينُ المشاهدة للحقيقة الكونية في عصرنا، ظهر التوافق الجلي بين ما قرره الوحي وما شاهدته الأعين، وازداد الإعجاز تجلياً وظهوراً. فيتضح من هذا أن أبحاثَ الإعجاز؛ عند ضبطها بمنهج السلف والمفسرين، اجتهادٌ منضبطٌ في النصوص التي تحتملُ الكشف عن معانٍ كونية، تتجدد مشاهدتها عبر العصور، مع بقاء نصوص العقائد والغيبيات والعبادات والمعاملات والأخلاق على ما بيّنه الوحي وشرحه النبي- صلى الله عليه وسلم- دون تحميلها ما لا تحتمل. كما يظهر أن منهجَ السلف قام على الوقوف عند دلالة النصوص، واحترام حدود الحس والزمان والمكان، مع التسليم بأن كثيرًا من الكيفيات لدلالة الآيات الكونية وتفاصيلها كانت محجوبة عن الأعين في العصور المتقدمة، وجاء العلم الحديث وكشفها، فازداد الإعجاز ظهورًا وتجليًا، وتأكد أن ما في القرآن والسنة من الدلالة الكونية إنما هو من علم الله الذي يريه أهل البصائر، ويكون شاهدا متجددا على صدق الرسالة، يزداد وضوحًا كلما اتسعت معارف الإنسان، ما دام البحث منضبطًا بقواعد السلف في الفهم، وبأمانة النقل، وبالعلم الموثوق الذي لا يختلط بالأوهام والظنون.

المبحث الخامس

أهمية أبحاث الإعجاز العلمي وثمارها

إذا كان معاصرو رسولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قد عاينوا بأبصارِهم كثيرًا من المعجزاتِ الحِسّيّة، فإن الله أظهر لأهل هذا العصر آيةً باقيةً تناسبُ طبيعة الزمان وما بلغه من تقدّمٍ علمي؛ لتقوم بها الحُجّة وتتجلّى بها الدلالة؛ وبهذا ينتقل الخطاب الإلهي بالحُجّة إلى دائرة البرهان المستمر؛ فالمعجزة الحِسّية تنقضي بانقضاء زمانها، أما المعجزة العلمية فيتجدّد مجالها بتجدّد أدوات المعرفة واتساع آفاق الاكتشاف والنظر في الكون. كما يضع الوحي معيارًا يَزِن به الإنسانُ المعارفَ العلمية ويهدي بها في مَسَارَ الفهم الصحيح: فما ثبتَ قطعًا بالمشاهدة الصحيحة والتجربة المنضبطة ولم يعارضه نصٌّ صحيح ولا دلالة صريحة وكان حقيقة قطعية انتهى إليها البحث العلمي أخذ به وأعمل في مجاله، وتتمثل أهمية أبحاث الإعجاز العلمي فيما يلي:

1-تجديد بينات الرسالة و إقامة الحجة على الناس: فإن أبحاث الإعجاز العلمي في عصر الكشوف العلمية كفيلة بتقديم أوضح الحجج، وأقوى البينات، لمن أراد الحق من سائر البشر.

2-زيادة إيمان المؤمنين: فظهور البينات العلمية يسكب الثقة واليقين في قلوب المسلمين الذين افتتنوا بغيرهم من الكفار عن دينهم ؛ باسم العلم والتقدم، وفي هذه المعجزات حجج قوية في اليقين، وزيادة في الإيمان، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: 2].

3-ردم الفجوة بين الدينِ والعلم: فإن أهل الأديان المحرفة كذبوا حقائق العلم، وسفهوا طرقه، واضْطَهدوا العُلَماءَ، فأعلنَ حَمَلةُ هذه العلوم التجريبية الحربَ على الدين، ونزعوا القداسة عنها، وكشفوا ما فيها من أباطيل وخرافات، وفصلوا بين العلم والدين، وأصبحت البشرية في متاهة بعيدة عن الدين، تبحثُ عن الدينِ الحق؛ الذي يدعو إلى العلم، والعلم يدعو إليه.

وبإمكانِ المسلمينَ اليوم أن يتقدموا لتصحيحِ مسارِ العلم في العالم، ووضعه في مكانه الصحيح؛ طريقاً إلى الإيمانِ بالله ورسوله، ومصدقًا بما في القرآنِ، ودليلا على الإسلام، وشاهدا بتحريف غيره من الأديان؛ فَقَدْ جَعلَ الله النظر في المخلوقات؛ الذي تقوم عليه العلوم التجريبية طريقاً إلى الإيمان به، وطريقاً إلى الإيمان برسول الله.

4-إنقاذُ البشرية بمنهجٍ عِلمي يجمعُ بين حقائق الروح وحاجاتِ الجسد: فإن البشرية بحاجة إلى الدين الحق؛ لإنقاذِها مما حل بها من خواء في الروح، وضياع في الشعور، وشقاء في النفس، بحاجة إلى الدينِ الذي يَجمعُ لها بين الدين والعلم، والمادة والروح، والنظام والخلق وسعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة، ولكنها بحاجة إلى دليلٍ من العلم يثبتُ لها صحة الدين، وفي هذه الأبحاث جواب، ومما يبشر بإمكانية تحقيق هذا الهدف، وجود قاعدة كبيرة من علماء الكون المنصفين، الذين لا يترددون في إعلان ما يقتنعون به من الحق، وهم أهل الكلمة في شعوبهم، ولا يستطيع المكابرون والجاحدون أن يحجروا عليهم في كثير من بلدان العالم، فيما عدا البلاد الشيوعية؛ التي جعلت الإلحادَ منهجاً لها في الحياة. ولكن وسائل الإعلام المعاصرة قد تكون سبباً لإبلاغ أهل تلك البلاد حقائق العلم والإيمان، وربما فتح الله فيها ما لا يتيسر في غيرها.

5-تنشيط حركة الاكتشافات الكونية: فإنَّ التفكر في مَخْلُوقَاتِ الله عبادة، وتدبر معاني الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عبادة، وتقديمها للناس دعوة، وهذا كلُّه يتحققُ في أبحاثِ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وهذا من شأنِهِ أن يحفز المسلمين إلى اكتشاف أسرار الكون؛ بدوافع إيمانية، فتعبر بهم فترة التخلف التي عاشوها فترة من الزمن، في كل المجالات العلمية. وسيجد الباحثون الهدايةَ في كلامِ الخالقِ عن أسرار مخلوقاته، وأدلةٍ توجه سيرهم في أبحاثهم، وتقرب لهم النتائج، وتوفر لهم الجهودَ كإطارٍ منهجي يفهمُ في ضوئه قضايا الإعجاز وما يتصل بها من دلائل لتبقى حجة الوحي قَائِمةً على العالمين إلى قيام الساعة.

فمن هذا يتضح أن أبحاثَ الإعجاز العلمي أهم المسالك في تجديدِ بيناتِ الرسالةِ في عصرٍ صارَ فيه العلم لغةَ الإقناع الأولى عندَ أكثر الناس. فهي تُقيم الحجةَ على الباحثين عن الحق بما يكشفه الواقع العلمي من توافقٍ مع دلائلِ الوحي، وتزيد المؤمنين يقيْنًا وثباتًا أمامَ موجات

التشكيك التي تُلبَّس باسم العلم التقدم، فتُعيد للقلوب الثقة بأن القرآن والسنة هدىً ونورٌ صالحان لكل زمان. كما تؤدي هذه الأبحاث دورًا حضاريًا مهمًا في ردم الفجوة المصطنعة بين الدين والعلم؛ إذ تُظهر أن الإسلام لا يعادي المعرفة، بل يجعل النظر في المخلوقات طريقًا إلى الإيمان بالله ورسوله، ويضع العلم في موضعه الصحيح: وسيلةً للهداية يمتد إلى تنشيط حركة البحث والاكتشاف لدى المسلمين، ويتحول التدبر والتفكر إلى مشروع علميٍّ واعٍ يستلهم من الوحي إطارًا منهجيًا يوجّه الأسئلة ويضيء المسارات، وبذلك تبقى دلائل الوحي متجددة، وتظل حجته قائمةً على العالمين إلى قيام الساعة.

الفصل الثالث

دلائل الإعجاز العلمي الوقائي في الطهارة والنظافة الجسدية

تندرج المعجزات الصحية ضمن «الإعجاز العلمي» في القرآن والسنة المتعلق بصحة الإنسان وحمايته من الأمراض؛ وقَدْ تقررَ أن الإعجاز العلمي هو: إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقةٍ أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول- صلى الله عليه وسلم- وفي هذا الفصل يتجه النظر إلى جانبٍ مخصوص من هذا الإعجاز، وهو «الإعجاز الوقائي»؛ أي ما تضمنته دلائل الإعجاز في الهدي النبوي من توجيهاتٍ عمليةٍ تسبق كثيرًا من مبادئ الصحة العامة والطب الوقائي، وتؤسسُ لبيئةٍ نظيفةٍ وسلوكياتٍ صحيةٍ ثابتةٍ، تُسهم في تقليل انتشار العدوى، وحماية البدن من أسبابِ المرض، وصيانةِ المجتمع من كثيرٍ من الأوبئة والعلل. وإذا كانتِ الطهارةُ في الشريعة شَرْطًا لصحة عباداتٍ كبرى، فإن آثارها تتجاوز نطاق الشعائر إلى ترسيخ السلوك الصحي اليومي؛ فهي تكرارٌ منظم للنظافة، وتعويدٌ على العناية بالجسد والبيئة، وربطٌ بين الصفاء الحسي والصفاء المعنوي. كما أن سنن الفطرة والنظافة الشخصية والبيئية تُكمل هذا البناء الوقائي، فتجعل النظافة سمةً ملازمةً للمسلم، لا طارئةً عليه، وتحوّلها من مجرد عادةٍ اجتماعية إلى عبادةٍ مقصودةٍ ذات مقصدٍ صحيٍّ واضح وفي هذا الفصل نماذج مختارة من الأحاديث النبوية، مع بيان دلائلها الوقائية في ضوء ما استقر من الحقائق العلمية.

المبحث الأول

دلائل الإعجاز العلمي الوقائي في الطهارات التعبدية و أثرها الصحي

جاءتِ الطهاراتُ التعبدية في الإسلام على هيئةِ عباداتٍ متكررة تُلازم المسلم في يومه وأسبوعه، لكنها في الوقتِ نفسه تحملُ بُعدًا وقائيًا واضحًا لحفظِ صحة الإنسان وصيانة بدنه من أسباب المرض. فالوضوءُ والغسل والتيمم وما يتصلُ بها من سننٍ وآداب ليستْ مجرد أعمالٍ شكلية، بل منظومة تربوية وصحية تُعزّز النظافةَ، وتحدّ من انتقال الملوثات، وتُنمّي الوعي بالنقاء الحسي والمعنوي. ويهدف هذا المبحث إلى إبراز وجوه الإعجاز الوقائي في هذه الطهارات، وبيان أثرها الصحي في ضوء ما قررته الخبرة الطبية من أهمية النظافة المتكررة في حمايةِ الإنسان والوقاية من الأمراض. ولقد أمرَ الإسلام بالنظافة والطهارة واعتبرها شطرَ الإيمان وحثَّ الإسلام على نظافة الناس في أجسامهم وملابسهم وعاداتهم، وعلى نظافة الشوارع والبيوت ونظافة الطعام والشراب ونظافة الشواطئ وموارد المياه.

أولا: دلائل الإعجاز العلمي في غسلِ اليدينِ خارجَ الإناء قبلَ الوضوء عندَ الاستيقاظ:

غسل اليدين خارج الإناء قبل الشروع في الوضوء عند الاستيقاظ من السنن النبوية التي تحمل دلالة إعجازية واضحة؛ إذ يجمع هذا التوجيه بين المقصد التعبدي في الطهارة، والبعد الوقائي في حفظ البدن من الأذى والجراثيم. فقد بينت السنة إلى تلوث اليدين أثناء النوم بدون شعور، فكان الأمر بغسلهما قبل إدخالهما في الماءِ حفاظًا على طهورية الماء وسلامة المتوضئ. ومع تطورِ العلوم الطبية وتأكيدها لانتقالِ الميكروبات عبرَ اليدين، يتجلَّى جانبٌ من الإعجازِ في هذا التوجيه النبوي الذي سبقَ المعارف الحديثة ووجّه إلى سلوكٍ صحيٍ دقيق يحقق النظافة والوقاية، فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ» (مسلم، رقم: 278) ، ويقول- صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ، ثُمَّ لِيَنْثُرْ، ومَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ، وإذَا اسْتَيْقَظَ أحَدُكُمْ مِن نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أنْ يُدْخِلَهَا في وَضُوئِهِ؛ فإنَّ أحَدَكُمْ لا يَدْرِي أيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ» (البخاري، رقم: 162). ولقد كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يبين الأحكام الصحية بين المسلمين قَبلَ أن تُكتَشَفَ الكائناتُ الدقيقة الممرضة ليقيهم من أخطارِهَا، ويحثهم علَى النظافة وغسلِ اليدين. ويتمثلُ حرصُ الإسلام في المحافظة على نقاء الماء في هذا الحديث، فقدْ أثبتَ البحث العلمي أَنَّ جِلْدَ اليدينِ يحملُ العديد من الميكروبات التي قد تنتقل إلى الفم أو الأنف عندَ عدمِ غسلهما ويحمل السنتيمتر المربع من الجلد (1-5) مليون جرثومة وتتضاعف هذه الجراثيم كل نصف ساعة، ولذلكَ يجب غسل اليدين جيدا عند البدء في الوضوء، فقد أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بغسل اليدين قبل إدخالهما في الإناء عند الاستيقاظ، وهذا يجمع بين حفظ طهورية الماء وتحقيق الوقاية الصحية، ويكشف عن سبقٍ

نبويٍّ دقيقٍ في انتقال الأذى والجراثيم قبل أن يعرفها الناس علميًا، ودليلًا على إعجاز السنة في توجيه الإنسان إلى النظافة والاحتياط في أرقى صوره، فنظافة اليدين من أهم وسائل خفض انتقال الميكروبات، ومُقرر في إرشادات منظمة الصحة العالمية الخاصة بنظافة اليدين للحد من انتقال الكائنات الممرِضة (World Health Organization, 2009)، فالأمر النبوي يجمع بين الطهارة التعبدية والوقاية الصحية؛ إذ يمنع تلويث ماء الوضوء ويقطع طريق انتقال الأذى والجراثيم المحتمل التصاقها باليد أثناء النوم، كما يؤكد مبدأ الاحتياط الصحي، وهو ما تؤكده المعارف الطبية الحديثة في أن غسل اليدين من أهم وسائل خفض انتقال الميكروبات.

ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي في الوضوء:

الوضوء من أعظم شعائر الطهارة في الإسلام، جعله الله شرطًا لصحة الصلاة، وربطه القرآن والسنة بمعاني الإيمان والصفاء. ومن خلال تكراره اليومي تتجلى دلائل إعجازية تجمع بين التعبّد لله تعالى، وتحقيق النظافة الوقائية وصيانة البدن من أسباب المرض، ولقد شرع الله الوضوء وجعله فرضاً على كل من يريد الصلاة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة: 6). وقال النبي- عليه الصلاة والسلام-: «لا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاةَ أحَدِكُمْ إذا أحْدَثَ حتَّى يَتَوَضَّأَ» البخاري، برقم (6954). «لا يقبَلُ اللهُ صلاةً إلَّا بطُهورٍ، ولا يقبَلُ صَدَقةً من غُلولٍ» (ابن ماجة برقم :220)، وقال- صلى الله عليه وسلم-: «مِفْتاحُ الصلاةِ الطُّهورِ» (الترمذي، برقم: 3) ، وقال- صلى الله عليه وسلم-: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلأُ- ما بيْنَ السَّمَواتِ والأرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ

ضِياءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها» (مسلم ، برقم (223) ، وقال- صلى الله عليه وسلم-: «مَن تَوَضَّأَ فأحْسَنَ الوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِن جَسَدِهِ، حتَّى تَخْرُجَ مِن تَحْتِ أَظْفَارِهِ» (مسلم، برقم (245). وفي الحديث الذي رواه الإمام البخاري، عن حمران بن أبان، قال: «أَتَيْتُ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ، بطَهُورٍ وهو جَالِسٌ علَى المَقَاعِدِ، فَتَوَضَّأَ فأحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم - تَوَضَّأَ وهو في هذا المَجْلِسِ، فأحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ: مَن تَوَضَّأَ مِثْلَ هذا الوُضُوءِ، ثُمَّ أتَى المَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ، قَالَ: وقَالَ النبيُّ- صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ-: لا تَغْتَرُّوا» (البخاري برقم (6433)، ففضيلةُ الوضوء جانبٌ حسيٌ للتطهر وإزالة الأذى، ومقصدٌ تربوي وحافزٌ على الاستقامة وإتمام العبادة بحقها، وبذلكَ يجمع الحديث بين بيان فضل الوضوء وبينَ ترشيد السلوك، وجاءَ النص في الوضوء على نظافة الرأس والأقدام وسائر الأطراف في الوضوء الذي يسبق الصلوات الخمس في اليوم والليلة. قالَ النبي- عليه الصلاة والسلام-: «إنَّ أمَّتي يأتونَ يومَ القيامةِ غرًّا مُحَجَّلَينَ من آثارِ الوضوءِ» (البخاري، برقم (133). فالمسلمُ الذي يريدُ الصلاة يجب عليه أن يتوضأ أولاً فيغسل الوجه واليدين، والرجلين، ويمسحُ الرأس، ومن السنة إلى جانب ذلك تنظيف الفم بالمضمضة، وتنظيفُ الأنف بالاستنشاق والاستنثار، وبذلكَ يتحقق غسل الأعضاء الظاهرة التي يكثر تعرضها للتلوث. ويتعددُ ذلك بعدد الصلوات ونقض الوضوء، وعلميا فإن الوضوء وقاية من الأمراض الجلدية: ففي الوضوء يتم غسل الأعضاء التي هي عرضة للتلوث والغبار كثيراً، كالوجه واليدين، أو التي هي عرضة للاتساخ كالأرجل. وقد جعل الله الوضوء شرطاً لصحة الصلاة، كما اشترط الطهارة لصحة الطواف بالبيت الحرام، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222] ، وقال سبحانه: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: 108]، وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «إذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ، أوِ المُؤْمِنُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِن وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إلَيْهَا بعَيْنَيْهِ مع المَاءِ، أوْ مع آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِن يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مع المَاءِ، أوْ مع آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مع المَاءِ، أوْ مع آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، حتَّى يَخْرُجَ

نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ» (مسلم، برقم (244). وصلاة الجماعة مع المسلمين تستلزم حسن: الحال بالنظافة، حتى لا تنفرَ النفوسُ من حضورها، وبالجملةِ فالإسلامُ قد حتم على المسلم أن يكون نظيفاً خالصاً من الأقذار والأدران والنجاسة. ولم يهمل الإسلام حالة من لم ينتقض وضوؤه، إذ قد يكتفي بالوضوء مرة أو مرتين في اليوم والليلة، بل حثه على تكرار وضوئه، فقد «كانَ النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم -يتوضَّأُ لِكلِّ صلاةٍ، فلمَّا كانَ عامُ الفتحِ صلَّى الصَّلواتِ كلَّها بوضوءٍ واحدٍ ومسحَ علَى خفَّيهِ، فقالَ عمرُ: إنَّكَ فعلتَ شيئًا لم تَكن فعلتَه قالَ عمدًا فعلتُه» (الترمذي برقم (61)، وإن كان لم يوجب ذلك على أمته، فإنه قد رغب فيه، فقال- صلى الله عليه وسلم-: «لا يُحافِظُ على الوُضوءِ إلَّا مؤمِنٌ» (ابن ماجة، برقم: 277)، كَذلكَ دعا الإسلام إلى الوضوء في غير مناسبة الصلاة، فمن ذلك: الوضوءُ للجنُب إذا أراد الأكلَ أو النومَ، والجنب هو من باشر الجماع، أو نزل منه المني احتلاما ولو لم يجامع، والجنابة تستلزم غسل البدن كله. وعلى الرغم من ذلك نرى تشجيع الجنب على الوضوء ريثما يغتسل، وقد «سئل النبيُّ -صلى الله عليه وسلم - عن الجنبِ هل ينامُ أو يأكلُ أو يشربُ؟ قال نعم إذا توضأ وضوءَه للصلاةِ » (ابن ماجة (592) ، وضرب المثل لأمته بذلك فقد «كانَ رَسولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم -إذَا كانَ جُنُبًا، فأرَادَ أنْ يَأْكُلَ، أوْ يَنَامَ، تَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ » (مسلم برقم (305)، وإذا أراد الرجل إعادة الجماع مع زوجته توضأ قبل المباشرة الثانية، فقي الحديث: "إذا أتَى أحَدُكُمْ أهْلَهُ، ثُمَّ أرادَ أنْ يَعُودَ، فَلْيَتَوَضَّأْ. زادَ أبو بَكْرٍ في حَديثِهِ: بيْنَهُما وُضُوءًا، وقالَ: ثُمَّ أرادَ أنْ يُعاوِدَ» (مسلم، برقم: (308)، ويسن الوضوء قبل النوم، ففي الحديث: «إذا أتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وضُوءَكَ لِلصَّلاةِ» (البخاري (247)، ويسن الوضوء عندَ الغضب، ومن مس الميت، ومن حمله، وعند قراءة القرآن والحديث، وعند تلقى العلم، ودخول المسجد، والأذان، والخطبة، وزيارة القبور. وقد أمر النبي -صلى الله عليه وسلم - بإسباغ الوضوء، وهو إتمامه وإحسانه حتى يوفى كل عضو حقه من النظافة، وفي الحديث: «سَمِعْتُ أبَا هُرَيْرَةَ، وكانَ يَمُرُّ بنَا والنَّاسُ يَتَوَضَّؤونَ مِنَ المِطْهَرَةِ، قالَ: أسْبِغُوا الوُضُوءَ، فإنَّ أبَا القَاسِمِ -صلى الله عليه وسلم -قالَ: ويْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» (البخاري، برقم: 165)، وقال- صلى الله عليه وسلم-: «إسباغُ الوُضوءِ شَطرُ الإيمانِ» (سنن النسائي، برقم: 2437). وفي الحديث: «أنَّ

رَجُلًا تَوَضَّأَ فَتَرَكَ مَوْضِعَ ظُفُرٍ علَى قَدَمِهِ فأبْصَرَهُ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم -فقالَ: ارْجِعْ فأحْسِنْ وُضُوءَكَ فَرَجَعَ، ثُمَّ صَلَّى» (مسلم برقم: 243). وقد أثبتَ العلم الحديث بعد الفحص الميكروسكوبي للمزرعة الميكروبية التي عملت للمنتظمين في الوضوء ولغير المنتظمين : أن الذين يتوضؤون باستمرار قد ظهر الأنف عند غالبيتهم نظيفا طاهرا خاليا من الميكروبات، ولذلك جاءت المزارع الميكروبية التي أجريت لهم خالية تماما من أي نوع من الميكروبات في حين أعطت أنوف من لا يتوضؤون مزارع ميكروبية ذات أنواع متعددة وبكميات كبيرة من الميكروبات الكروية العنقودية الشديدة العدوى ، والكروية السبحية السريعة الانتشار ، والميكروبات العضوية التي تسبب العديد من الأمراض وقد ثبت أن التسمم الذاتي يحدثُ من جراء نمو الميكروبات الضارة في تجويفى الأنف ومنهما إلى داخل المعدة والأمعاء ولإحداث الالتهابات والأمراض المتعددة، ولا سيما عندما تدخل الدورة الدموية، لذلك شرع الاستنشاق بصورة متكررة ثلاث مرات في كل وضوء. وقد ثبتَ أن المضمضة تحفظُ الفم والبلعوم من الالتهابات ومن تقيح اللثة وتقي الأسنان من النخر بإزالة فضلات الأطعمة التي قد تبقى فيها، فقد ثبت علميا أن تسعين في المئة من الذين يفقدون أسنانهم لو اهتموا بنظافة الفم لما فقدوا أسنانهم قبل الأوان، وأن المادة الصديدية والعفونة مع اللعاب والطعام تمتصها المعدة وتسرى إلى الدم ومنه إلى جميع الأعضاء، وتسبب أمراضا كثيرة. إن مضمضة الفم بالماء ثلاث مرات، تخلصه من عدد هائل من الكائنات الدقيقة، حيث تستقر فيه أعداد وأنواع كثيرة منها، تزيد على ثلاثمائة مستعمرة، ويتراوح عدد الجراثيم في اللعاب بما يقارب مائة مليون جرثومة لكل مم، كما توجد بعض الفطريات والطفيليات الأولية بأعداد هائلة، وهي تتغذى على بقايا الطعام بين الأسنان، وينتج من نموها وتكاثرها أحماض وإفرازات كثيرة، تؤثر على الفم ورائحته وعلى لون الأسنان وأدائها، فالمضمضة بالماء ثلاث مرات، في خمسة أوقات من اليوم، تخلص الفم من عدد هائل من هذه الكائنات وسمومها. وإن استنشاق واستنثار الماء من الأنف له فوائد طبية كثيرة؛ أهمها: أنه يزيل المفرزات المتراكمة في جوف الأنف، والغبار اللاصق على غشائه المخاطي؛ كغبار المنزل والطلع وبعض بذور الفطريات والعفنيات المتناثرة في الهواء، ويرطب جوف الأنف للمحافظة على حيوية الأغشية المخاطية

داخله، كما أنه يزيل الكائنات الدقيقة التي تعلق في جوف الأنف وتستقر به، وقد وجد الباحثون أن نسبة التخلص من الجراثيم الموجودة بالأنف تزداد بعدد مرات الاستنشاق وأنه بعد المرة الثالثة يصبح الأنف خالياً تماماً منها. لذا فقد وصى النبي- صلى الله عليه وسلم- بالمبالغة في الاستنشاق وتكراره ثلاثاً، ليتم بهذا القضاء على مخزن من مخازن الكائنات الدقيقة، في هذا المكانِ المهم والحيوي، إذ هو المدخل للجهاز التنفسي. كما أن المضمضة تنَمِّي بعض العضلات في الوجه وتجعله مستديرا، وهذا التمرين لم يذكره من أساتذة الرياضة إلا القليل لانصرافهم إلى العضلات الكبيرة في الجسم. وثبت أن غسل الوجه واليدين إلى المرفقين والقدمين له فائدة هامة، وهي إزالة الغبار وما يحتوي عليه من الجراثيم فضلا عن تنظيف البشرة من المواد الدهنية التي تفرزها الغدد الجلدية بالإضافة إلى إزالة العرق، كما ثبت علميا أن الميكروبات لا تهاجم جلد الإنسان إلا إذا أهمل نظافته. الفم والأنف هما المدخلان الرئيسيان لأعضاء الجسم الداخلية، فنظافتهما من الجراثيم تعني حماية الأجهزة الداخلية من المرض والعطب. واليدان والذراعان، والوجه وشعر الرأس، والقدمان وأسفل الساقين، كلها أجزاء مكشوفة من البدن، وتتراكم عليها الجراثيم بكميات كبيرة، فغسلها بالماء ينقيها منها ويزيلها عنها، كما أمرنا النبي - -صلى الله عليه وسلم - بتخليل أصابع اليدين والقدمين، وغسل عقدها، وذلك تعقيباً لما يمكن أن تحويه هذه المخابئ من الجراثيم والفطريات الضارة وغير ذلك، كما وصى النبي- صلى الله عليه وسلم- بنظافة اليدين خاصة، وحضَّ على غسلهما عدة مرات في اليوم، بالإضافةِ إلى الوضوء كغسلهمَا قبلَ الطعامِ وبعده، وبعد الاستيقاظ من النوم، وبعد الخلاء وبعد كل تلوث، وذلك لما لليدين من خطورةٍ في نقل الأمراض وانتشار الأوبئة، عن طريق مس الطعام أو الشراب أو المصافحة. وإذا مكثَ الإنسان فترة طويلة بدونِ غسلٍ لأعضائه، فإن إفرازات الجلد المختلفة من دُهونٍ وعرق تتراكم على سطح الجلد محدثةً حكةً شديدةً، وهذه الحكة بالأظافر التي غالِبًا ما تكون غير نظيفة تسمح بدخول الميكروبات إلى الجلد. وهذه الإفرازات المتراكمة تجعل البكتيريا تتكاثرُ وتنمو. ولأنَّ الدورةَ الدمويةَ في الأطراف العلوية من اليدين والساعدين والأطراف السفلية من القدمين والساقين أضعف منها في الأعضاء الأخرى لبعدها عن المركز الذي هو القلب فإن غسلها

مَعَ دلْكِهَا يقوي الدورة الدموية لهذه الأعضاء من الجسم مِمَّا يَزِيْدُ في نشاطِ الشخصِ وفعاليته، ومن ذلك كله يتجلَّى الإعجازُ العلمي في شرعية الوضوء في الإسلام، الذي سبقَ عِلْمَ البكتريولوجيا الحديث الذي لم يظهر إلا بعد استخدام المجهر من اكتشاف البكتريا والفطريات التي تهاجمُ الجلدَ (محمد كامل عبد الصمد، 2007)، ويقول الدكتور أحمد شوقي إبراهيم عضو الجمعية الطبية الملكية بلندن واستشاري الأمراض الباطنية والقلب (مجلة الإصلاح، العدد 296 عام 1994م) ، وتوصلَ العلماءُ إلى أنَّ سقوطَ أشعة الضوء على الماء أثناء الوضوء يؤدي إلى انطلاق أيونات سالبة، ويقلل الأيونات الموجبة مِمَّا يؤدي إلى استرخاء الأعصاب والعضلات ويَتَخَلَّصُ الجسمُ مِنْ ارتفاعِ ضغطِ الدم والآلام العضلية وحالات القلق والأرق، ويؤكدُ ذلكَ أحد العلماء الأمريكيين في قوله: إن للماء قوة سحرية، بل إن رذاذَ الماء على الوجه واليدين ـ يقصد الوضوء ـ هو أفضل وسيلة للاسترخاءِ وإزالة التوتر. ومن هذا كله نرى، أنه لا يَكَادُ يَعْلَقُ بالجسمِ بعض إفرازات، أو شيء من الأتربة أو الأقذار من خارجه، إلا ويأتي الوضوء على عجل فينزعها عن جسم الإنسان، فيسلم بدنه، ويألفه من يجاوره ولا يتأذى أحد من قذارته. وهكذا نجد أن الوضوءَ هو الضمانة الأكيدة لنظافة البدن ونصرته، ونقائه وصفائه. وهذا ما يؤكد سبق السنة النبوية في تعليم الإنسان السلوك الصحيح لتتحقق النظافة والوقاية المستمرة.

ثالثًا: دَلائلُ الإعجاز العلمي في غسل يوم الجمعة:

غُسل يوم الجمعة من السنن التي شرعها الإسلام تعظيمًا لهذا اليوم واجتماع المسلمين فيه، وهو توجيه يجمع بين المقصد التعبدي في التهيؤ للصلاة واللقاء الجماعي، وبين مقصدٍ وقائيٍّ وصحيٍّ يحقق النظافة العامة ويمنع الروائح والأذى. وتَتَجلَّى **دلائل الإعجاز العلمي** في هدي السنة النبوية في حديث أبي سعيد الخدري-

رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: «الغُسْلُ يَومَ الجُمُعَةِ واجِبٌ علَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ» (البخاري، برقم: 858). ويقول- صلى الله عليه وسلم-: «حَقٌّ لِلَّهِ علَى كُلِّ مُسْلِمٍ أنْ يَغْتَسِلَ في كُلِّ سَبْعَةِ أيَّامٍ، يَغْسِلُ رَأْسَهُ وجَسَدَهُ» (البخاري، برقم: 3228). وقال- صلى الله عليه وسلم-: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَومَ القِيامَةِ، أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبْلِنا وأُوتِيناهُ مِن بَعْدِهِمْ، فَهذا اليَوْمُ الذي اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدانا اللَّهُ فَغَدًا لِلْيَهُودِ، وبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصارَى فَسَكَتَ. ثُمَّ قالَ: حَقٌّ علَى كُلِّ مُسْلِمٍ، أنْ يَغْتَسِلَ في كُلِّ سَبْعَةِ أيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فيه رَأْسَهُ وجَسَدَهُ» (البخاري، برقم: (896). فقد حث الإسلام على نظافة الجسم بالاغتسال والنظافة، وأوجب عليه الغسل في الأسبوع مرة واحدة على الأقل، وهو غسل الجمعة، كما أمر الإسلام (بالغسل) لثلاثة وعشرين سبباً منها سبعة موجبة وستة عشرة مستحبة، فمن الغسل الواجب: غسل الكافر إذا أسلم، وغسل الميت، والغسل من الجنابة، والغسل إذا خرج ماء من الرجل أو المرأة، وغسل المرأة من انقطاع الحيض والنفاس، ومن الغسل المسنون: الغسل بعد الغزو، والغسل عند الإحرام، وغسل العيدين، وغسل الوقوف بعرفه، وغسل دخول مكة، وغسل مِنْ غسل الميت. ولقد شرع الإسلام غسل جميع البدن على وجه الإلزام، وحدد الفترة الزمنية التي لا يمكن تجاوزها بغير غسل، وهذا يحقق غاية الكمال في نظافة الجسم كله، ويزيل عددًا هائلاً من الكائنات الدقيقة التي تعيش على جلد الإنسان. وتذكر المراجع الطبية: أن الجلد يعتبر مخزناً لنسبة عالية من البكتريا والفطريات، ويكثر معظمها على البشرة وجذور الشعر، ويتراوح عددها من عشرة آلاف إلى مائة ألف جرثومة على كل سنتمتر مربع من الجلد، وتزيد هذه النسبة في المناطق المكشوفة منه ليتراوح العدد بين مليون إلى خمسة ملايين جرثومة لكل سم مربع، وترتفع هذه النسبة في الأماكن الرطبة مثل: المنطقة الأربية وتحت الإبط، لتصل إلى عشرة ملايين جرثومة لكل سم مربع. وهذه الجراثيم في تكاثر مستمر. وقد أثبتت عدة دراسات قام بها علماء متخصصون: أن الاستحمام يزيل عن جسم الإنسان (90%) من هذه الكائنات، أي بأكثر من مائتي مليون جرثومة في المرة الواحدة، وهذه الجراثيم تلتصق بالجلد بواسطة أهداب قوية عديدة، لذا أمر الشارع بتدليك الجلد في الوضوء والغسل. ولو طبق مبدأ النظافة العامة الذي جاء به الإسلام في مجتمع القرن العشرين تطبيقاً سليما، فسوف نقضي

على أمراض النزلات المعوية، وأمراض التسمم الغذائي وأن نقضي على الحشرات الضارة. ويقوم جلد الإنسان بشأن عظيم في وقاية البدن وصيانته، كما أن له وظائف شتى في سلامة سائر الأعضاء الرئيسية في الجسم وحسن سيرها، أهمها طرح المفرغات بالتعرق، وتنظيم الحرارة بتبخر العرق وتوسع العروق. ثم إن الجلد هو الذي ينقل إحساسات اللمس كلها إلى الدماغ، فيعرف الإنسان طبيعةَ المادة التي يلمسها من صلابة أو ليونة، ونعومة أو خشونة، إلى آخر الإحساسات المعروفة. كما يقوم الجلد بنقل أحاسيس الألم، والحرارة (السخونة والبرودة)، وما إلى ذلك. وهو بعد هذا كله، الكساء الذي يحمي جسم الإنسان كله من التعرض للأقذار الخارجية والحشرات والجراثيم، فيحول دون نفوذها إلى داخل الجسم وإحداثها الأمراض. وربما يفوق عدد الجراثيم على سطح الجلد عدد سكان الأرض وقد ثبت أن الغسل الواحد يزيل أكثر من (200) مليون جرثومة عن سطح الجلد (عبد الحميد القضاة، تفوق الطب الوقائي في الإسلام، 1987)، من أجل ذلك تجب العناية البالغة بالجلد، حتى لا يكون عرضةً للتلبس بالأقذار والأوساخ، سواء منها الأقذار الخارجية التي تأتيه من المحيط والبيئة، أو الأدران البدنية التي تنجم عن تراكم إفرازاته المختلفة، من عرق وزهم (مادة دهنية يفرزها الجلد). والقاعدة العامة في سلامة الجلد، ومن ثم الجسم كله، هي النظافة، بالغسل أو الاغتسال، يوميا إن أمكن، بإضافة الماء على البدن كله. وإن لم يمكن هذا، فغسل ما يظهر منه دائما، ويكون عرضة للتلوث كثيراً، كاليدين والوجه، أو يكون عرضة للتعطن بإفرازاته كالأرجل. وما أعظم فائدة ذلك لو كرر مراراً في اليوم، لأن الغسل لا تقتصر فائدته على نظافةِ الجلد ونشاطه فحسب، بل يكون داعيا لنشاط الجسم كله. ذلك أنه عندما يفيضُ الإنسانُ الماءَ على عضو من أعضاء جسمه، فإنه يجتذب الدم إلى العضو المغسول بقوة، فتنشط الدورة الدموية في الجسم كله، ويترافق ذلك بتخفيف احتقان المخ وسائر أجزاء الجملة العصبية المركزية فتتنبه، مما يبعث نشاطاً في الجسم كله. فالغسل يقلّل نمو البكتيريا على الجلد وتقليل رائحة الجسم؛ التي تنتجُ من تفاعل العرق مع البكتيريا (Mayo Clinic Staff, 2025)، وبهذا يبرز أهمية تعظيم شعيرة الجمعة وترسيخ النظافة والراحة العامة، بما يحدّ من الأذى ويحفظ المصلّين، والوقاية من الكائنات الدقيقة، وخفض

رائحة الجسم الناتجة عن تفاعل العرق مع البكتيريا، بدورية أسبوعية تجمع بين الكمال التعبدي والمصلحة الصحية والاجتماعية في أرقى صورها.

رابعا: دلائل الإعجاز العلمي في التيمم:

التيمم تشريعٌ تعبّديٌّ عظيمٌ يُظهر يسرَ الإسلام ورحمتَه، جعله الله تعالى بديلًا عن الوضوء والغسل عند فقد الماء أو تعذّر استعماله، مع بقاء مقصد الطهارة حيث يُطهّر المسلم وجهه ويديه بالتراب الطاهر بدل الماء عند الضرورة، وهو ما يكشفه العلم الحديث من قدرة التراب على قتل الميكروبات ويحفظُ صحةَ الإنسان من الضرر والمرض، ويؤدي

معاني النظافة، وتقليل المخاطر الصحية في ظروفٍ قد يضر فيها استعمال الماء، قال تعالى: ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ [المائدة:6]، وقد روت أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-: «فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا» (البخاري، برقم: 334)

وفي الحديث: قال عمار: «فَضَرَبَ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم -بِيَدِهِ الأَرْضَ، فَمَسَحَ وجْهَهُ وكَفَّيْهِ » (البخاري برقم: 343)، وقد أثبتَ العلمُ الحديثُ أن الميكروبات والجراثيم في الهواء الجوي تلتصق بوجه الإنسان ويديه خلالَ عدة ساعات، وتبدأ في تكوين مستعمرات جرثومية، وعند استخدام الصعيد الطيب من التراب المتطاير لمسح الوجه والكفين تموتُ هذه الجراثيم، ويتم إزالة هذه المستعمرات الجرثومية؛ فالوجهُ والكفان أكثرُ مواضع البدن تعرضًا لما في الهواء من جسيماتٍ دقيقة وعوالقَ حيوية، وقد بيّنت دراساتٌ ميدانية أنَّ التلوثَ الجرثومي المحمولَ جوًّا يزداد في البيئات المفتوحة للهواء وتُشيرُ أبحاثٌ مخبرية إلى أن التراب الغني بالمعادن يحتوي على مُضادّة

للميكروبات بآليات كيميائية تُسهم في خفض الجراثيم في ظروفٍ محددة (Williams & Haydel, 2010)، فالبعدُ الوقائي في حفظِ النفس وصيانةِ البدن من الضرر يلتقي مع معطياتٍ علميةٍ تسهم في خفض المكروبات في ظروفٍ محددة بما يعزّز مقصد السلامة. فالطهارات التعبدية في الإسلام ليست مُجَردَ شعائر شكلية، بل هي منظومةٌ وقائيةٌ دقيقة تُزاوج بين التعبد والتهذيب والنظافة، وتؤسس لثقافةٍ صحيةٍ مستدامة تُسهم في حفظ النفس وتقليل أسباب العدوى والضرر. فالتوجيه بغسل اليدين خارج الإناء عند الاستيقاظ يبرز مبدأ الاحتياط من التلوث الخفي وحماية الماء من المخالطة، ويأتي الوضوءُ بتكراره اليومي بوصفه تدريبًا عمليًا على النظافة الشخصية وتنشيطًا للعناية بمواطن المكشوف من البدن (الوجه، واليدان، والفم والأنف) بما يعزز سلامةَ الجلد ويحدُّ من تراكم الملوثات. كما يظهر الغسل يوم الجمعة في بعده الاجتماعي والصحي كآلية دورية لرفع مستوى النظافة العامة وتقليل الروائح وما يتصل بها من أذى الناس، ويُكمّل ذلك تشريع التيمم بوصفه بديلًا، يوازن بين مقصد الطهارة وبين حفظ البدن من الضرر عندَ فقدِ الماءِ أو تعذَّر استعمالُه، بما يعكس مرونة التشريع وتكامله بين العبادة والوقاية. والطهاراتُ التعبديةُ تتضمنُ أبعادًا وقائيةً راسخةً تقومُ علَى مبدأ "الوقاية قبل العلاج"، وأن غسلَ اليدينِ قَبْلَ إدخالِهِمَا الإناءَ عند الاستِيْقَاظِ يُعَدُّ إجراءً احترازيًا يَمْنَعُ تَلْوِيْثَ الماء ويَحُدُّ من انتقالِ الملوثاتِ الَّتِيْ قدْ تلتَصِقُ باليدينِ أثناءَ النَّومِ دُوْنَ شُعُوْرٍ. كما تبيّن أنَّ الوُضُوءَ المتكرر يوميًا يرسِّخ سلوك النظافة المنتظمة ويُعنى بمناطق التماس المباشر مع البيئة، بما يساعدُ على تقليلِ تراكم الجراثيم والشوائب ويعززُ الْوَعَيَ الصِّحيَّ والانضباطَ السلوكي. وأظهرتِ النتائجُ أنَّ غسلَ الجمعةِ يُحَقِّقُ مقصودَ النظافةِ الجماعيةِ المرتبطة بالاجتماع العام، فيقللُ الأذى الحسي والمعنوي ويعزز الصحة العامة وآداب المخالطة. كما ثبت أن تشريع التيمم يقدّم نموذجًا فريدًا للتوازن بين متطلبات الطهارة والاعتبارات الصحية؛ إذ يرفع الحرج ويحفظ البدن عند العجز عن استعمال الماء، ويؤكد أن مقصدَ الشريعةِ في الطهارة لا ينفك عن مقصد السلامة ودفع الضرر.

المبحث الثاني

دلائلُ الإعجازِالعلميِّ الوقائي في سننِ الفطرةِ والنظافةِ الشخصية

تُعدُّ سُننُ الفطرة في الإسلام أَسَاسًا مَتِيْنًا لمنظومةِ النظافةِ الشخصيةِ والبيئيةِ؛ إذ تجمعُ بين تهذيبِ السلوكِ، وصيانةِ البدن، وتحقيقِ الوقايةِ من كثيرٍ من أسبابِ الْعَدْوَى والأذى. وقد جاءت هذه السنن بتوجيهاتٍ دقيقةٍ تشملُ نظافةَ الفمِ والبدنِ والشَّعرِ واللباسِ، وما يتصل بإزالة الأوساخ والروائح ومصادر التلوث، بما يحققُ للإنسانِ طَهَارَةً ظَاهِرَةً تعكسُ كمالَ الشريعة وعنايتها بصحةِ الفردِ والمجتمع. ويهدفُ هذا المبحث إلى إبرازِ الدلائل الوقائية في سنن الفطرة ومظاهر النظافة، وبيانُ ما فيها من إعجازٍ يتجلَّى أثرُه الصحّي في ضَوءِ الْحَقَائقِ الطبيّةِ والوقائيّةِ المعاصرة. فَسُننُ الفطرةِ تمثّلُ أساسَ نظافةِ الفرد؛ وقد كشفتِ البحوثُ الطبيّةُ عن الأهميّةِ الصحّيّةِ البالغةِ لتطبيقِ هذه الخِصال، وهي من الهدي النبوي الجامع الذي يربط بين صفاء الإيمان وحسن الهيئة، وبين الطهارة المعنوية والنظافة الحسية. فهي أعمالٌ عميقة في مقاصدها، تُحافظ على سلامة البدن وتوازن النفس، وتقي الإنسان من كثيرٍ من الأذى والضرر، مع ما تورثه من جمالٍ واعتدالٍ ووقار. ومن هنا تتجلى **دلائل الإعجاز العلمي** في سنن الفطرة؛ إذ جاءت بتشريعاتٍ دقيقة تُوافق حاجات الإنسان الصحية والفطرية، وتسبق كثيرًا من المعارف الطبية في ترسيخ قواعد الوقاية والنظافة، بما يبرهن على حكمة الشريعة وشمول هديها لكل زمانٍ، ومكانٍ.

فعَنْ أَبِي هُريرةَ رضِيَ الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم -قَالَ: "الفِطرةُ خَمسٌ، أَوْ خمْسٌ مِنَ الفِطرةِ: الخِتان، وَالاسْتِحْدَادُ، وَتقلِيمُ الأَظفَارِ، ونَتفُ الإِبطِ، وقَصُّ الشَّارِبِ" (البخاري،5550)، وعَنْ عائِشة أم المؤمنين- رضيَ الله عنْهَا- قَالَتْ: قالَ رَسُولُ الله- صَلّى الله عَلَيْهِ وسَلَّم-: "عَشرٌ مِنَ الفِطرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وإِعفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، واسْتِنشَاقُ الماءِ، وقَصُّ الأَظفَارِ، وغَسْلُ البَرَاجِمِ، وَنَتفُ الإِبطِ، وَحلقُ العانَة، وانتِقاصُ المَاءِ"، قال الرَّاوي: ونسِيتُ

العاشِرةَ إلاَّ أَنْ تَكونَ المَضمضَةُ. قَالَ وَكيعٌ وَهُوَ أَحَدُ رُوَاتِهِ : انتِقَاصُ الماءِ، يَعني: الاسْتِنْجاءَ (مُسلِمٌ، رقم: 261).

فسنن الفطرة عبادةٌ تُترجم كمال وجمال الشريعة في رعاية الإنسان ظاهرًا وباطنًا؛ فتجمع بين الطهارة والإيمان، وبين الوقاية والجمال، وتؤكد أن الهدي النبوي جاء بما يوافق الفطرة السليمة ويصون البدن من أسباب الأذى والمرض. والتأمل في أي جزئية مما دعا إليه الإسلام العظيم تزيدنا إيماناً بأنَّ هذا الدين وكتابَه الكريم من عند الله تعالى، وأنه يستحيل على بشر مهما كان موهوباً وعبقرياً أن يأتي بهذا كله في إحكام وترابط ونفاذ كالذي نراه في هذا الدين.

أولا: دلائل الإعجاز العلمي في الختان:

الخِتَانُ مِنْ سُنَنِ الفطرة التي جاءتْ بها الشريعةُ الإسلامية ضِمْنَ هَدْيٍ نبويٍّ يهدف إلى حفظ الإنسان وصيانة بدنه، فَخَتَنَ: مصدر، أي: قطعَ، وهو اسم لفعل الختان ولموضع الختان، والختانُ شرعاً؛ هو إزالةُ قطعةٍ من الجلدِ تغطي حشفةَ الذكرِ، وبذلك يتخلصُ الجسمُ من مخبأ للأوساخ والجراثيم والفطريات، والنجاسة والرائحة الكريهة. قال- صلى

الله عليه وسلم-: "اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ النبيُّ- عليه السَّلَامُ- وَهو ابنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بالقَدُومِ ". وكانت القلفة من المستقذرات عند العرب، وقد كثر ذم الأقلف "غير المختون" في أشعارهم، وكانوا يختتنون في الجاهلية قبل الإسلام، وكان للختان عندهم قدر، وله وليمةٌ خاصة به، وهي مما توارثوه من دين إبراهيم- عليه السلام- ومن ذلك شعائر الحج، فجاء الإسلام وأقرهم على ذلك. وقد ذكرَ ابنُ حجرٍ سبعةَ أدلة على ضرر القلفة وعدم الختان، ومنها: أن القلفة تحبس النجاسة فتمنع صحة الصلاة، كمن أمسك نجاسة، وما أخرجه أحمد وأبو داود من حديث كليب حين قال لـ للنبي- صلى الله عليه وسلم-: " قد أسلَمتُ فقال له النَّبيُّ- صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ-: ألقِ عنك شَعرَ الكُفرِ، يقولُ احلِق. قال: وأخبَرني أنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم - قال لآخرَ معه: ألقِ عنك شَعرَ الكُفرِ واختَتِن" (أبو داود، برقم: 356) ، ووقت الختان: عن جابر رضي الله عنه: "أنَّ رسولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -عقَّ عنِ الحسنِ والحسينِ وختنَهما لسبعةِ أيَّامٍ" (النسائي، برقم: 17563) ، وقد ثبت علمياً أن المولود يولد بمخزون منخفض من فيتامين (K) فتكون عوامل التخثر المعتمدة عليه منخفضة في الأيام الأولى (Tocantins, 1940) والوقت المناسب اليوم السبع الذي يشتمل على فوائد صحية ، تتوافق مع الهدي النبوي الشريف، والأطفالُ الذين لا يختنون تصيبهم أضرارٌ صحيةٌ بليغة؛ فقد أثبتت الأبحاث أن غير المختونين يصابونَ بمعدلٍ أكبر بأمراضِ

المسالكِ البولية؛ بسببِ عددٍ من الجراثيم؛ وخُصُوصاً إرشيا كولاي "E.Coli"، والكبسيلا، كما ازدادت نسبةُ الصديدِ والبكتريا لديهم في البولِ، كما ثبتت وجود علاقة بينَ سرطانِ عنقِ الرحمِ، وبين عدم اختتان الرجال. وأثبت علمياً في العديد من الدراسات الطبية أن التهابات الجهاز البولي في الذكور، صغاراً وكباراً، تزداد نسبتها زيادة ملحوظة في غير المختونين، وأن عدوى الأمراض المنقولة جنسياً كالزهري والسيلان وعلى الخصوص مرض الإيدز تكون في غير المختونين أكبر بكثير منها في المختونين، هذا فضلاً عما هو معروف منذ زمن بعيد، من أن ختان الذكور يقلل من حدوث سرطان الجهاز التناسلي في الرجال، وسرطان عنق الرحم في زوجاتهم (عبد الحميد القضاة، تفوق الطب الوقائي في الإسلام، 1987) ، ولذلك فإن عدداً من غيرِ المسلمين في أوربا وأمريكا يقدمونَ علَى الختان، لما علموه من تلك المصالح والمنافع كما أَنَّ سرطانَ القضيبِ نادرُ الحدوثِ جِدًا عندَ المختونين، في حين يشاهد عند غير المختونين-ظهر في البيانات الأمريكية- أن نسبة الختان بين المواليد الذكور داخل المستشفيات كانت نحو 58.3% عام 2010، بينما تُقدَّر نسبة الختان بين الذكور (14–59 سنة) بحوالي 80.5% (Owings et al., 2013) وتشير تقاريرٌ في طب الأطفال إلى أن خطر التهاب المسالك البولية في الرضاعة قد يكون أعلى بنحو 10–39 ضعفًا لدى غير المختونين، كما أظهرت دراسةٌ كبيرة في (Pediatrics) عام 2000 (قرابة 50 ألف طفل) أن 86% من حالات التهاب المسالك البولية عند الذكور خلال السنة الأولى حدثت عند غير المختونين ، ومنظمات الصحية لطب الأطفال في أمريكا عام 1999 ، ذكروا فوائد تدعو إلى ختان الأطفال (Wiswell, 1990). والختان يقلّل من فرص الإصابة بمرض فقدان المناعة (الإيدز)، وتؤيد الأمم المتحدة ذلك بشكل رسمي ؛ فقد أجرت ثلاثَ تجارب عشوائية في جنوبِ أفريقيا وكينيا وأوغندا أثبتتْ أنَّ الختان الطبي يقلل خطر اكتساب (HIV) لدى الرجال عبر الاتصال الجنسي بنحو يقارب 60%، وبناءً على النتائج أوصت (WHO) و (UNAIDS) عام 2007 بإدراج الختانِ الطبي الطوعي ضمنَ حزمةِ الوقايةِ المركّبة في البلدانِ ذات الانتشار العالي والانتقال الجنسي الغالب، بوصفه تدخّلًا فعّالًا لكنه غير كامل الحماية ويُكمّل سائر وسائل الوقاية (World Health Organization, 2007)، وقد جاء التشريع النبوي في زمن لم يكن أحد على وجه

الأرض يعلم شيئاً عن فوائد الختان الطبية، فهو من سنن الفطرة التي تجمع بين المقصد التعبدي في الطهارة وتمام الهيئة، وبين مقصدٍ وقائيٍّ يحفظ البدن من تراكم الأوساخ والالتهابات ويقلّل بعض المخاطر الصحية المرتبطة بعدوى المسالك البولية والأمراض المنقولة جنسيًا، ويبرز في هذا دلائل الهدي النبوي؛ بما يحقق مصالح الناس ويدرأ عنهم المفاسد.

ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي في اعفاء اللحية وقص الشارب:

قَصُّ الشارب وإعفاءُ اللحية توجيهٌ نبويٌّ جامعٌ بين الطهارة وحسن المظهر، وبين الوقاية الصحية ومخالفة أهل الشرك، كما أنه يرسخ هويةَ المسلم في سَمته وهيئته، من غير غلوٍّ ولا تفريط. فقدجاءت السنّةُ النبوية بتأكيد خصلةٍ من خصال الفطرة تجمعُ بينَ جمال الهيئة، وكمال النظافة، ومخالفة غير المسلمين في سمتهم؛ وهي قصُّ الشارب وإعفاءُ اللحية. فقد ثبت عن ابنِ عمر- رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم - قال: «أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى» (مسلم، برقم: 259)، وثبت عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قوله -صلى الله عليه وسلم -: «جُزُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللِّحَى خَالِفُوا الْمَجُوسَ» (مسلم، برقم: 260). كما عدَّ النبي -صلى الله عليه وسلم -قصَّ الشارب من خصال الفطرة (البخاري)، ووقّت في شأنه ألا يُترك أكثر من أربعين ليلة (مسلم)، وجاء الوعيد في تركِ الأخذ منه: «من لم يأخذ من شاربه فليس منا» (رواه النسائي وأحمد، وحسّنه الترمذي). وبيّن الإمام النووي أن قصّ الشارب سنّة، وأن المختار فيه أن يُقصّ حتى يظهر طرف الشفة، من غير استئصالٍ من أصلِه، وأن معنى «الإحفاء» الوارد في بعض الروايات هو إزالة ما طال على الشفتين، لا المبالغة في الحلق؛ لأن العبرة بمنع ما يلامس الفم أو يغطّي الشفة، ولأن الفرس كانوا يقصّون اللحى فنهى الشرع عن مشابهتهم. وعلى هذا فإن أصل

السنّة متفق عليه، وإن اختلفت عبارات الفقهاء في مقدار القصّ: فذهب الشافعية والمالكية إلى تقصير الزائد عن الشفة العليا، ورأى الحنفية المبالغة في أخذه حتى يقارب الاستئصال، وخيّر الحنابلة بين الأمرين. ومن جهةٍ صحيةٍ ووقائية، فإن إطالة الشارب قد تُعرّضه للتلوّث ببقايا الطعام والشراب، وقد يصبح موضعًا لتجمّع الأوساخ ونقل بعض الجراثيم، كما أن تقصيره يمنح صاحبه هيئةً أنظف وأقرب إلى السكينة والتواضع، بخلاف ما قد يظهر من إطالة الشارب وفتله من تكلفٍ ومظاهر مباهاة. وتلتقي توجيهات الطب الوقائي مع الهدي النبوي في قصّ ما زاد عن حدّ الشفة العليا تحقيقًا للنظافة من غير إضرارٍ أو مبالغة؛ فالشارب خُلق للرجل وله وظائف حمايةٍ ومساندةٍ في البيئة والعمل، ويُذكر من فوائد ذلك الإسهام في ترشيح الهواء الداخل عبر الأنف. أما اللحية فقد دعا الإسلام إلى إعفائها وعدم حلقها، واختلفت عبارات الفقهاء في حكم حلقها بين التحريم والكراهة الشديدة، غير أنهم متفقون على أن إعفاءَها هو الأصل الموافق للهدي النبوي. ومن الزاويةِ الصحية يذكر بعض الأطباء أن طبيعةَ عمل الرجل وتعرضه للشمس والرياح والحرارة والبرودة تؤثر في جلد الوجه وأليافه المرنة وكولاجينه، وأن وجود اللحية يخفف من وقع هذه العوامل ويسهم في تقليل مظاهر الجفاف والتجاعيد والشيخوخة المبكرة. ويُضافُ إلى ذلكَ ما قد يسببه الحلقُ اليوميُّ من تهيج الجلد وإضعافه مع الزمن. فقد استخدمت الدراسة قياسات جرعات لتحديد مقدار الحماية من الأشعة فوق البنفسجية المُسببة لاحمرار الجلد (erythemal UVR) التي يوفرها شعر الوجه (اللحية والشارب)، مع مراعاةِ زاويةِ سمت الشمس (SZA) وطول الشعر. وأظهرت النتائجُ أن وجود شعر الوجه يُقلّل التعرّض للأشعة إلى نحو ثلث التعرّض في المناطق الخالية من الشعر. تراوح عامل الحماية من الأشعة فوق البنفسجية (UPF) الذي توفره اللحية والشارب بين (2 ،21) وينخفض (UPF) كلما زادت زاوية سمت الشمس، وكان أدْنَى مستوى للحماية ضمن مجال (53–62°) والشعر الأطول يعطي حماية أعلى عند زوايا شمس أصغر، لكن الفرق بين الشعر الطويل والقصير يقل مع زيادة زاوية الشمس. فاللحية والشارب يوفران حماية من UVR، لكنها ليست عالية جدًا وتتأثر بزاوية الشمس وطول الشعر (Parisi, A. V., Turnbull, D. J., Downs, N., & Smith, D. 2012)، فقصَّ الشارب وإعفاءَ اللحية

توجيهٌ نبويٌّ يربط بين خصال الفطرة وحسن السمت، وبين الطهارة والنظافة ومخالفة غير المسلمين في هيئاتهم، مع ترسيخ هُوية المسلم في مظهره من غير غلوٍّ ولا تفريط. وقد دلَّت النصوصُ على استحباب قَصِّ الشارب وضبطه بما يمنع ملامسته للفم أو تغطيته للشفة، فترك الشارب طويلًا قد يجعله موضعًا لتراكم بقايا الطعام والأوساخ، في حين يحققُ تقصيرُه نظافةً أدقّ وهيئةً أليق، كما تُشير المعطيات الحديثة إلى أن شعر الوجه وخاصة اللحية قد يوفّر قدرًا من الحماية من العوامل البيئية وأشعة الشمس، ويخفف تهيّج الجلد الناتج عن الحلق المتكرر، بما يعزّز البعدَ الصِّحيَّ، وبذلكَ يتبيّنُ أنَّ الهدي النبوي منهجٌ متوازنٌ يجمعُ المقصدَ التعبدي والتمييز معَ الاعتبارات الصحية والجمالية.

ثالثا: دلائل الإعجاز العلمي في سنة السواك:

السِّواك من السننِ النبويةِ التي تَجْمَعُ بينَ الهِدَاية التعبدية والمنفعة الصحية، فهو عِبَادةٌ يتقربُ بها المسلم إلى الله، وفي الوقت نفسِهِ يحملُ دَلائِلَ ظاهرةً على عنايةِ الشريعةِ بصحةِ الإنسانِ ونظافتِهِ، وقدْ بينتِ السنةُ النبويةُ في مواضعَ متعددةٍ فائدة السواك في تهذيبِ الفمِ وتطييب الرائحة والمحافظة على صحة الأسنان واللثة، قبلَ أن يثبت الطب الحديث

آثاره الوقائية. ومن هنا تَتَجَلَّى دلائلُ الإعجازِ العلمي في سنةِ السواكِ بوصفها توجيهًا نبويًا، يجمع بين الطهارة الظاهرة والنقاء المعنوي، ويؤكدُ شموليةَ الإسلام وملاءمته لكل عصر، فعَنْ أَبي هُريرَةَ- رَضِيَ الله عَنْهُ- أَنَّ رَسُول الله -صلى الله عليه وسلم - قالَ: «لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلى أُمَّتي أَوْ عَلى الناس لأمرْتُهُمْ بِالسِّواكِ معَ كلِّ صلاةٍ» (البخاري، برقم 847)، وَعنْ حُذيفَةَ- رَضِيَ الله عَنْهُ- قال: « كَانَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم -إذا قَامَ ليتهجد يَشُوصُ فَاهُ بالسِّواكِ» (البخاري، برقم:

849). الشَّوْص: الدَّلكُ. وَعَنْ عائشةَ- رَضِيَ الله عَنْهَا- قَالَتْ: «كنَّا نُعِدُّ لرسُولِ الله -صلى الله عليه وسلم -سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ فَيَبْعَثُهُ اللهُ مَا شَاءَ أَن يبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيتسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ ويُصَلِّي» (مسلم، برقم: 746)، وعنْ أَنسٍ- رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رسُولُ الله- صَلّى الله عَلَيْهِ وسَلَّم-: «أَكثَرْتُ عَليكُمْ في السِّوَاكِ» البخاري، برقم: 848). وعَنْ شُرَيحِ بنِ هانِيءٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ- رَضِيَ الله عنْهَا-: بأَيِّ شيْءٍ كَان يَبْدَأُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم -إذا دَخَلَ بَيْتَهُ، قَالَتْ: «بِالسِّوَاكِ» (مسلم، برقم: 253).

وَعَنْ أَبي موسَى الأشعَرِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: «دَخَلت عَلى النَّبي -صلى الله عليه وسلم -وطَرَفُ السِّوَاكِ علَى لِسانِهِ» (مسلم، برقم: 254). وعنْ عائِشَةَ- رَضِي الله عَنْها- أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم -قَالَ: «السِّواكُ مَطهَرَةٌ للفَمِ مرْضَاةٌ للرَّبِّ» (النسائي، رقم: 59). فالسِّوَاكُ يطلق على الفعل وعلى العود الذي يتسوك به، وهو في اصطلاح العلماء استعمال عود أو نحوه لتنظيف الأسنان لتذهبَ الصفرةُ وغيرها عنها، وأصلحَ ما اتخذ السواك من شجر الأراك ونحوه، وهي تنمو في المناطق الحارة مثل جنوب السعودية واليمن والسودان وغيرها، ويؤخذ السواك من جذورها وأغصانها الصغيرة، وظاهر الروايات أن السواك يطهر الفمَ، والتطهير يقتضِي أنه يزيلُ أعداداً هائلة من الجراثيم التي تنمو داخلَ الفم، وتسببُ رائحةً كريهةً، ونخر الأسنان، والتهابات اللثة، والحلق. والسواك وهو بكسر السين على الصحيح وقد يطلقُ على الفعل وعلى العود الذي يتسوك به. وقالَ الجوهريُّ: "السواكَ: المسواك، وسوك فاه تسويكاً، وإذا قلت: استاك أو تسوك لم تذكر الفم وهو في الاصطلاح استعمال العود ونحوه في الأسنان لتذهب الصفرة وغيرها عنها، والسواك ليس بواجب في حال من الأحوال لكنه سنة في جميع الأوقات وفي بعضها آكد، كما عند الوضوء، وكمالُه أن يمرَّ السواك على طرف لسانه وكراسي أضراسه وسقف حلقه إمراراً لطيفاً" (الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح

البخاري ، 3/ 104) ، وقال ابن القيم: "وكان يحب السواك، وكان يستاك مفطرا وصائما، ويستاك عند الانتباه من النوم، وعندَ الوضوء، وعند الصلاة، وعند دخول المنزل، وكان يستاك بعود الأراك" (زاد المعاد في هدي خير العباد ، 1/ 167) "وأصلح ما اتخذ السواك من خشب الأراك ونحوه، ولا ينبغي أن يؤخذ من شجرةٍ مجهولة، فربما كانت سما، وينبغي القصد في استعماله، فإن بالغ فيه، فربما أذهب طلاوة الأسنان وصقالتها، وهيأَها لقبول الأبخرة المتصاعدة من المعدة والأوساخ، ومتى استعملَ باعتدالٍ، جلا الأسنانَ، وقوى العمود، وأطلقَ اللسان، ومنع الحفر، وطيب النكهة، ونقى الدماغ، وشهى الطعام. وأجودُ ما استعملَ مبلولًا بماءِ الورد" (الطب النبوي لابن القيم، ص: 243)، و"الأراك" اسمها العلمي: هو السلفادورا برسيكا، وهي شجرة قصيرة، لا يزيد قطر جذعها عن قدم، أطرافها مغزلية، أوراقها لامعة، جذوعها مجعدة ولونها بني فاتح والجزء المستعمل هو لب الجذور، ولاستعماله تجفف ثم يحفظ في مكان بعيد عن الرطوبة، وقبل استعماله يدقُّ بواسطة آلة حادة ثم يبدأ في استعماله أو إذا كان جافا يغمس في الماء ثم تسوك به الأسنان، ويظل استعماله هكذا حتى إذا ضعفت وتآكلت يوقف استعماله ثم يقطع هذا الجزء ويستعمل جزء آخر وهكذا. والدلائل العلمية تتمثل بالآتي:

مادة يف القلوية.	كمية قليلة من مادة الصابونين والتانين والفلافونيد.
تراي مثيل أمين تخفض من الأس الايدروجيني للفم (وهو أحد العوامل الهامة لنمو الجراثيم).	فيتامين ج كمية وفيرة من مادة السيتوستيرول والمادتان هامتان في تقوية الشعيرات الدموية المغذية للثة، علاوة على أهمية فيتامين ج في حماية اللثة من الالتهابات.
نسبة عالية من الكلوريد والفلوريد والسيليكا وهي مواد معروفة بأنها تزيد من بياض الأسنان.	مادة كالبريت ولها تأثيرا على وقف نمو البكتريا بالفم.

ولقد ثبت بتحليلِ السواك كِيمائيًا أن لديه قدرة عالية على مهاجمة الميكروبات ، وقد أظهرت دراسات سابقة أن معدلات تسوس الأسنان بين مستخدمي السواك كانت أقل بالرغم من تناولهم أغذية غنية بالسكريات والنشويات، كما أثبتت دراسات أخرى أن آثاره المزيلة لطبقة البلاك تعادل آثار فرش الأسنان المستخدمة لنفس الهدف، وقد استخدم فريق البحث أحدث التقنيات الحيوية لعزل المركبات الموجودة في السواك .كما أكد الدكتور كين بيوريل مدير الشؤون العلمية في مجلس الجمعية الأمريكية لطب الأسنان أن المركبات الجديدة التي تم اكتشافها في السواك ، الذي يستخدمه سكان المناطق الريفية في العالم الثالث بكثرة ، قد تصبح أساس المنتجات الطبية في المستقبل، وتظهر هذه الدراسة معجزة من معجزات الرسول -صلى الله عليه وسلم- حيث أمر المسلمين بالسواك قبل كل صلاة. وهو أداة فعَّالة للعناية بالفم، وتكمن فعاليته في قدرة أليافه على إزالة ما يعلق على الاسنان بفضل الاحتكاك بين ألياف النبات وأسطح الأسنان، بالإضافة إلى غناه بالمكونات النباتية التي تتميز بتركيبها ونشاطها الحيوي. وقد كشفت الدراسات أن للمسواك خصائص مضادة لالتهاب اللثة، ومضادة للتسوس، ومبيضة للأسنان، فضلاً عن تحسين صحة الفم (Hunaydi et al, 2023). باعتباره مدخلًا للطعامِ والشراب وعرضة لكثير من الجراثيم؛ والتي تسمى "الزمرة الجرثومية الفمية"، وهي تتغذى على بقايا الطعام الذي يلتصق على الأسنان وبينها، وينتج عن نموها وتكاثرها أحماض وإفرازات كثيرة تؤثر على رائحة الفم، وعلى لون الأسنان وأدائها، وإذا لم تتم إزالة هذه الجراثيم عدة مرات في اليوم فإنها تسبب التسوس وأمراض اللثة (عبد الله عبد الرزاق مسعود، السواك والعناية بالأسنان، 1982م). وجراثيم الفم أنواع عديدة تصنف تبعًا لأشكالِها مثل المكورات والعصيات والملتويات، وهذه الجراثيم تكون عند الشخص السليم متعايشة معه، ولكنها تنقلبُ مُمْرِضةً مؤذية إذا بقيت لفترة طويلة تتكاثر في الفم، فهي تتغذَّى على فضلاتِ الطعام، وتعمل على تفسخها وتخمرها فتنشأ عنها روائح كريهة، وهذه المواد تؤذي الأسنان وتحدث فيها النخر، ومع تراكم الأملاح حول الأسنان يحدث فيها القلح(صُفْرة أو خُضْرة تعلو الأسنانَ وتعرف بجير الأسنان)، وقد تؤدي إلى التهاب اللثة وتقيحها، كما يمكنُ لهذه الجراثيم مع ضعفِ مقاومة الجسم أن تحدث التهابات مختلفة كالتهاب المعدة أو

الجيوب الأنفية أو الشعب الهوائية، وهنا يأتي دورُ السواكِ في تطهير الفم ، فقد ثبت تكون غلالة رقيقة من اللعابِ تلتصق بالأسنان (لويحة جرثومية) يسبح فيها عددٌ هائلٌ من الجراثيم تصل إلى حوالي (100) بليون جرثومة/ جرام منها ، وهذه اللويحة أو الطبقة تتكون سريعاً حتى بعد تلميع الأسنان في أقل من ساعة ، ويزداد سمكها ، ويحدث فيها ترسبات رخوة كلما تركت من غير إزالة، وقد ثبت أن هذه الطبقة الجرثومية هي المسؤولة عن أمراضِ اللثة ونخر الأسنان (عبد الجواد الصاوي، الطب الوقائي والكائنات الدقيقة ص 43) . وقد أوردت مجلة المجلة الألمانية الشرقية في عددها الرابع سنة 1961م مقالاً للدكتور رودات مدير معهد الجراثيم في جامعة روستوك يقول فيه: "قرأت عن السِّواك الذي يستعمله العرب كفرشاة للأسنان في كتاب لرحالة زار بلادهم...، وفكرت لماذا لا يكون وراء هذه القطعة الخشبية حقيقة علمية؟، وجاءت الفرصة سانحة عندما أحضر زميل لي من العاملين في حقل الجراثيم في السودان عدداً من تلك الأعواد الخشبية، وفوراً بدأت أبحاثي عليها، فسحقتها وبللتها ووضعت المسحوق المبلل على مزارع الجراثيم، فظهرت على المزارع آثار كتلك التي يقوم بها البنسلين (كمطهر للجراثيم)"، وتؤكد الأبحاث المخبرية الحديثة أن المسواك المخضر من عود الأراك يحتوي على نسبة كبيرة من العفص (Tanic Acid)، وهو مادة قابضة مطهرة مضادة للعفونة، وهي تعمل على قطع نزيف اللثة وتقويتها، كما تؤكد وجود مادة خردلية السنجرين (Sinnigrin) وهي مادة ذات رائحة حادة وطعم حراق وتساعد على الفتك بالجراثيم، وتقوم ألياف السواك بالإضافة لبعض المواد الكيماوية بتنظيف الأسنان وإزالة القلح عنها، وقد أكدت بعض الدراسات وجودَ مواد تزيد بياض الأسنان، وتعمل على حمايتها من التسوس(مجلة المجلة الألمانية الشرقية العدد الرابع سنة 1961م) ومن فوائد السواك الطبية؛ أن مادة (السيليس) الموجودة في السواك تجرف الفضلات، وتزيح القلح. وثبت من خلال

الدراسات السريرية أن السواك يزيل اللويحة الجرثومية وهي بكر قبل عتوها وتأثيرها على الأنسجة، وأن إهمال العناية بالأسنان يؤدي إلى تكون لويحة جرثومية على الأسنان، وهذه بدورها تعمل على تسوس الأسنان، وكذلكَ تعملُ على تراجع وانحسار اللثة (Gingival recession) والتي تزيد من خطر سقوط الأسنان، لذلك فإن استخدام السواك

يقضي على الجراثيم الفموية، ويمنع تكون اللويحة الجرثومية. وثبت أيضاً أن للسواك تأثيراً مخفضا للسكر، ومضاداً للسرطان (عبد الجواد الصاوي، الطب الوقائي والكائنات الدقيقة، ص 42. 45)، وأثبتت الدراسات العلمية أن للسواك تأثيرا كبيرا على وقف نمو بكتريا الفم؛ لاحتوائه على مواد فعالة ضد البكتريا، منها: مادة الكبريت ومادة تراي مثيل أمين (Tri-methyl-amin) التي تعمل على خفض الأس الهيدروجيني (PH) للفم، وبالتالي منع نمو البكتريا فضلا عن احتوائه على فيتامين (ج) (Vitamin C) ومادة السيترول، وهاتان المادتان لهما دور في حماية اللثة من الالتهابات، أما الكلوريد والفلوريد والسليكا فهذه المواد معروفة بأنها تزيد من بياض الأسنان. فضلاً عن هذه المركبات فقد أظهر التحليل الكيميائي للمستخلص باحتوائه على مركبات الكبريت والايزوثايوسيانيد (Isothiocyanate) المسؤولة عن الفعالية التثبيطية للمستخلص تجاه البكتريا، ومادة تراي مثيل أمين تقلل من الالتصاق بالسطوح وتزيل الصفائح البكتيرية المتراكمة، ومركبات (Tannins Tannic acid Benzyl isothocyanate) لها دور كبير في الفعالية التثبيطية ضد الأحياء المجهرية وفي معالجة التهابات اللثة (Poureslami , et al, 2007).

ويعمل السواكُ على تبييضِ الأسنانِ، وكذلكَ يمنعُ الترسباتِ الكلسية (منظف للأسنان)، وهذا بدوره يفيد في علاج نزف اللثة. وللسواك فعل مهدئ للألم، وقد لوحظ بأنَّ المرضى الذين يستخدمون المسواك يعانون أَلَمًا أقل من آلام أسنانهم مقارنة بالمرضى الذين يستخدمون

الفرشاة. لذلك أوصت منظمة الصحة العالمية باستخدام السواك لتحسين وإدامة صحة الفم والأسنان. وقد استخدمت العديد من المصانع مستخلص السواك كمركب فعال في معجون الأسنان، وكذلك غسول الفم، ومنها شركات بريطانية وسويسرية ومصرية وغيرها (Aboul-Enein 2014، Ahmad؛ Rajagopal 2014 ، Haque؛ Alsareii 2015 ؛ Niazi et al 2016- KSA ؛ Al-Dabbagh et al 2016 ؛ Aumeeruddy et al 201) وأثبتتْ دراسةٌ تجريبية وجودَ تأثير إيجابي للسواكِ على زيادةِ الخصوبة؛ حيثُ حدثتْ تأثيراتٌ واضحةٌ على مستوى الهرمونات الجنسية متمثلة بارتفاع (التستوستيرون) وانخفاضِ (الأستروجين) وحصول ارتفاع معنوي في العدد الكلي للنطف، وقد أوصت الدراسة باستخدام نبات السواك كطريقة علاجية للأشخاص المصابين بالضعف الجنسي وقلة عدد المنويات (Poureslami 2007). وأثر السواك ونظافة الفم على الصحة العامة؛ أن الفم بحكم موقعه كمدخل للطعام والشراب، وباتصاله بالعالم الخارجي، يصبح مضيفة لكثير من الجراثيم، والتي نسميها "الزمرة الجرثومية الفموية"، ومنها المكورات العنقوية والعقدية والرئوية، والعصيات اللبنية والعصيات الخناقة الكاذبة، والملتويات الفوهية والفنسانية وغيرها، وتكون هذه الجراثيم متعايشةً مع الشخص السليم، لكنها تنقلبُ ممرضةً مؤذية إذا تبقت في الفم وبينَ الأسنان، فضلات الطعام والشرب. حيث تعمل هذه الجراثيم على تفسخها وتخمرها، وتنشأ عنها روائحُ كريهةٌ، وكذلكَ تؤذي الأسنان محدثة فيها النخور أو إلى تراكم الأملاح حول الأسنان محدثة فيها (القلح) أو إلى التهاب اللثة وتقيحها. كما يمكنُ لهذه الجراثيم أن تنتقل بعيداً في أرجاء البدن محدثة التهابات مختلفة كالتهاب المعدة أو الجيوب أو القصبات، وقد تحدث خراجات في مناطق مختلفة من الجسم، و قد تؤدي إلى تسمم الدم أو تجرثمه وما ينجم عن ذلك من أمراض حمَّوية عامة، لذلك فإن أهم ما يجب العناية به هو الفم والأسنان لوظائف الأسنان الهامة، وأمراضها لها أثر كبير على الصحة العامة، وهنا تأتي أهمية السِّواك القصوى في تخفيفِ البلاء الناجم عنها، فاللعابُ الراكد يحتوي على أملاح بصورة مركزة، فإذا وجد سطحاً بعيداً عن حركات التنظيف الطبيعية كحركة اللسان، أو الاصطناعية كالسواك، فَإِنَّ هذه الأملاح تترسبُ، وخاصةً في الشِّقِّ اللثوي شيئاً فشيئاً مكونة ما يُسَمَّى باللويحاتِ السنية.

وعندما تفعل الجراثيم فعلها؛ متفاعلة مع بقايا الطعام وخاصة السكرية الموجودة في الفم مكونة أحماضاً عضوية، تقوم بإذابة المينا ثم العاج ويتسع النخر مع استمرار إهمال نظافة الفم. فقد أوردت مجلة المجلة الألمانية الشرقية في عددها الرابع (1961م) مقالاً للعالم رودات. مدير معهد الميكروبات والأوبئة في جامعة روستوك (عز الدين فراج، الإسلام والوقاية من أمراض الأسنان، 1404هـ). يقولُ فيه: قرأت عن السِّواكِ الَّذِيْ يستعملُه العرب كفرشاة للأسنان في كتابٍ لرحّالةٍ زارَ بلادهم، وقد عرض للأمر بشكل ساخر، اتخذه دليلاً على تأخر هؤلاء القوم الذين ينظفون أسنانهم بقطعة من الخشب في القرن العشرين. وفكرت! لماذا لا يكون وراء هذه القطعة الخشبية حقيقة علمية؟ وجاءت الفرصة سانحة عندما أحضر زميل لي من العاملين في حقل الجراثيم في السودان عدداً من تلك الأعواد الخشبية. وفَوْراً بدأت أبحاثِي عليها، فسحقتها وبللتها، ووضعت المسحوقَ المبللَ على مزارعِ الجراثيمِ، فظهرت علَى المزارع آثارُ كتلكَ التي يقومُ بها البنسلين. وإذا كان الناس قد استعملوا فرشاة الأسنان من مائتي عام فلقد استخدم المسلمون السواك منذ أكثر من 14 قرناً. إن التركيب الكيمائي لمسواك الأراك يجعلنا ندرك الاختيار النبوي الكريم، الذي يدل على أنه وحي يوحى، وفي دراسة سريرية وكيميائية بدولة الكويت (المصطيهي وآخرون، 1380) على المسواك، أثبت البحث السريري العديد من النقاط، أهمها:

ا-أنَّ تعاليمَ الإسلام وتوجيهاتِ رسولِ الله في استعمالِ السواكِ تماثلُ تمامًا ما ترنو إليه مهنةُ طب الأسنان الحديثة، ألا وهو ضرورة إزالة اللويحة الجرثومية، وهي بكر قبل نضوجها وازدياد عتوها على الأنسجة الرخوة والصلبة.

2-عملية استمرار السواك يوميًا قبل الصلاة وبصورة مكررة كما ورد في تعاليم الرسول في هذا المجال تؤدي إلى درجة عالية من نظافة الفم.

3-احتواء المسواك على المواد الطبيعية أعطى المسلم الذي يداوم على استعماله منذ الصغر نعومة للأسنان، وباحتوائه على مادة السيليكا، يمنحه صَلابةً في مينائها، وباحتوائِه على مادة الفلورين يعطيه قوة في لثتهِ، ولاحتوائه على التانين، وفيتامين ج، يساعده على تقوية الأوعية الدموية اللثوية، كما توجد مادة خاصة مطهرة للفم (الكبريت).

4-أظهر البحث أن نظافة فم مستعملي السواك المسحوق قد وصلت إلى درجة عليا من النظافة وغياب الالتهابات، وذلك بالمقارنة مع المسحوق التجاري والنشا المستعملين في مجموعتين أخريين.

5-تحسنُ التهابات اللثة التي سجلت قبل بدء البحث في المجموعتين اللتين استعملتا السواك والسواك المسحوق عن المجموعتين اللتين استعملتا المسحوق التجاري والنشا.

6-استخلصَ البَحْثُ ضرورةَ تطبيق استعمال السواك؛ إذا ما ابتدأت إحدى البلدان الاسلامية في إجراء بحوث وقائية لسلامة الفم والأسنان خصوصا وأن المسواك متواجد بكثرة في هذه البلدان، ورخيص الثمن، وكفانَا أنَّ المسلمَ قد تبَنَّى استعمالَه دوما ومتكررا، كجزء من تعاليم الدين الحنيف. ويتضح مما سبقَ أن للسواك فوائدَ صحية للفم تفوقُ ما استحدث من أدوات وأدوية تستعمل في نظافة الفم، وأن أول من أفادَ باستعماله هو نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم -الذي عاش في القرن السابع الميلادي بعدَ أنْ عبَّر عن معلوماتٍ لا تنتمي إلى ابتكار عصره وإنما ثبتت صحة أوامره في صحة الفم بعد قرون عدة. وكشفت الدراسة التي أجراها الباحثون في جامعة (إيلينويس) بشيكاغو، وجامعة (ستيلينبوش) في (تايجربيرغ) بجنوب أفريقيا عن أن السواك يحتوي على مواد طبيعية مضادة للميكروبات تمنع إصابة الفم بالأمراض، وتقلل ظهور التجاويف السنية وأمراض اللثة. وأوضح الباحثون في الدراسة التي تعتبر الأولى من نوعها التي تركز على كشف أسرار قدرة السواك على تنظيف الأسنان، أن أعوادَ السواك فعالة كفرشاة الأسنان تمامًا في إزالة طبقة (البلاك) المتراكمة على الأسنان وتدليك اللثة، مشيرين إلى أن هذه الأعواد تمثل بديلاً أرخص ثمنًا لسكان العالم الثالث، حيثُ لا تتوافر فرش الأسنان. وأشارت الدكتورة كريستين (أستاذة طب الأسنان واللثة في جامعة إيلينويس الأمريكية) إلى أنَّ عيدانَ السواك المستخدمة في ناميبيا تحتوي على ستة مركبات تقاوم الميكروبات، أربعة منها متحدة مع مادة (ديوسبايرون)، والآخران هما (جوجلون) و(ميثيل جوجلون) وهما مادتان سامتان تتواجدان في الجوز الأسود أيضًا، ويعتقد أن المركبات الجديدة التي تَمَّ اكتشافها في السواك هما الأكثر فعالية ضد البكتيريا، حيْثُ تصل درجةُ فعاليتهما إلى فعالية مستحضر غسول الفم الذي يعرف باسم (ليستيرين). ووجه الإعجاز العلمي إثبات الأبحاث العلمية المستفيضة في العقود الزمنية الأخيرة

أن الأراك يحتوي على مواد كثيرة مُعقّمة وواقية من مختلف أنواع الجراثيم وغيرها من مسببات الالتهاب والتسوس، فَالسِّوَاكُ طهارةٌ تُرضي الرَّبَّ وتزكّي السلوك، وفي الوقت نفسه وسيلةٌ عمليةٌ للعناية بصحة الفم والأسنان. وَقَد أكَّدت النصوصُ النبوية تكرار استعماله في مواطن العبادة والحياة اليومية، مما يدل على عظم شأنه، ثم جاءت الشواهد الطبية الحديثة لتبرز جانبًا من حكمته الوقائية في تقليل الجراثيم والبلاك ودعم صحة اللثة وتحسين رائحة الفم. وبذلك تتجلى دلائل الإعجاز في هذه السنة؛ إذ تجمع بين النقاء المعنوي والوقاية الصحية، وتؤكد شمولية الهدي النبوي وصلاحيته لكل عصر.

رابعا: دلائل الإعجاز العلمي في الاسْتِحْدَادُ ونتف الإبط:

فالاسْتِحْدَادُ: حلْقُ العَانَةِ، وهُو حَلقُ الشعْرِ الذي حَوْلَ الفرْجِ. لأن ترك شعر العانة والإبط دون تنظيفٍ جيّدٍ يسبّبُ مُشْكلاتٍ عديدةً، فالشعر يحبس العرق والرطوبة ويزيد الحكة ويهيّج الطفحَ، وقد تتفاقم الحالة إذا حدثت عدوى فطريةٌ أو بكتيرية، والذي يؤدي إلى تقرحات، وظهور حشرات صغيرة تعيش على شعر العانة وشعر الإبط، فحلقُ العانةِ ونتفُ الإبط

من سننِ الفطرة التي تجمع بين طهارةِ العبادة ونظافةِ العادة، وتكشف عن بُعدٍ وقائيٍّ دقيقٍ في التشريع النبوي؛ إذ تُسهم في الحدّ من تراكم الإفرازات والرطوبة، وتقلّل من فرص تكاثر الجراثيم وظهور الروائح والالتهابات، بما يحقق مصلحةَ الإنسان في بدنه ونفسه. ويزداد وجهُ الإعجاز وضوحًا حِيْنَ نَرى توافقَ هذه التوجيهات مع ما انتهت إليه المعارف الطبية من قواعد الوقاية والنظافة. فيأتِيْ نتفُ الإبط وحلقُ العانة ضمن سنن الفطرة التي أرشدت إليها السنة النبوية؛ تحقيقًا للطهارة وحفظًا للصحة وصيانةً لكرامة الإنسان ونظافته. وتتجلى دلائل الإعجاز العلمي

في هذين التوجيهين من كونهما تشريعين وقائيين يقطعان أسباب الأذى قبل وقوعه؛ إذ إن مواضع الإبط والعانة من أكثر أماكن الجسم قابليةً لتجمُّع العرق والرطوبة والإفرازات، مما يجعلها بيئة مناسبة لتكاثر الجراثيم وظهور الروائح والالتهابات. وقد سبق الهدي النبوي بهذا الأمر كثيرًا من المفاهيم الصحية الحديثة في ترسيخ النظافة الشخصية، وربطها بالانتظام والاستمرار، بما يكشفُ عن حكمة التشريع وشموله لمصالح الإنسان في بدنه ونفسه، ظاهرًا وباطنًا، ومن سنن الفطرة نتف الإبط وحلق العانة، ولقد أثبت البحث العلمي أن الجَراثيمَ التي تتكونُ في الإبط هي من أنواع البكتيريا اللاهوائية، وعندَ نتفِ الإبط، فإن الهواء يدخل من خلال المسامات التي حدثت عند انتزاع الشعر، فتتعرضُ البكتيريا للهواءِ، فتموتُ. ويعتبر شعر العانة مسؤلاً عن انتشار مرض تقمل العانة في أوربا بشكلٍ كبير (عبد الحميد القضاة، تفوق الطب الوقائي في الإسلام، 1987)، فحلقُ شعر العانة ونتفُ الإبط ينظفُ المكان المختبئ من الجلد؛ الذي تتجمع فيه الأوساخ، وتنمو فيه الجراثيمُ وخُصُوصاً الفطرية منها، كما أن بعضَ الجراثيم تهوى العيش على مادة الشعر نفسها في هذه الأماكن.

خَامِسًا: دلائل الإعجاز العلمي في قص الأظافر:

سنّة تقليم الأظافر من خصال الفطرة تُسهم في حفظِ البدنِ من أسبابِ الأذى والعدوى، وقد جاءت النصوص بالعناية بهذه السنّة؛ حتى لا تتحول زوائد الأظافر إلى مواضع خفية تتراكم فيها الأوساخ والجراثيم، فتغدو اليد مع كثرة مباشرتها للأطعمة والأدوات والأسطح وسيطًا لنقل الملوثات إلى الفم وسائر البدن. فقص الأظافر؛ هو إزالة ما يزيدُ على ما يلابس رأس الإصبع من الظافر، ويستحبُّ الاستقصاءُ في إزالةِ الأظفار إلى حد لا يدخل منه الضرر على

الإصبع، فترك الأظفار بدون تقليم أو قص مظنّةٌ لجلب الأذى والمرض، لأن ما يطول منها يكوّن مواضع خفيّة تتجمع فيها الأوساخُ وتستقر تحتها أعداد كبيرة من الجراثيم. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، "وَقَّت لنا رَسولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم -حَلْقَ العانةِ، وتَقليمَ الأظفارِ، وقَصَّ الشَّارِبِ، ونَتْفَ الابْطِ-أربعينَ يومًا مَرَّةً"، (أبو داود ، برقم: 4200) ، وفي رواية الإمام مسلم: "وُقِّتَ لنا في قَصِّ الشَّارِبِ، وتَقْلِيمِ الأظْفارِ، ونَتْفِ الإبِطِ، وحَلْقِ العانَةِ، أنْ لا نَتْرُكَ أكْثَرَ مِن أرْبَعِينَ لَيْلَةً" (مسلم، برقم: 258)، فوظيفةُ الظفرِ الفعَّال حماية أطراف الأصابع وزيادة صلابتها وكفاءتها وتحسين أدائها عند الاحتكاك والملابسة؛ ومن ثَمّ فإنَّ الجزءَ الزائدَ الخارج عن طرف الأنملة لا قيمةَ له وظيفيا ووجوده يكونُ ضارًا، قال النبي -صلى الله عليه وسلم -"مَن قلَّم أظفارَه يومَ الجُمُعةِ وُقِي مِن السُّوءِ إلى مِثْلِها" (الطبراني ، 4746)، فالتقليم القطعُ شيئًا بعد شيء لإزالة الزائد حتى يبقى الشيء صالحًا لأداء وظيفته ومناسبًا للاستعمال؛ ويُستحب أن تقليم الأظافر يوم الجمعة ليُدرج ضمن سنن الجمعة. وترجع أضرار زوائد الأظفار إلى عاملين رئيسين: 1. الجيوب الظفرية التي تنشأ بين الزائدة ونهاية الأنملة، وفيها تتجمع الأوساخ والميكروبات وغيرها من مسببات العدوى. 2. الزوائد الظفرية ذات الأطراف الحادة وما قد تُحدثه من إصابات للشخص نفسه أو للآخرين، فضلًا عن أنها قد تعيق الحركة الطبيعية الحرة لأصابع اليد وأطراف الأنامل. وينتج عن هذه الزوائد تكوّن جيوب كهوف بين نهاية الأنملة من الخارج وطرف الزائدة من الداخل، وفيها تتراكم الأوساخ بأنواعها، ومن الأضرار الناتجة عن الجيوب الظفرية:

أ- تراكم الميكروبات ومسببات العدوى مع الأوساخ في مواضع يصعب تنظيفها وشطفها بالماء، مما يجعل أطراف الأصابع مصدرًا للعدوى، ولا سِيمَا في الأمراضِ التي تنتقل عن طريق الفم. وعلى العكس، فإن الأظافرَ المقلمة باستمرار لا تتكون فيها تلك الزوائد والجيوب، ويسهل غسلها وتنظيفها خاصة مَعَ تكرر الغسل في الوضوء—فلا تتجمعُ الأوساخُ ولا ناقلات العدوى بأطراف الأصابع. ولهذا تذكر المراجع الطبية عند الحديث عن بعض الأمراض المنقولة فمويًا ضمن الإرشادات العلاجية: قص الأظافر وتنظيفها بصفة مستمرة؛ ومن ذلك ما يُذكر في "داء الديدان الدقيقة الذيل" الذي تسببه الدودة الدقيقة الذيل (أكسيورس). غير أن الاقتصارَ على تقليم

الأظافر كإجراءٍ علاجيٍ في حالات محددة يعد عملاً محدودًا؛ فجعلته السنة عملًا مستمرًا وإجراءً وقائيًا يسبق في أهميته كثيرًا من تعليمات الطب العلاجي في حفظِ سلامة الأبدان وصحة الإنسان.

ب- تتجمعُ داخل الجيوب الظفرية بقايَا من المواد التي تباشرها الأيدي كالأطعمة، أو ما تلمسه كفضلات التغوط، أو ما ينفصلُ من سطح الجلد عندَ الهرش بالأظافر، ويصعب إزالة هذه الأوساخ إزالةً كاملةً بالغسل العادي، فيبقَى بعضُها داخلَ الجيوب فتكونُ مصدرًا للروائح الكريهة.

ج- وفي الأعمالِ التي تستلزمُ إمساكَ مواد سامة أو ملامستها قد يحتبس جزء منها في الجيوب الظفرية، ويصعب إزالته بالغسل المعتاد، وقد ينتقل إلى داخل الجسم عبر الأصابع أو الفم مُلحقًا ضررًا بصحة الإنسان.

فتقليمُ الأظافرِ إجراءٌ وقائيٌّ مستمرٌ يقطع طريق العدوى قبلَ وقوعِهَا؛ لأنَّ الجزءَ الزائد من الظفر يحبس الأوساخ وبقايا الطعام والملوثات وربما السموم، ويصعبُ تنظيفُها بالغسل العادي، ومن هنا يظهر البعد الإعجازي في توجيه السنة إلى العناية المنتظمة بالأظافر ضمن حدٍّ زمنيٍّ لا يُترك بعده أكثر من أربعين ليلة، ليظلَّ الإنسان على حالٍ من النظافة والسلامة، وتبقى أطرافه أبعد عن حمل الميكروبات والروائح ومسببات الضرر.

سادسا: دلائل الإعجاز العلمي العمي في غسل البَراجِمُ:

يُبرز الهدي النبوي في الطهارة عنايةً دقيقة بتفاصيل النظافة التي قد يغفل عنها كثير من الناس، ومن ذلك غسل البَراجِم؛ إذْ إنَّ مواضعَ ثنيات الجلد ومفاصل الأصابع من الأماكن التي تكون عرضة للأوساخ وبقايا العرق والجراثيم، ومع كثرة استعمال اليدين في اللمس والأكل والعمل تصبح هذه الثنايا منافذ محتملة لانتقال الملوثات إلى الفم وسائر البدن، ومن هنا جَاءَتْ الإشارةُ النبوية إلى تنظيفها بوصفه جزءًا من منظومة الوقاية اليومية، فغسلُ البَراجِم من دقائق الهدي النبوي في العناية بنظافة اليدين؛ فالبَراجم هي عُقَدُ ظهرِ الكفّ والأصابع، ومفاصلها ومعاطفها، وكلها تغسل وتنظف ؛ لاجتماع الوسخ فيها (العيني ، 1/ 165)، وقد اعتنى الإسلامُ بنظافة اليدين عنايةً كبيرة، فحثّ على غسلهما مِرارًا في اليوم وفي الوضوء وقبل الطعام وبعده وعند الاستيقاظ وبعد الخلاء، مع التنبيه على براجم اليد خاصةً لأن ثنايا الجلد فيها قد تُخفي الجراثيم والفطريات وتَتَّخذها موضعًا للتكاثر، ولأنَّ اليد الملوثة تُسهم في نقل الميكروبات إلى الفم والجهاز الهضمي وتسهيل انتشار العدوى بالمصافحة واللمس، فغسل البراجم (عقد الأصابع) يزيل المستعمرات الجرثومية، التي تتخذ من ثنياتِ الجلد في هذه الأماكن كهوفاً وأخاديد لها، فقد الأصابع من الأماكن التي تجتمع فيه الملوثات والميكروبات و تؤكد الإرشادات الصحية الحديثة على تنظيف الأصابع وإزالة الأوساخ منها (Centers for Disease Control and Prevention, 2024)، فغسلُ البَراجِم يحقق نظافةً أدقّ ويقطع طريق انتقال الملوثات من الأصابع إلى الفم، فتلتقي الطهارة التعبدية مع الوقاية الصحية في توجيهٍ عمليٍّ محكم، فغسل البَراجِم يمثل دلالة واضحة على البعد الوقائي في التشريع؛ لأنه يوجِّه إلى تنظيف مواضع خفية تتخذها الجراثيم والفطريات بيئةً مناسبة للتكاثر داخل ثنيات الجلد، وبغسل هذه العقد والمفاصل

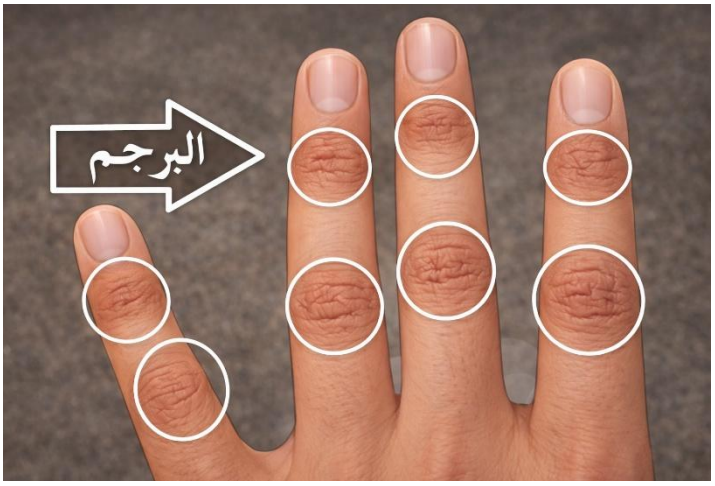

تتحقق نظافة أدقَّ لليدين، ويُقطع طريق انتقال الميكروبات عبر المصافحة واللمس ومن الأصابع إلى الفم والجهاز الهضمي، فَالْهَدِيُ النبويُّ فيه توجيهٌ عمليٌّ محكمٌ، يرسّخ أن الوقاية التي تبدأ من التفاصيل الصغيرة وتنتهي بدلائل علمية راسخة.

سابعا: دلائل الإعجاز العلمي في نظافة السبيلين والتخلص من الفضلات:

نظافةُ السبيلين والتخلّصُ من الفضلات بصورة صحيّة من أوكد مظاهر الطهارة في الإسلام، لأنها تتصل مباشرةً بمصدرٍ رئيسٍ لانتقال الملوثات، وقد جاءت النصوص بتأكيد الاستنجاء بالماء أو الاستجمار، وبضبط آداب استعمال اليدين، بما يرسّخ منظومةً وقائيةً يومية تحمي البدن والثياب والبيئة المحيطة من آثار النجاسات وما تحمله من كائناتٍ دقيقةٍ وسمومٍ، ويجعل الطهارة بَابًا جَامِعًا بين العبادة وحفظ الصحة،

قال- صلى الله عليه وسلم-: "إذا تغوط أحدكم فليتمسح ثلاث مرات" (الطبراني في الأوسط، برقم: 1696)، وعن عائشة قالت: "ما رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم -خرج من غائط قَطُّ إلا مس ماءً" (ابن ماجه ، برقم: 354)، وعن أنس- رضي الله عنه-: (كان النبي -صلى الله عليه وسلم - إذا تبرز لحاجته أتيته بماء فيغسل به) (البخاري ، برقم: 217). فيوجب الإسلام علينا تنظيف مخرج البول، ومخرج البراز، بالاستنجاء أو الاستجمار، أو غسلهما بالماء وأُمر المسلمون بتخصيص اليد اليمنى للأكل والمصافحة، واليد اليسرى لمباشرة الأذى والخلاء، عن عائشة- رضي الله عنها- قالت : "كانت يد رسول الله -صلى الله عليه وسلم -اليمنى لطهورة وطعامه، واليسرى لخلائه وما كان من أذى" (أبو داوود، برقم: 33)، فَلَقَدْ أكد الإسلام على الطهارة، وجعلها شرطاً لصحة الصلاة التي تتكرر في اليوم خمس مرات، وأولى خطوات هذه الطهارة: نظافة السبيلين اللذين منهما تخرج نفاياتُ الجسد التي تحتوي على قدر هائل من الكائنات الدقيقة

والسموم الضارة، وسماها الشارع نجاسات، وأمر بغسل الدبر والقبل بالماء؛ ليزيل أي أثر منها يمكن أن يعلق بالجسد أو بالثياب، ولك أن تنظر في حديث النبي- صلى الله عليه وسلم- الذي أخبر فيه عن رجل يعذب في قبره؛ لأنه كانَ لا يتنزه من بوله ويترك عدة قطرات منه تعلق بثيابه، لتدرك شدة الاهتمام بنظافة هذا المكان، والتخلص من هذه النفايات الضارة، وما فيها من أعداد كثيرة من الجراثيم، لذلكَ أمر الشارع باجتنابِ الملابس والأماكن الملوثة بهذه النفايات أو النجاسات وعدم ملامستها حَتَّى تطهر، واعتبر ذلك عبادة، وقد وجد أن إهمالَ نظافة الشرج والأعضاء التناسلية، قد يكون سبباً في إصابتها بمرض السرطان. وقد ثبت اليوم علمياً انتقال العديد من الأمراض من البراز إلى اليدين ثم على إلى الجهاز الهضمي مسببة للعديد من الأمراض المعوية ، (Sanitary-net.com https://www.sanitary-net.com/global/asking_expert/02.html)، ولقد بدأ الغرب في مطلع النصف الثاني من هذا القرن – القرن العشرين- يطبق بعض هذه السنن؛ لما وجد فيها من فوائد صحية، وجعل يدعو إلى ذلك لما ثبتَ لديه من فائدة الاستنجاء الوقائية من الأمراض؛ حيث أثبتت إحدى الدراسات في كلية الطب جامعة "مانشيستر": أن البكتريَا تنفذ من ثماني طبقات من ورقِ التواليت إلى اليد، وتلوثها أثناء عملية التخلص من بقايا البراز، وقد ندرك حجم الخطر إذا علمنا أن الجرام الواحد من البراز في الشخص السليم؛ يحتوي على مائة ألف مليون جرثومة، وفي المريض بمرض التيفويد؛ قد يحتوي الجرام الواحد خمسة وأربعين مليوناً من بكتيريا التيفويد، أما في مريض الدزنتاريا أو الكوليرا؛ فمن المستحيل إحصاء أعداد الجراثيم لكثرتها الهائلة" (الصاوي، ص 56) ، فالهدي النبوي في نظافة السبيلين يقومُ على مبدأٍ صحيٍّ بالغ الدقة؛ قطع طريق انتقال الجراثيم من الفضلات إلى اليد ثم إلى الفم والجهاز الهضمي، مع صيانةِ البدنِ والثياب من بقايا النجاسات التي قد تكونُ سببًا في الالتهابات والأمراض. فالاستنجاءُ وإحكام التنزه من البول والغائط ليسا مجرد آدابٍ شكلية، بل إجراءات وقائية تقللُ تلوثَ اليدين والأسطح وتحدّ من انتشار العدوى، وتؤسس لسلوكٍ صحي متكرر يلازم المسلم بحكم ارتباطه بالطهارة والعبادة. وبذلك يتجلى وجه

الإعجاز في الجمع بين طهارة الظاهر ومقصد حفظ النفس عبر نظام عمليٍّ متوازن في التخلص من الفضلات ونظافة المواضع الحساسة.

ثامنا: دلائل الإعجاز العلمي في نظافة الثياب وطهارتها:

نظافةُ الثياب وطهارتُها من المعالم البارزة في الهدي الإسلامي، إذ لم يجعلها الشرع مجرد مظهرٍ اجتماعي، بل ربطها بصلب العبادة وصحة القربات، وفي مقدمتها الصلاة. ومن هنا تتجلّى **دلائل الإعجاز العلمي** في هذا الأمر؛ فالثوب الطاهر والنظيف ليس رمزًا للجمال فحسب، بل هو جزءٌ من منظومةٍ متكاملة تُنمّي الوعي بالنظافة، وتُرسّخ الوقاية، وتربط بين صفاء الباطن وحسن الظاهر، بما يُبرز حكمة التشريع وشمولَه لمصالح العباد فالله -سبحانه وتعالى- أمرنَا بتطهيرِ الثياب فقال - تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: 4] وقد نص الرسول -صلى الله عليه وسلم -على نظافةِ الثوب وأناقته، فعن عائشة- رضي الله عنها-: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم -وضع صبياً في حجره يحنكه فبال عليه فدعا بماء فأتبعه" (البخاري، برقم: 5543) ، والأحاديث صريحة في نظافة الثوب من المني والبول والدم. وروى جابر بن عبد الله –رضي الله عنه-: "أنَّ رسولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم - رأى رجلًا وسِخةً ثيابُه، فقال: أما وجد هذا شيئًا يُنقِّي به ثيابَه؟ وَرَأَى رجلًا شعْثَ الرَّأسِ، فقال: أما وجد هذا شيئًا يُسكِّنُ به رأسَه" (أبو نعيم، حلية الأولياء، 182/3)، وقال- عليه الصلاة والسلام-: "أحسِنوا لباسَكُم، وأصلِحوا رحالَكُم، حتى تكونوا كأنَّكُم شامَةٌ فيْ النَّاسِ" (كنز العمال (639/6) رقم (17164). وبهذه التدابير المحكمة في تحقيق نظافة مداخل ومخارج وجلد الإنسان، وملابسه، وأماكن جلوسه ونومه وصلاته، يتوقى من أخطار الكائنات الدقيقة وسمومها الضارة؛ والتي يمكن أن تكون سبباً في مرضه أو هلاكه.

هذا فضلاً عن الفوائد النفسية للطهارة، التي تكون أثراً وانعكاساً لها، لكونها عبادة لله الخالق العظيم، وتعود بالنفع على جهاز المناعة فتقويه، وتزداد لديه المقاومة لكثير من الأمراض والعلل التي تهدد حياة الإنسان. إن عِلْمَ الطب الوقائي لم يتبلور ولم يظهر للوجود، إلا بعد اكتشاف علم الكائنات الدقيقة بأنواعِهَا وخواصها المختلفة، وبعدَ التقدمِ العلمي والتقني الهائل في معرفة مسبباتِ الأمراضِ، والَّذي لم يحدثْ إلا في هذا القرن – العشرين- أما قبلَ ذلك فكان الناس فريقين: مسلمين وغير مسلمين؛ فالمسلمونَ لديهم نظام دقيق في الطب الوقائي، هو جزء من دينهم يتعبدونَ الله به، وينفذونه في سهولة ويسر، وَأَمَّا غيرهم، فقد وصفت العالمة الألمانية (زيغريد هونكه) في كتابها المسمى "شمس العرب تشرق على الغرب" انطباع (الطرطوسي) من زيارته لبلاد الإفرنج في تلك الآونة، وكيفَ كان وهو المسلم الذي يتوضأ، قبل كل فرض من فروض الصلاة الخمسة، يستنكر حال القذارة التي كان يحياها الشعب الأوروبي، وأبدى دهشته من أنهم لا يغتسلون إلا مرةً أو مرتينِ كل عام وبالماء البارد، أما ملابسهم فلا يغسلونَها بعد أن يلبسوها كي لا تتمزق، ثم بينت الباحثة الألمانية تأثر المجتمعات الأوربية بعد ذلك شيئاً فشيئاً بالعادات الإسلامية الحميدة، بعد أن اتضحت فوائدها، ومنها إقامة الحمامات الخاصة والعامة" (فراج ، الإسلام والوقاية من الإمراض ، ص 17)، ولقد كانَ البريطانيون يعتبرون أن الغسل مضر بالصحة حتى أنه قد يؤدي إلى الموت والهلاك. وإنه كان من العيب والعار أن يبنى حمام داخل بيت أمريكي، حتى إن أول حمام مجهز بمغطس بني في البيت الأبيض كان عام (1851م). ولقد أثار في حينه ضجة؛ لأنه اعتبر عملاً مشيناً في ذلك الوقت. وفي فرنسَا كانَ قصر فرساي الشهير على رحابته خالياً من حَمامٍ واحد. لقد استعمرت بريطانيا "جزر الساندويش" وأرغمت سكانها المسلمين بالقمعِ والإغراء علَى أن يتحولوا إلَى النصرانية، وَلَكِنْ كَانْتِ النتيجةُ كما ذكرها الطبيب البريطاني (برناردشو) في كتابه "حيرة الطبيب": "أنِ انتشرتْ بينهم الأمراضُ والأوبئةُ الفتاكة، وعلل ذلك بتركهم لتعاليمِ الدين الإسلامي؛ التي تقضِي بالنظافة المطلقة في كل صغيرة وكبيرة؛ إلى حد الأمر بقص الأظافر وتنظيف ما تحتها". (موقع الدكتور عبد الجواد الصاوي، https://www.dr-sawi.net -1)، إن عالم الكائنات الدقيقة كان غيبياً في زمن النبوة وبعده، حتى القرن الماضي،

لكنَّ التشريعاتِ في الطهارة والوضوء والغسل، والنظافة في المسكن والملبس وأماكن التجمعات، والإرشاداتُ في المأكلِ والمشربِ، والسلوكُ الخلقي العام والخاص، لتشير كلها بطريقٍ أو بآخر إلى هذه العوالم الخفية وإلى مسببات الأمراض الأخرى، التي تضعف البدن وتوهن الصحة، وتصيب الجسم بالعلل والأمراض التي قد تودي به إلى الهلاك. وهكذا أثبت العلم سبق القرآن الكريم والسنة النبوية في الإشارة إلى الكائنات الدقيقة، وقدم التشريع الإسلامي أنجح السبل في القضاء عليها، وحماية الإنسان ووقايته من أخطارها، ورأى العلماء بأعينهم صدق وحي الله لرسوله، وتحقق قوله -تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ:6]. فنظافة الثياب وطهارتها في الإسلامِ ليست مظهرًا اجتماعيًا فحسب، بل هِيَ جزءٌ أصيلٌ من منظومةِ الطهارة التي تُعدُّ شرطًا لصحة العبادات، وفي مقدمتها الصلاة. وقد دلَّت النصوص القرآنية والسنّة العملية على العناية بإزالة النجاسات من الثوب، والتنبيه على تحسين الهيئة ونقاء الملبس، بما يرسّخ سلوكًا يوميًا دائمًا يمنع تراكم القذارات ويحدّ من انتقال الملوثات والكائنات الدقيقة عبر الملابس وأماكن الجلوس والنوم والتجمع. ومع تطوّر علوم الطب الوقائي وظهور علم الجراثيم تبيّن أن هذا الانضباط الشرعي يحقق فوائد صحية ونفسية عميقة؛ إذ يجمع بين الوقاية من مسببات الأمراض وبين تهذيب النفس على النظام والنظافة وحسن السمت، فتتكاملُ طهارة الظاهر مع صفاء الباطن. وبذلك تتجلَّى دلائل الإعجاز في سبق التشريع الإسلامي إلى سننٍ عمليةٍ تحفظ الإنسان في بدنه وبيئته، وتبرهن على حكمة الوحي وشمول هدايته لمصالح العباد في كل زمان ومكان. فسننُ الفطرة في الإسلام ليست مجرد عادات تجميلية، بل هي تشريعات وقائية محكمة تُعنى بصحة الإنسان وكرامته وتوازنه النفسي والاجتماعي، وتؤسس لنمط حياة نظيف يحدّ من أسباب العدوى والالتهابات وتراكم الملوثات. فالختان، وإعفاء اللحية مع قص الشارب، والسواك، والاستحداد ونتف الإبط، وقص الأظافر، وغسل البَراجِم، ونظافة السبيلين، وطهارة الثياب كلها توجيهات تتكامل لتُحسنَ إدارة مواطن التلوث في البدن والملبس والبيئة القريبة، وتحوّل النظافة إلى سلوك يومي منتظم، يتجاوز ردّ الفعل إلى الوقاية الدائمة. ومن ثمَّ يتجلَّى الإعجاز الوقائي في أن هذه السنن تُعالج جذور المشكلة

الصحية (مصادر التلوث وانتقاله) وتربطها بمنظومة عبادية وأخلاقية تحفظ الإنسان والمجتمع. فسنن الفطرة تمثلُ إطارًا وقائيًا شامِلاً يُقلّل مخاطر الالتهابات والروائح والأمراض المرتبطة بسوء العناية بالجسم، وأن الختانَ يرتبط بتحسين شروط النظافة وتقليل تراكم الإفرازات في مواضع حساسة، بما ينعكسُ على خفضِ احتمالات الالتهاب عند فئات معينة. كما تبيَّن أن إعفاءَ اللحية مع تهذيبِ الشارب يوازنُ بينَ الهيئة والنظافة، ويحدُّ من تلوثِ موضع الفم بالطعام والشراب، ويُسهم في انتظام العناية الشخصية. وأظهرت النتائج أن السواك يعزّز صحة الفم عبر إزالة اللويحة وبقايا الطعام وتقليل رائحة الفم، وهو ما ينعكس على الصحة العامة والتواصل الاجتماعي. كما دلَّتْ سُننُ إزالةِ شعر العانة ونتف الإبط وقص الأظافر وغسل البَراجِم على استهداف مواضع يُحتمل فيها احتباس العرق والأوساخ والجراثيم، بما يرفع مستوى النظافة ويقلّل فرص انتقال العدوى. وأكدت الدراسة أن نظافة السبيلين والتخلص الصحي من الفضلات تُعدّ حجر الأساس في الوقاية من التلوث البرازي ومضاعفاته، وأن طهارة الثياب تضمن سلامة الملامسة اليومية وتُقلّل انتقال الملوثات في المجتمع. وبذلك انتهت النتائج إلى أن الإعجاز الوقائي في سنن الفطرة يتجلَّى في تكاملها وتكرارها واستهدافها لمصادر التلوث، مع تحويل النظافة إلى عبادةٍ وسلوكٍ مستدام يحقق مقصد حفظ النفس ويرفع جودة الحياة.

الفصل الرابع

دلائل الإعجاز العلمي في الأطعمة الصحية والسلوك الغذائي

يمثُّل الغذاءُ أحدَ أهم أبوابِ حفظِ النفس ويظهر «الإعجاز الصحي» في هذا الباب من جهتين متكاملتين: جهةُ الأغذيةِ النافعة التي أرشدت إليها النصوص، وبيَّنت منافعُها أو دلَّت عليها دلالةً ظاهرة، حتى صَارت بعضُ الأبحاث الحديثة تؤكدُ أبعادًا علاجية ووقائية لم تكن معروفة على هذا التفصيل في زمن التنزيل. وجهة السلوك الغذائي الذي نظّمته السنة النبوية بآداب دقيقة تُسهم في حفظ الصحة، وتقليل الأذى، والوقاية من عللِ الهضم والعدوى، وضبط الشهية والوزن، وإقامة التوازن في حياة الإنسان. ومن هذا المنطلق، يتناول هذا الفصل نماذج من «المعجزات الصحية بالأغذية النافعة» مثل: الاستشفاء بالعسل، وماء زمزم، وفضيلة اللبن، ومعجزة الرضاعة الطبيعية حولين كاملين، وزيت الزيتون، والتصبح بالتمر والتداوي بالعجوة، والحبة السوداء وتقوية المناعة، والسنا والسنوت، والقسط الهندي، واليقطين. ثم ينتقل إلى «دلائل الإعجاز الصحي في السلوك الغذائي» من خلال جملةٍ من السنن والآداب التي ترسم منهجًا وقائيًا متكاملًا، مثل: النهي عن الإسراف، وآداب الأكل والشرب، والنهي عن بعض الممارسات الضارة كالتنفس في الإناء أو النفخ في الشراب، وتوجيهات تتعلق بهيئة الشرب والأكل، ونظافة الفم بعد الطعام، والمقصود إبراز الدلالة في الغذاء النافع والسلوك الصحيح، وكيفَ تَتَجلَّى حكمة التشريع في بناء الصحة الفردية والصحة العامة، بحيثُ يصبحُ الطعام والشراب بَابًا من أبواب الشكر، ووسيلةً للوقاية، وعلامةً على كمالِ هذا الدين وشموله.

المبحث الأول

دلائل الإعجاز العلمي الأغذية الصحية النافعة

اعتنى القرآن الكريم والسنة النبوية ببيان جملةٍ من الأغذية النافعة التي تقوم عليها صحة الإنسان وتقوى بها مناعته، وجعلت منها أسبابًا للغذاء والدواء والوقاية. وتبرز دلائل الإعجاز الصحي في هذا الباب، حِيْنَ تُشيرُ النصوصُ إلى منافعَ أو خصائصَ لبعض الأطعمة والأشربة، ثم تتجلَّى معانيها على نحوٍ أوضح مع تقدُّمِ البحث العلمي، فيزداد المؤمن يقينًا بحكمة التشريع وكماله. ويهدف هذا المبحث إلى عرضِ نماذجَ من هذه الأغذية النافعة وبيان ما تنطوي عليه من أبعاد صحية ووقائية في ضوء ما ثبتَ من الحقائق الطبية والتجريبية. فالأغذيةُ النافعةُ في دلائل الإعجاز في الهدي النبوي تبرز منهجٍ نبويٍّ قرآنيٍّ يرشد إلى اختيار الغذاء الطيب، وترشد العادات الغذائية، وتربطِ الغذاء بالوقاية وتقوية المناعة ضمنَ مقاصدِ حفظ النفس. بالاستشفاء بالعسل وماء زمزم، وغذاء اللبن والرضاعة الطبيعية، وزيت الزيتون والتمر والعجوة، والحبة السوداء والسنا والسنوت والقسط الهندي والقرع سيعتمد قراءةً منهجية تجمع بين دلالة النص ومقاصده، وبين ما صحَّ من الشواهد العلمية الحديثة، مع التحفّظ من التعميم غير المنضبط أو الجزم بما لم يثبت تجريبًا. وبذلكَ تتضح حكمة التشريع في توجيه الإنسان إلى أغذيةٍ نافعة تجمع بين الغذاء والدواء، وتؤسس لثقافةٍ صحيةٍ وقائيةٍ متوازنة تُعينُ على سلامةِ البدن واستقامة السلوك الغذائي، وتُعمّق اليقينَ بكمالِ هذا الدين وصلاحيته لهداية الإنسان في كل زمان.

أولا: دلائل الإعجاز العلمي بالاستشفاء بالعسل:

الاستشفاءُ بالعسل من الشواهد البارزة على الإعجاز العلمي الصحية ، ومع تطور العلوم الحيوية تبيَّن أن العسلَ يمتلكُ خصائصَ مضادّة للميكروبات ومساعدة على التئام الجروح وداعمة للمناعة، الوقاية من السرطانات واحتوائه على الفيتامينات والمواد المضادة للأكسدة بفضل مكوّناته الطبيعية المتنوعة، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل :68-69]. ففي العسل شفاء من الأدواء التي تعرض للناس (ابن كثير، 4/ 499)، فعن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه- أنَّ رجلًا أتى النبيَّ -صلى الله عليه وسلم -فقال: "أخي يشتكي بطنَهُ، فقال: (اسقِهِ عسلًا)، ثم أتاهُ الثانيةَ، فقال: "اسقِه عسلًا"، ثم أتاهُ الثالثةَ، فقال: "اسقِه عسلًا"، ثم أتاه، فقال: قد فعلتُ، فقالَ: (صدقَ اللهُ، وكذبَ بطنُ أخيكَ، اسقِه عسلًا. فَسَقَاهُ فبرأَ" (البخاري، برقم: 5252). وعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- قال: "سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم -يقول: إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير، ففي شرطةِ محجمٍ، أو شربة عسل، أو لذعة بنار توافق الداء، وما أحب أنْ أكتوي" (البخاري، برقم: 5359). فالنصوصُ تحث على التداوي بالعسل؛ فإن فيه شِفَاءً للناس ، وجاء في السنة تطبيقٌ عمليٌّ واضحٌ في علاج اضطرابات البطن، حتى قال -صلى الله عليه وسلم -: «صَدقَ الله وكذبَ بطنُ أخيكَ» إشارةً إلى أن العسل نافعٌ في موضعه ولو تأخر أثره بحسب حال المريض والجرعة وأن فيه قيمة علاجية وغذائية وفيه خواص علاجية للأدواء، والشفاء الذي أخبر الله عنه بوجوده في العسل ثابت، وباقٍ على ما جعل الله فيه من الشفاء (التحرير والتنوير لابن عاشور (13/ 169)، وقد أشارت الأبحاث العلمية إلى أن

فعالية العسل المضادّة للميكروبات ترتبط بخصائصه الفيزيائية والكيميائية، مثل انخفاض درجة الحموضة (pH) وارتفاع التأثير الأسموزي الناتج عن تركيز السكريات، إضافةً إلى عوامل أخرى كإنتاج بيروكسيد الهيدروجين ومكوّنات فعّالة متنوّعة بحسب نوع العسل ومصدره (Almasaudi, 2020; Kwakman et al., 2011). كما بيَّنت الأدلة المجمّعة أن للعسل أثرًا مساعدًا في تعزيز التئام بعض الجروح والحروق، خاصة الحروق السطحية، مع تفاوتِ النتائج باختلاف نوع الجرح (Jull et al., 2015). وفيما يتصلُ بالتهاب القولون، فإن معظم الأدلة المتاحة تُظهر تأثيرات مضادّة للالتهاب والأكسدة (Almasaudi, 2020). ويمتلك العسل مركّبات فينولية وفلافونويدات تدعم خصائصه المضادّة للأكسدة، ما يُسهم في مقاومة الإجهاد التأكسدي والجذور الحرة، مع اختلاف واسع تبعًا لتنوّع العسل ومنشئه (Cianciosi et al., 2018). كما تُظهر دراسات أن للعسل نشاطًا مثبطًا لطيف من الجراثيم وأنواع من الفطريات مثل Candida، وتعود هذه الفعالية إلى آليات معروفة ومتعددة (Kwakman et al., 2011; Moussa et al., 2012; de Groot et al., 2021). ويفيدُ شربُ العسلِ في دفع الفضلات المجتمعة في الأمعاء من خلال استطلاق البطن (أحمد حجازي، كفاءة الأعسال المضادة للميكروبات، ص71)، كما يدخل العسل في التركيبة الدوائية لكثير من الأدوية، وللمركبات الأخرى التي ينتجها النحل، مثل: الغذاء الملكي، وسم النحل، والعكبر، وكل منها له فوائد علاجية أثبتتها العديد من الدراسات العلمية.

وأوجه الاستشفاء بالعسل يظهر بالآتي:

1-أثبتتِ البحوثُ الطبيةُ الحديثةُ بأن للعسل خواص وفوائد حيوية (بيولوجية) لجسم الإنسان؛ كمضاد للأكسدةِ، والالتهابات، والبكتيريا، والفيروسات؛ وله فعل مضاد للتقرحات، والحروق إضافة لفعله المضاد للسرطان.

2-إن تنكير كلمة شفاء في الآية إما للتعظيم فيكون المعنى فيه شفاء، أي: شفاء، وإمَّا لدلالته على مطلق الشفاء أي: فيه بعض الشفاء (البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، 7/ 272)، وليس شفاء لكل الأمراض، وقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن للعسل قدرة عالية على الشفاء، تزيد وتنقص، حسب طبيعة كل مرض، وكل مريض.

3-ومن فوائد العسل الطبية أنه علاجٌ لاستطلاقِ البطنِ، كما سبق بيانه في الحديث الشريف بهذا الخصوص والذي فيه أيضا إشارة إلى أهمية تكرار العلاج في حصول الشفاء، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه، ولكنْ لكثرة المادة الممرضة، ومن ثم جاءَ الأمر النبوي بمعاودة شرب العسل لاستفراغها، وقدْ وجد الباحثون أن الإسهالَ الناجمَ عن التهاب المعدة والأمعاء استمر (93 ساعة) عند الذين لم يعطوا العسل، في حين شفي الذين أعطوا العسل في وقت أقصر (58 ساعة) (حسان باشا، الطب النبوي بين العلم والإعجاز، ص 119).

4-إن الأسرار العلمية والحقائق التي كشفها لنا العلم الحديث في العسل وأهميته الغذائية والعلاجية، تنبئ عن إعجاز علمي لنصوص الوحيين منذُ أكثر من أربعةَ عشرَ قرناً، وشاهد للنبي -صلى الله عليه وسلم -بالرسالة، وأن مصدر علمه من الله عز وجل.

فالاستشفاءَ بالعسل يجمع بين الهداية القرآنية والتطبيق النبوي العملي وبين ما أثبتته البحوث الحديثة من خصائصه المضادّة للميكروبات والمعزِّزة لالتئام الجروح والداعمة للمناعة والمقاوِمة للأكسدة؛ فيتجلَّى بذلك وجهٌ من وجوه الإعجاز العلمي الصحي، ومن ثَمَّ يبقى العسل شاهدًا حيًّا على حكمة التشريع وشموله، ودعوةً إلى التفكر في آياتِ الله، والأخذ بالأسباب الطبية المعتبرة مع حسن التوكل عليه سبحانه.

ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي في الاستشفاء بماء زمزم:

تتناول دلائلُ الإعجاز العلمي في الاستشفاء بماء زمزم نموذجًا فريدًا يلتقي فيه شرفُ المكان والعبادة مع إشاراتٍ صحيةٍ ووقائيةٍ لافتة؛ إذ ارتبط ماء زمزم في النصوص ببركةٍ خاصة ومعانٍ تتجاوز مجرد الإرواء، ومع تقدُّم الدراسات الحديثة ازداد الاهتمام بخصائصه الفيزيائية والكيميائية، وغناهُ بالمعادن النافعة، ونقاوته وطرق تعقيمه في التعبئة دون إضافاتٍ كيميائية، فبئرُ زمزم بئرٌ محفورٌ بالأيدي، ويبلغ عمقُه نحو 30.5 مترًا، فيما يتراوح قطرُه الداخلي بين 1.08 و2.66 مترًا، ويقع البئر حاليًا داخل حجرة سفلية محمية بألواح زجاجية تتيح رؤيته بوضوح، وتُستخدم مضخات كهربائية لسحب الماء منه (مركز دراسات وأبحاث زمزم، هيئة المساحة الجيولوجية السعودية. www.sgs.org.sa/Arabic/Topics/Pages/Zamzam.aspx) ،

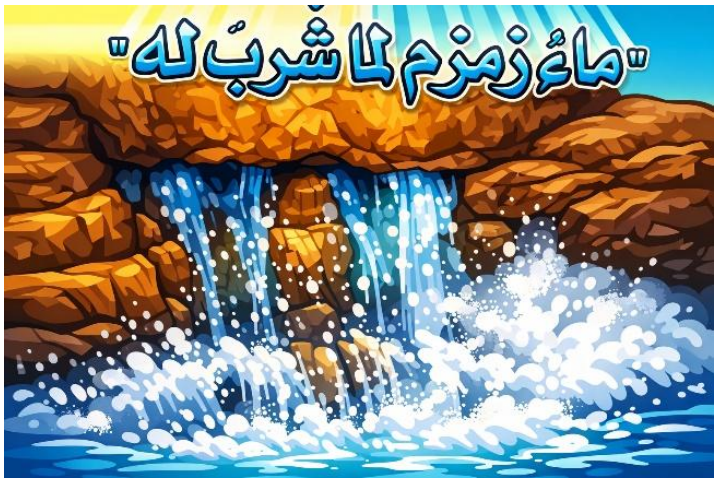

وماءُ زمزم من أعظمِ آياتِ الله الباقية، اجتمع فيه شرفُ المكان والعبادة مع دلائل صحيةٍ مع تميّزه في نقاوته وثبات خصائصه واحتوائه على معادن نافعة بنِسَبٍ متوازنة، بما يدعم تعويض الأملاح وتقوية البدن والاستشفاء به بوصفه نموذجًا لتكاملِ الهدي الشرعي مَعَ سنن الصحة والوقاية، فعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: "ماء زمزم لما شرب له" (سنن ابن ماجه ، برقم: 3053، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ، برقم: 2484)، وعن أبي ذر الغفاري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "إنها مباركة وهي طعام طعم" (مسلم، 2473) وفي لفظ «إنها مباركة، وهي طعام طُعْمٍ، وشفاءُ سُقم» (مسند أبي داود الطيالسي ، برقم: 459)، وعن ابن عباس- رضي الله عنه- في شرحه الحديث: ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تستشفي به شفاك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله، وهي هزمة جبريل وسقيا الله إسماعيل (سنن الدار قطني ، برقم:

238 ، وحسنه الألباني)، وذكر ابن القيم في كتابه زاد المعاد: "وقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض فبرئت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف الشهر أو أكثر، ولا يجد جوعاً، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يوماً، وكان له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مراراً " (**زاد المعاد لابن القيم الجوزية 4/ 393**). وقال " ولقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها، آخذ شربة من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مرارا، ثم أشربه، فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع " (الطب النبوي لابن القيم (ص: 132)؛ لأن ماء زمزم سقيا الله وغياثه لولد خليله فبقي غياثا لمن بعده فمن شربه بإخلاص وجد ذلك الغوث، وقد شربه جمع صلحاء وعلماء لمطالب فنالوها (المناوي ، 2/ 651). قال الشوكاني :" قوله -صلى الله عليه وسلم -(ماء زمزم لما شرب له) فيه دليل على أن ماء زمزم ينفع الشارب لأي أمر شربه لأجله، سواء كانَ في أمور الدنيا أو الآخرة؛ لأن (ما) في قوله (لما شرب له) من صيغ العموم ... وقول ابن عباس: (هزمة) بالزاي، أيْ: حفرة جبريل؛ لأنه ضربها برجله فنبع الماء، قال في القاموس: هزمه يهزمه: غمزه بيده فصارت فيه حفرة، ثم قال: والهزائم: البئار الكبيرة الغزر الماء قوله: (وسقيا إسماعيل) أي: أظهره الله ليسقي به إسماعيل في أول الأمر (نيل الأوطار (5/ 105). وقد أثبتت الدراسات العلمية التي أجريت على ماء بئر زمزم أنه ماء متميز في صفاته الطبيعية والكيميائية، فهو غني بالعناصر والمركبات الكيميائية النافعة التي تقدر بحوالي (2000) ملليجرام بكل لتر، بينما لا تزيد في مياه آبار مكة وآبار الأودية المجاورة لها عن (260) ملليجرام بكل لتر، مما يوحي ببعد مصادرها عن المصادر المائية حول مكة المكرمة، وبتميزها عنها في محتواها الكيميائي وصفاتها الطبيعية والعناصر الكيميائية النافعة في ماء زمزم. كما ثبت أن كل مركب من المركبات الكيميائية في ماء زمزم له دوره المهم في النشاط الحيوي لخلايا جسم الإنسان، وفي تعويض الناقص منها في داخل تلك الخلايا، ومن الثابت أن هناك علاقة وطيدة بين اختلال التركيب الكيميائي لجسم الإنسان والعديد من الأمراض. ويتم تعقيم مياه زمزم في مصنع تعبئة الجوالين بالأشعةِ فوق البنفسجية فقط، دون إضافة أي مواد كيميائية،

ويصل مستوى التعقيم من البكتيريا والفيروسات إلى نسبة (99.77%)، والكيلو واط الواحد من الكهرباء يقوم بتعقيم (12000) جالون من الماء، ومن مميزات طريقة التعقيم هذه ضمان عدم تغير لون ماء زمزم أو طعمه أو رائحته (موقع الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي www.gph.gov.sa/pages/zamzam) ، وفي عام 2012م كشفت دراسة طبية حديثة أشرف عليها باحثون من معهد علوم الأرض بجامعة هايدلبرج الألمانية، والتي تعد من أفضل (50) جامعة على مستوى العالم، أن ماء زمزم يختلف تماماً عن أنواع المياه المختلفة وله خواص فريدة. وتوصل الباحثون إلى هذه النتائج بعد تجميع (30) عينة من ماء زمزم، بواقع (10) عينات من بعض الحجاج الألمان في عام 2007م، و(10) عينات من بعض المحال في فرانكفورت وبرلين في عام 2011م، و(10) عينات أخرى من مدينة مكة، وتم فحص جميع العينات لمدة أسبوعين. وكشفت الدراسة عن نتائج مثيرة للغاية؛ حيث أكدت أن جودة وطبيعة مياه زمزم لم تتغير لمدة عامين كاملين، والغريب أن النتائج كانت متطابقة بين جميع العينات. وأرجع الباحثون هذه النتائج المثيرة لمياه زمزم إلى خواصها القلوية، حيث يبلغ درجة الأس الهيدروجيني لها " 8 "pH (دراسة ألمانية: مياه زمزم لها خواص علاجية، https://www.youm7.com/story/2015/5/23) . ولماء زمزم فوائد عديدة منها: أنه مضاد للخلايا السرطانية؛ لاحتوائه على بعض العناصر مثل السيلينيوم والليثيوم والارسين بالإضافة للدرجة القلوية العالية، كما أثبتت ذلك البحوث الحديثة (Al Doghaither et al, 2016 ; Omar et al; Ali et al. 2017) ، وله فعل مضاد لمرض السكري النوع الثاني (Bamosa et al 2013) ، ويمنع ترسب بلورات الاوكزالات المسببة لحصى الكلية على الرغم من احتوائه على تركيز عالٍ من الكالسيوم في ماء زمزم بالمقارنة مع المياه الطبيعية (Al-Ghamdi, 2012) ، ويساعدُ ماء زمزم في علاج الإدمان، فقد أثبتت التجربة المختبرية الحديثة (2018) نجاعة عند استخدامه متزامنا مع دواء الميثادون بالمقارنة لو استخدم الميثادون لوحده (Halim et al. 2018)، ويفيد ماء زمزم في صحة الأسنان؛ حيث يزيد من صلابتها ويقلل نسبة التسوس؛ وذلك لاحتوائه على كمية أكبر من الكالسيوم والمغنيسيوم والفلورايد بالمقارنة مع الماء العادي (Vani et al.، 2016)، وتوصلت دراسة أجريت في المانيا بأن

وجود عنصر الارسينك (As) والليثيوم (Li) إضافة إلى قاعدية الماء قد تساهم في الْتِئَام الجروح (Shomar, 2012)، ولماء زمزم فعل مضاد للأكسدة، وبذلك يكون له فعل شديد ضد الالتهابات (Al Meheithif et al. 2009، Ali et al. 2012)، ويعطي حماية ضد المواد المشعة (Yazdi et al. 2017) وأجريت دراسة حديثة على الفئران لوحظ بأن ماء زمزم يزيد من قابلية التعلم ويحسن الذاكرة، إضافة إلى أنه يقلل من الحالة العصبية والكآبة (Najam , Riaz, 2016). وأوجه الإعجاز العلمي في ماء زمزم تتمثل بالآتي:

1-ثبت علميا أن مياه زمزم تحتوي على مركباتِ الفلورِ التي تعملُ على إبادة الجراثيم، وأفادت نتائج التحاليل التي أجريت في المعامل الأوروبية أن المياه صالحة للشرب، وأن خواصها لا تتغير مع مرور الوقت، والجدير بالذكر أن بئر زمزم لم تجف أبداً من مئات السنين، وأنها دائما ما كانت توفي بالكميات المطلوبة من المياه للحجاج، وأن صلاحيتها للشرب تعتبر أمرا معترفا به على مستوى العالم.

2. ثبت أن ماء زمزم ماء معقم 100% وأنه خال من الجراثيم والعفونات، ولا تنمو فيه أية فطريات ولا يحتاج للتعقيم بالكور.

3. في ماء زمزم نسب عالية من المركبات المفيدة لجسم الإنسان، مما يساعد على زيادة النشاط الحيوي لخلايا الجسم، وفي تعويضِ الناقص منها في داخل تلك الخلايا، وهذا ما يتوافق مع قوله صلى الله عليه وسلم: "طَعَامُ طُعْمٍ".

4-ثبتَ أن هناك علاقةً وطيدةً بينَ اختلال التركيب الكيميائي لجسم الإنسان والعديد من الأمراض، ومن المعروف أن مياه زمزم قد استعملت منذ قرون عديدة في الاستشفاء من عدد من الأمراض مثل أمراض الروماتيزم، وهذا ما يتوافق مع قوله- صلى الله عليه وسلم-: (وشِفَاءُ سُقْمٍ)، والتنكير في الشفاء والطُعم دليل على وجود قدر من الشفاء وقدر من الطُعم، وليس كل الشفاء ولا كل الطعم.

فالدلائلُ العلميةُ الحديثةُ تؤكدُ أن ماء زمزم يتميّز بخصائص طبيعية وكيميائية فريدة؛ إذ يظهر ثباتًا ملحوظًا في صفاته عبر الزمن، ونَقَاءً عَاليًا معَ غنىً بالأملاح والمعادن النافعة بنِسَبٍ متوازنة،

بما يدعم تقوية الوظائف الحيوية، دونَ إضافاتٍ كيميائية ويحافظ على لونه وطعمه ورائحته مع خفضٍ كبير للأحياءِ الدقيقة، وهو ما يعكسُ جَودةً استثنائيةً في السلامة الميكروبية. وتحسين بيئة الجسم الداخلية، فَضْلًا عن نتائج بحثية تناولت أدوار مكوّناته في مجالات متعددة كصحة الكلى والأسنان ومضادات الأكسدة وغيرها، وبذلكَ يغدو زمزمٌ نموذجًا دالًّا على تكامل السنن الكونية مع الهداية الشرعية.

ثالثا: دلائل الإعجاز العلمي في غذاء اللبن:

اللبنُ من الأغذية التي تتجلَّى فيها دلائلُ الإعجاز العلمي من حيثُ كونُه غذاءً فطريًّا متكاملاً يجمع بين سهولة الهضم وارتفاع القيمة الغذائية؛ إذ يمدّ الجسم بمزيج متوازن من البروتينات عالية الجودة، والدهون، والسكريات الطبيعية، إضافةً إلى معادن أساسية كالكالسيوم والفوسفور والمغنيسيوم والبوتاسيوم، وفيتاميناتٍ متعددة تسهمُ في دعمِ المناعة وبناء العظام والأسنان. وتكشف الأبحاثُ الحديثة أن اللبنَ لا يقتصرُ على كونه مصدرًا للطاقة والبناء، بل يضم مركَّباتٍ حيوية ذات آثار وظيفية؛ منها ما يعزّز توازن بكتيريا الأمعاء ويحسّن الامتصاص، ومنها ما يدعم ضبط ضغط الدم عبر ببتيداتٍ ناتجة عن هضم البروتينات، فضلًا عن دوره في تعويض السوائل والأملاح بعد الجهد. ومن هنا يظهر أن اللبن مثالٌ واضح لتوافق الهدي الفطري مع سنن الصحة والوقاية، وغذاءٌ تتجددُ معارفنا العلمية في بيانِ منافعه واتساع آثاره. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون:21]. من اللبنِ الخارج من بين الفرث والدم (تفسير الطبري، 19/ 24)، فاللبنُ مصدرٌ هامٌ للعناصر الغذائية الأساسية من الماء والاملاح والفيتامينات، ومصدرٌ رئيسٌ للطاقة الغذائية،

والبروتينات والدهون عالية الجودة؛ كما يُسهِمُ الحليب بشكلٍ كبير في تلبية الاحتياجات الغذائية من الكالسيوم، والمغنيسيوم، والسيلينيوم، والريبوفلافين، وفيتامين ب12، وحمض البانتوثينيك (منظمةُ الأغذيةِ والزراعةِ للأمم المتحدة (الفاو)، Milk composition، https://www.fao.org/dairy-production-products/products/milk-composition/en). وأشارت الدراسات إلى أن استهلاك منتجات الألبان له دور في الوقاية من النقرس (Choi, H. K., Atkinson, K., Karlson, E. W., Willett, W., & Curhan, G. 2004). وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: 66]. ذلك أن أكل البهائم يهضم، ثم يتمثلُ جزءٌ منه في الدم، وجزءٌ ينزلُ لبنا وهو خالص ليس فيه اعتكار بدم، ولا بقية من روث، بل هو صافٍ نَقِيٌّ لَا عكرةَ فيه. وهو سائغ للشاربين، أي يستسيغونه ولا يمجُّونه، وفيه إشارة إلى أنه طعامٌ سهل سريع الهضم (زهرة التفاسير، 8/ 4211)، فدلائل الإعجاز العلمي بالإشارات الجامعة للمسارِ الدقيق في تكوين اللبن؛ إذ تتحولُ الأغذية في جهاز الهضم إلى نواتج قابلة للامتصاصِ، ثم تنتقلُ عبرَ الدورةِ الدمويةِ لتصل إلى الغدد اللبنية حيث يتم ترشيح بعض المكوّنات وتصنيع أخرى داخل الضرع، فتخرج مادة غذائية نقية رغم مرورها بين وسطين غير صالحين للشرب؛ كما أن وصفه بالسائغ يوافق ملاءمته الحيوية؛ لكونه ذا تركيبٍ متوازنٍ من الماء والسكريات والدهون والبروتينات والأملاح، بما يحقق قيمة غذائية تتحولُ مكوّناته تدريجيًا إلى لبنٍ صالحٍ للشرب (منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، حامد عطية، https://www.iijazforum.org/sample)، وفي الحديث عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: " إذا أكَلَ أحَدُكم طعامًا فلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ بارِكْ لنا فيه وأطْعِمْنا خَيرًا منه، ومَن سَقاه اللهُ لَبنًا، فلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ بارِكْ لنا فيه، وزِدْنا منه، فإنَّه ليس شيءٌ يُجزئُ عنِ الطعامِ والشرابِ غيرَ اللبَنِ" (سنن ابن ماجه، برقم: 3322). فقدْ أثبتَ العلم أن اللبن هو الوحيد من بين الأغذية التي تحتوي على جميع عناصر المواد الغذائية (محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، ص 78). وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال قدم أناس من عكل أو عرينة فاجتووا المدينة «فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِلِقَاحٍ، وَأَنْ يَشْرَبُوا مِنْ

أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا» (البخاري، برقم: 233) ، فخاصيةُ اللبنِ الطبيعية والكيميائية أنهُ يعمل على سرعة امتصاص الغازات وذلكَ لاحتوائه على المواد الدهنية، والسكرية، والزلالية، وتنبع القيمة الغذائية من كونه يوفر مزيجًا متوازنًا من الطاقة والبروتينات والمعادن والفيتامينات وسهولة الهضم (سلوى عبد الله أمين، https://islamonline.net/archiv)، فعلميًّا اللبن غذاءٌ غنيٌّ بالعناصر الأساسية؛ إذ يمدّ الجسم بالبروتين عالي الجودة والطاقة، ويُعدّ مصدرًا مهمًّا للكالسيوم وغيره من المعادن الداعمة لنمو الأطفال وتكوين العظام والأسنان، فلبن الإبل له فوائد وهو دواء وشفاء من أمراض الربو والسكر وعلاج نزلات البرد والنزلات الشعبية، ولسرعة التئام الجروح، وفي قرحة المعدة ودواء للسرطانِ، وأمراض الكبد والتهاباته، لاحتوائه على تراكيز عالية من فيتامين "ج" والأملاح المعدنية المهمة لحيوية الجسم، فهو واق من كثير من أمراض الجهاز التنفسي، فالنسبة المنخفضة منه التي لا توجد لدى غير الإبل من بين الحيوانات الأخرى اللبونة لا تؤثر في الجسم ولا تؤدي إلى مشكلات صحية، كما أن تركيبَ الأحماضِ الأمينية في لبن الناقة يشبه تركيب هرمون الأنسولين مما يجعله ذا فائدة لمرض السكر، ولبنُ الناقةِ يصير عِلاجاً فَعالاً وناجحاً جداً من أمراض متعددة من بينها أنواع من أمراض الكبد من تليّفه إلى تشمعه إلى التهاباته الفيروسية وغيره، ويتميز لبن الإبل بصفات خاصة إضافة لكونه مادة غذائية ممتازة حيثُ ثبتَ أنه غِذَاءٌ ودواءٌ؛ لأنه يحتوي على مواد مثبطة لنشاط البكتريا ويحتوي على نسبة كبيرة من الأجسام المناعية المقاومة للأمراض خاصة للأطفال المولودين حديثاً (الصلابي، 2019)، فاللبنُ نموذجٌ غذائي يجمع بين الفائدة الغذائية والكفاءة الهضمية؛ فهو يوفِّر بروتيناتٍ عالية القيمة الحيوية مع طيفٍ من الدهون وسكريات اللاكتوز، ويؤمِّن معادنَ دقيقة التوافر، وفيتامينات داعمة للعظام ووظائف الأعصاب. وهذا يفسّر تفوقه كغذاءٍ قابلٍ للاستهلاك اليومي وفعّالٍ في دعم النمو والتعافي وتعويض السوائل والأملاح.

رابعا: دلائل الإعجاز العلمي في الرضاعة حولين كاملين من لبن الأم:

تتجلّى دلائل الإعجاز العلمي في توجيه الرضاعة من لبن الأم حولين كاملين في كونه يوافق الاحتياجات الحيوية للطفل في أدق مراحل نموّه؛ فلبن الأم ليس غذاءً ثابتًا، بل سائلٌ حيٌّ يتغيّر تركيبه مع الأيام والأشهر ليلائم تطوُّر جهاز الطفل الهضمي والمناعي والعصبي. وخلالَ العامين تتكامل فوائد الرضاعة في بناء المناعة عبر الأجسام المضادّة وعوامل الحماية، وتقليل معدلات العدوى والحساسية، ودعم نمو الدماغ بفضل الأحماض الدهنية الأساسية، مع تزويد الطفل بمغذّيات ومعادن سهلة الامتصاص وبكميات متدرجة تناسب الانتقال الطبيعي من الاعتماد الكامل على اللبن إلى إدخال الطعام. كما أنَّ استمرارَ الرضاعة طوال الحولين يسهم في نضج الأمعاء وتنظيم الميكروبيوم المعوي وتحسين الاستفادة من الغذاء، ويمنح الطفل توازنًا نفسيًا وارتباطًا آمنًا ينعكسُ على نموه السلوكي. وبهذا يظهر أن تحديد الحولين ليس مجرد توجيه تعبّدي، بل حَدٌّ زمنيٌّ دقيقٌ ينسجمُ مع سنن الخلق وقوانين النمو، ويكشف عن حكمةٍ وقائيةٍ متكاملة في بناء الإنسان منذ بداياته. قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233]، فإتمامُ مدة الرضاعة حولين كاملين؛ لما في ذلك من حصول نفع للمولود، (فتح القدير للشوكاني، 306/1). ورتب الله على الرضاع أجرا، وقال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: 6]. ويحرم من الرضاع ما يحرم من النساء، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ

وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء - الآية 23]. وفي الحديث عن أم سلمة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: " لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام" (الترمذي ، برقم: 1072)، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم -وغيرهم أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دونَ الحولين، وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يحرم شيئا (الترمذي ، 2/ 449)، وعن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال " لا رضاع إلا ما شد العظم وأنبت اللحم (سنن أبي داود ، برقم: 2059 ، وصححه الألباني) ، قال الخطابي: معناه: "أن الرضاعة التي تقع بها الحرمةُ ما كان في الصغر، والرضيع طفل يقوته اللبن ويسد جوعه، وأما ما كان منه بعد ذلك في الحال التي لا يسد جوعه اللبن، ولا يشبعه إلا الخبز واللحم وما في معناهما من الثفل فلا حرمة له" (طرح التثريب وشرح التقريب 7/ 136) ، ومن خلال الدراسات الحديثة في تغذية المواليد تبيَّن امتيازُ لبن الأم، ولا سيما اللِّبَأ (Colostrum) الذي يُفرَز في الأيام الأولى بعد الولادة ويتميز بكثافته ولونه الأصفر مقارنةً بحليب الأم، اللبأ هو أول شكل من أشكال حليب الأم الذي تفرزه الغدد الثديية بعد الولادة، وهو غني بالعناصر الغذائية والأجسام المضادة للأكسدة التي تُسهم في بناء جهاز المناعة لدى المولود الجديد(Cleveland Clinic, 2022) ، ولا سيما تلك التي تؤثر على جهاز المناعة لدى حديثي الولادة. يُفرز اللبأ بكميات صغيرة من خلايا الحويصلات الهوائية في الثدي ، ويتميز بانخفاض محتواه من الدهون والكربوهيدرات، واحتوائه على نسبة أعلى من البروتينات والمركبات النشطة بيولوجيًا مقارنةً بالحليبِ الناضج، ويلعب دورًا حاسمًا في تعزيز مناعة حديثي الولادة، إذ ينقل العوامل المناعية التي تُسهم في النمو السليم لجهاز المناعة لديهم، وتدعم تكوين ميكروبيوم معوي صحي (WHO, n.d.; Garofoli et al., 2023) ، كما يحتوي حليب الأم على **خلايا مناعية حيّة** تتبدَّل كميتها بحسب المرحلة والحالة الصحية، الذي يفرز بتركيز مرتفع بعد الولادة مباشرة ويستمر من (3 – 7) أيام ، وهو مهمٌ جِداً لحياة الطفل، ومناعته ضدَّ الأمراض ؛ لاحتوائه على نسبةٍ عالية من الأجسام المضادة (الجلوبيولينات)

الضرورية لمقاومة مختلف أنواع البكتيريا ، وبعض أنواع الفيروسات ، مع حماية الوليد من الالتهابات؛ لأنه يحتوي على البروتينات المناعية كالأنترفيرون المقاوم للفيروسات، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من خلايا الدم البيضاء المقاومة للأمراض، ففي عام 2007م اكتشف كريجان وآخرون (Cregan et al) وجود خلايا جذعية (Stem cells) تحمل جينات من الأم وتنتقل إلى الرضيع بعد الرضاعة؛ حيث تساهم في استكمال الصفات الوراثية للمولود، وبالذات إذا كان المولود خديج، وهكذا تنتقل الصفات الوراثية للرضيع المولود الذي ولد من أم أخرى ويصبح وكأنه من نسل الأم المرضع (Cregan et al., 2007)، والرضاعة الطبيعية من أهم تدخلات التغذية المبكرة؛ إذ تزوِّد الرضيع بعوامل وقائية وغذائية متكاملة في الأشهر الأولى من حياته؛ فهي تعزّز مقاومة العدوى عبر مكوّنات مناعية فعّالة، وتُسهم في بناء ميكروبيوم معويٍّ نافع يدعم سلامة الجهاز الهضمي ويحدّ من نمو الجراثيم الضارة، كما يوفّر لبن الأم احتياجاتِ الطفل الغذائية الأساسية للنمو السليم، ويُسهم في تقليل مخاطر بعض الالتهابات الشائعة مثل التهابات الجهاز الهضمي والتنفسي والأذن. وتتميّز الرضاعة الطبيعية أيضًا بآثارها التطورية والوقائية بعيدة المدى؛ إذ تساعد على تهيئة الطفل لتقبّل تنوع النكهات تبعًا لتغيّر مكونات غذاء الأم، وقد ترتبط بانخفاض احتمالات الحساسية (كالربو والإكزيما) في المراحل المبكرة. وتُسهم في اكتساب وزنٍ صحي وتخفيف مخاطر اضطرابات الوزن لاحقًا. إضافةً إلى ذلك، يحتوي لبن الأم على أحماض دهنية متعددة غير مشبعة طويلة السلسلة تُعدّ ضرورية لدعم نمو الدماغ، وقد يرتبط الإرضاع الطبيعي الخالص في الأشهر الأولى بتحسين المؤشرات المعرفية والنمائية للطفل. (فريق تحرير بيبي سنتر آرابيا، arabia.babycenter.com/x25002591). كما توفر الرضاعة الطبيعية فوائدَ متعددة للأم والطفل، تتداخلُ فيها الأبعاد الهرمونية والصحية والنفسية والوقائية؛ فعلى المستوى الفسيولوجي تُحفِّز الرضاعة إفراز الأوكسيتوسين المسؤول عن قذف الحليب، وتُسهم في انقباض الرحم وعودته إلى حجمه الطبيعي بعد الولادة، بما يدعم التعافي في فترة النفاس ويُقلل بعض مضاعفاته. كما تزيد الرضاعة إفراز البرولاكتين الذي ينشّط الغدد اللبنية لإنتاج الحليب، ويرتبط كذلك بتثبيط الإباضة عند الإرضاع الحصري؛ الأمر الذي قد يحقق تنظيمًا

طبيعيًا للولادات خلال الأشهر الستة الأولى وفق شروطه المعروفة (خصوصًا الإرضاع الحصري وغياب الطمث). وعلى المستوى النفسي والاجتماعي، تعزّز الرضاعة الطبيعية الرابطة العاطفية بين الأم ووليدها وتدعم شعور الأم بالرضا والإشباع النفسي. أما من جهة صحة الطفل، فيُؤكد هذا العرض أن حليب الأم لا يُستعاض عنه بحليب الأبقار؛ لافتقاده إلى مكوّنات فسيولوجية ومناعية موجودة في لبن الأم، مع الإشارة إلى أن الاعتماد المبكر على البدائل قد يقترن بارتفاع بعض مشكلات الطفولة (مثل التهابات الأذن الوسطى، والتهابات الجهاز التنفسي، والإسهال، والحساسية) مقارنة بالرضاعة الطبيعية. وتذهب بعض الدراسات كذلك إلى أن الرضاعة الطبيعية ترتبط بانخفاض مخاطر بعض السرطانات لدى الأم (لا سيما سرطان الثدي وبعض السرطانات النسائية)، وبآثار صحية بعيدة المدى لدى الطفل تشمل تحسين بعض المخرجات المعرفية وتقليل مخاطر أمراض القلب والسمنة وارتفاع الضغط والسكري في مراحل لاحقة (Oddy, 2002; Myer, 2006; Liu et al., 2014; Håkansson, 2015; Lönnerdal, 2016). وتؤكد العديد من البحوث على الفائدة الكبيرة للرضاعة الطبيعية سواء للأم أو الطفل، فقد أوصت الأكاديمية الأمريكية للأطفال في عام 2015م بضرورةِ استمرار رضاعة الثدي على الأقل لمدة 12 شهراً، بينمَا أوصت منظمة الصحة العالمية باستمرارية رضاعة الثدي للأطفال لحد سنتين أو ما يزيد. ، فيتبيّن من هذا أن الإرضاع أصلٌ وقائيٌّ دقيق في لبن الأم، وهو الأصلح للوليد من حيث التكوين الغذائي والمناعي والنفسي، وأنه عند تعذّر ذلك لا يُنتقل مباشرة إلى البدائل الصناعية، بل يُقدَّم خيار المرضعة الأخرى ضمن إطارٍ من المسؤولية والعدل وصيانة حقّ المرأة في الأجرة والمعروف؛ وهو ما بينه الله تعالى بقوله : ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: 6]، بما يرسّخُ مبدأ ضمان التغذية الأنسب للطفل مع مراعاة الحقوق الاجتماعية والتنظيمية. والحقائقُ التي كشفها البحث العلمي حول المنافع الجمة للرضاعة الطبيعية للرضيع وللأم من تعزيز المناعة، ودعم النمو، وتوطيد الرابطة العاطفية، وآثارها الوقائية على صحة الأم لم تكن معروفةً، فأصلُها القرآن والسنة في زمن التنزيل، ويبرز وجهٌ آخر من الإعجاز في تحديد المدة الأكمل للرضاعة؛ إذ قرّر القرآن معيار إتمام

الرضاعة في حولين كاملين ، كما قال الله تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233]، وفيه دلالته لما انتهت إليه الدراسات من أن إكتمال فوائد الرضاعة؛ جسميًّا ونفسيًّا ومناعيًّا يرتبط بالاستمرار زمنًا كافيًا يحقق للطفل أعلى درجات الحماية والتأهيل، وبهذا تتجلى الرضاعة كمنظومةٍ متكاملة تجمع بين الهداية التشريعية والمصلحة الصحية والبعد الإنساني، فتظهر ملامح الإعجاز العلمي لا بوصفه مجرد توافقٍ عارض، بل باعتباره سبقًا توجيهيًا محكمًا يراعي مقصد حفظ النفس وبناء الإنسان.

خامسا: دلائل الإعجاز العلمي في زيت الزيتون:

يحتلُّ زيتُ الزيتون منزلةً خاصة في الخطاب القرآني والنبوي؛ إذ اقترن ذكرُه ببركة الشجرة وطيب الثمر، مما يلفت النظر إلى بُعدٍ مقصديٍّ يتصل بحفظ النفس وصيانة الصحة. ومع تقدّم العلوم الغذائية والطبّ الوقائي، تبيّن أن زيت الزيتون منظومةٌ حيوية غنيّة بالمركّبات النافعة؛ في مقدّمتها الأحماض الدهنية الأحادية غير المشبعة (ولا سيما حمض الأوليك)

ومجموعة البوليفينولات ومضادات الأكسدة التي تسهم في دعم القلب والأوعية، وتقليل الالتهاب والإجهاد التأكسدي، وتعزيز توازن الاستقلاب (Serreli et al., 2024)، فالزيتون مما أقسم الله عز وجل به في القرآن الكريم، والله لا يقسم إلا بعظيم، قال تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين:1]، وقال تعالى: ﴿ يُنْبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:11]. وهي الشجرة التي ذكرها الله تعالى في قرآنه؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ

يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور:34-35].

وقد روى عمر بن الخطاب وأبو هريرة ومالك بن ربيعة وأبو أسيد الساعدي- رضي الله عنهم- أن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: "كُلوا الزيتَ وادَّهِنُوا بِه؛ فإنَّه من شجرةٍ مُباركةٍ" (الترمذي 1851، وصححه الألباني)، وعنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم -قال: "ائتَدِمُوا بالزيتِ وادَّهِنوا بهِ، فإنهُ مِنْ شجرةٍ مباركةٍ" (ابن ماجه، برقم: 3319). وتُظهر المراجعات التجميعية للأدلة أن استهلاك زيت الزيتون يرتبط بنتائج وقائية مهمّة على الصحة الاستقلابية والقلبية الوعائية؛ إذ خلصت مراجعةٌ شمولية (Umbrella review) إلى أن تناول زيت الزيتون ارتبط بانخفاض خطر السكري من النوع الثاني بنحو 22%، وانخفاض خطر أمراضِ القلب والأوعية بنحو 18%. كما أشارت النتائج إلى تحسُّن بعض مؤشرات ضبط السكر، مثل انخفاض سكر الصيام وHbA1c وبعض مؤشرات مقاومة الإنسولين، وإلى أن زيادة الاستهلاك ارتبطت بارتفاع طفيف في HDL وتحسّن في وظيفة البطانة الوعائية؛ غير أنَّ المراجعة نفسها نبهت إلى أن غالبية الأدلة المصنفة كانت منخفضة إلى متوسطة الجودة، بما يستدعي مزيدًا من الدراسات المعيارية لتحديد الجرعات المثلى وتفسير التباين بين النتائج. (Zou & Liu, 2025).

القيم لكل ملعقة كبيرة (14 غرام)

العنصر الغذائي	الكمية
السعرات الحرارية	119 سعرة حرارية
الدهون	14 غرام
الدهون المشبعة	1.9 غرام
الدهون الأحادية غير المشبعة	10.2 غرام
فيتامين هـ	13%
فيتامين ك	7%

فزيتُ الزيتون يوصف بأنه غذاء وظيفي غني بالدهون الأحادية غير المشبعة ومضادات الأكسدة، وهو ما يجعله محطَّ اهتمامٍ في الأدبيات التغذوية والوقائية. وتشير المعطيات المعروضة إلى ارتباط استهلاكه بتحسُّن مؤشرات صحة القلب والأوعية؛ عبر إمكان الإسهام في خفض الكوليسترول الضار ورفع الكوليسترول الجيد والمساعدة في ضبط ضغط الدم ودعم سلامة الأوعية وتقليل قابلية تشكّل الخثرات، مع الإقرار بأن قوة الدليل قد تختلف باختلاف التصميمات البحثية. كما يُطرح احتمال دورٍ وقائي عصبي؛ إذ قد يرتبط زيت الزيتون ضمن حمية البحر الأبيض المتوسط بتحسن الأداء الإدراكي وتقليل مخاطر الخرف، مع تفسيرٍ افتراضي يتعلق بتقليل تراكم بعض البروتينات المرتبطة بمرض الزهايمر، وعلى صعيد الوقاية من السرطان، يُذكر أن غناه بمضادات الأكسدة قد يحدُّ من الضرر التأكسدي للخلايا، غير أن هذا المجال ما يزال يحتاج إلى مزيدٍ من الدراسات الحاسمة. وفي جانب الوزن، تُفيد المعطيات أن

الأنماط الغذائية التي تركز على الدهون الأحادية غير المشبعة قد تساعد على تحسين ضبط الوزن، إلا أن كثافة السعرات الحرارية في زيت الزيتون تجعل الإفراط فيه عاملًا محتملًا لزيادة الوزن. كما تُشير الفقرة إلى فوائد محتملة للعظام مثل دعم كثافة العظم وتقليل خطر هشاشته. أما الاستعمالات الجلدية والتجميلية، فيُذكر أن زيت الزيتون البكر قد يدعم ترطيب البشرة (لاحتوائه على فيتامين ه) ويسهم في تقليل مؤشرات الشيخوخة الجلدية بفضل مضادات الأكسدة، وقد يساعد في التئام الجروح السطحية لخصائص مضادة للبكتيريا، إضافةً إلى استخدامه كمزيل مكياج وكمُرطب للشعر. ويُفرَّق بين الزيت البكر والعادي بأن البكر يتعرض لمعالجة أقل (عصر دون حرارة أو مواد كيميائية وغالبًا دون ترشيح)، ما يحافظ نسبيًا على محتواه من المركّبات الحيوية ويمنحه خصائص حسية أفضل (Zou & Liu, 2025). فمع تطوّر علوم التغذية والطب الوقائي تتجلى دلائل الإعجاز العلمي في زيت الزيتون بوصفها دلالةً غذائيةٍ مباركة.

سادسا: دلائل الإعجاز العلمي في التصبح بالتمر:

التصبُّح بالتمر من الهدي النبوي الذي يجمع بين بُعدٍ تعبُّديٍّ وبُعدٍ صحيٍّ وقائيٍّ؛ إذ إن التمر غذاءٌ طبيعيٌّ متكاملٌ يمتاز بسهولة الهضم ووفرة العناصر النافعة، ويُمدّ الجسم بطاقةٍ سريعة ومتوازنة مع احتوائه على الألياف والمعادن ومضادات الأكسدة. وقد كشفت دراساتٌ غذائيةٌ حديثة عن أدوارٍ مهمّةٍ لمكوّناته في دعم صحة القلب والأوعية، وتحسين وظائف الجهاز الهضمي، والمساهمة في تنظيم مستويات السكر وتقوية المناعة، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "مَن تَصَبَّحَ سَبْعَ تَمَراتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ ذلكَ اليومَ سُمٌّ ولا سِحْرٌ" (البخاري برقم: (5769). وفي رواية: "مَن

أَكَلَ سَبْعَ تَمَراتٍ ممَّا بيْنَ لابَتَيْها حِينَ يُصْبِحُ، لَمْ يَضُرَّهُ سُمٌّ حتَّى يُمْسِيَ" (صحيح مسلم الرقم: (2047). وفي حديث روته أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها وأرضاها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم -قال: " يا عائِشَةُ، بَيْتٌ لا تَمْرَ فيه جِياعٌ أهْلُهُ، يا عائِشَةُ، بَيْتٌ لا تَمْرَ فيه جِياعٌ أهْلُهُ -أوْ جاعَ أهْلُهُ-قالَها مَرَّتَيْنِ أوْ ثَلاثًا" (مسلم، برقم2046). وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة بتخصيصِ ذكر أطعمة كاللحوم والتمر والعسل واللبن لأهميتها وفائدتها الصحية والتغذوية كما قال تعالى: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 11]، وفي هذا الحديث نبه النبي- صلى عليه الله عليه وسلم- إلى أهمية التمر الغذائية. وبالرغم أن التمر خضع لعدة دراسات علمية متخصصة أكدت مدى أهميته إلا أن البعض لا يعرفون عنه إلا القليل. ويعتبر التمر من أغنى الأغذية بسكر الجلوكوز، وبالتالي فهو الغذاء المثالي للجسم؛ لأنه يحتوي على نسبة عالية من السكريات تتراوح ما بين (75-87%) يشكل الجلوكوز 55% منها، والفركتوز 45% علاوة على نسبة من البروتينيات، والدهون وبعض الفيتامينات، أهمها أ، ب2، ب12، وبعض المعادن الهامة، أهمها: الكالسيوم، والفوسفور، والبوتاسيوم، والكبريت، والصوديوم، والمغنيسيوم، الكوبالت، والزنك، والفلورين، والنحاس، والمنجنيز، ونسبة من السليولوز، ويتحول الفركتوز إلى جلوكوز بسرعة فائقة، ويمتص مباشرة من الجهاز الهضمي يدوي ظمأ الجسم من الطاقة خاصة بعض الأنسجة التي تعتمد عليه بصفة أساسية كخلايا المخ، والأعصاب، وخلايا الدم الحمراء وخلايا نقي العظام. وللفركتوز مع السليولوز تأثير منشطٌ للحركة الدودية للأمعاء، كما أن الفوسفورَ مهم في التغذية، مهم في تغذية حجرات الدماغ، ويدخلُ في تركيب المركبات الفوسفاتية والتي تنقل الطاقة وترشد استخدامها في جميع خلايا الجسم. كما أن جميعَ الفيتامينات التي يحتوي عليها التمر لها دور فعال في عمليات التمثيل الغذائي (أ، ب1، ب2) والبيوتين والريبوفلاتين وغيره، كما أن لها تأثيرًا مهدئ للأعصاب، كما أن للمعادن دورًا أساسيًّا في تكوينِ بعض الأنزيمات الهامة في عمليات الجسم الحيوية، كما أن لها دورًا هامًّا للغاية في انقباض وانبساط العضلات والتعادل الحمضي-القاعدي في الجسم فيزول بذلك أي توتر عضلي، أو عصبي ويعمُّ النشاط والهدوء سائرَ الجسم

كما أكدت الأبحاث أن المغنسيوم يقاوم الشيخوخة. وعلى العكس من ذلك لو بدأ الإنسان فطوره بتناول المواد البروتينية أو الدهنية فهي لا تمتص إلا بعد فترة طويلة من الهضم والتحلل، ولا تؤدي الغرض في كفاية الجسم لحاجته السريعة من الطاقة فضلاً عن أن ارتفاع الأحماض الأمينية في الجسم نتيجة للغذاء الخالي من السكريات يؤدي إلى هبوط السكر في الدم. وبالإضافة للفيتامينات والمعادن (إسلام أون لاين. التمر بين الدين والعلم. https://islamonline.net/archive/ 2) ، ونرى أن التمر يحتوي على الألياف، وهي تعتبر عاملاً هامًّا في تنشيط حركة الأمعاء ومرونتها أي أنها مليّن طبيعي، ويحمي من الإمساك وما يترتب عليه من عسر هضم واضطرابات مختلفة. ولكون الرطب تحتوي على سكريات سريعة الهضم يمكن أن تصل إلى الخلايا في دقائق معدودة، يمكن لنا أن ندرك الحكمة في فعل النبي- صلى الله عليه وسلم - بالإفطار على التمر، ففي الحديث الذي رواه أنس بن مالك: "كان رسولُ اللهِ يُفطِرُ قبلَ أن يُصلِّيَ على رُطَبَاتٍ، فإن لَم تكُن رُطَبَاتٌ فتمراتٌ، فإن لَم تكُن تمراتٌ حسا حسَواتٍ مِن ماءٍ" (سنن ابي داود، برقم: 2356). وإن الإنسان ليقف عاجزاً ومنبهراً أمام فهم النبي -صلى الله عليه وسلم - لقيمة التمر، فهذا إعجاز نبوي أثبتته الدراسات والأبحاث، فعندَ نِهَاية مرحلة ما بعد الامتصاص- في نهاية الصوم- يهبطُ مستوى تركيز الجلوكوز والأنسولين من دم الوريد البابي الكبدي؛ وهذا بدوره يقلل نفاد الجلوكوز، وأخذه بواسطة خلايا الكبد والأنسجة الطرفية (حسان شمسي باشا، ص 62) ، كخلايا العضلات، وخلايا الأعصاب، ويكون قد تحلل كل المخزون من الجيلكوجين الكبدي أو كاد، وتعتمد الأنسجة حينئذ في الحصول على الطاقة من أكسدة الأحماض الدهنية، وأكسدة الجلوكوز المُصنَّع في الكبد من الأحماض الأمينية والجليسرول؛ لذلك فإمدادُ الجسم السريع بالجلوكوز في هذا الوقت له فوائد جمَّة؛ إذ يرتفع تركيزه بسرعة في دم الوريد البابي الكبدي فور امتصاصه، ويدخل إلى خلايا الكبد أولاً ثم خلايا المخ، والدم، والجهاز العصبي والعضلي، وجميع الأنسجة الأخرى، والتي هيأها الله تعالى؛ لتكونَ السكريات غذاؤها الأمثل والأيْسَر للحصول منها على الطاقة، ويتوقف بذلك تأكسد الأحماض الدهنية، فيقطع الطريق على تكون الأجسام الكيتونية الضارة، وتزول أعراض الضعف العام

والاضطراب البسيط في الجهازِ العصبي، إن وجدت لتأكسدِ كميات كبيرة من الدهون، كما يُوقف تناول الجلوكوز عملية تصنيع الجلوكوز في الكبد، فيتوقفُ هدمُ الأحماض الأمينية وبالتالي حفظ بروتين الجسم (محمود إسماعيل شل، 2-85 https://islamonline.net/archive) ، وكانتِ المعالجةُ بالأغذية للأمراض من أهم أسس العلاج الطبي لكثير من الأمراض في المستشفيات في الحواضر الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي، وجاءَ تخصيص الأغذية في كتب الأطباء المسلمين، كالرازي (850-932)، وابن سينا (980-1037) وهو ما توصلَ إليه العلم الحديث في قاعدة علمية رصينة (الغذاء قبل الدواء) .وقال تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً، فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾ [مريم:23-26]. وقد أثبت العلم الحديث فائدة الرطب والألياف الموجودة فيها للشفاء، كما أثبتت الدراسات الحديثة أهميته في الوقاية من سم الأفاعي، كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -في الحديث الذي رواه سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه-: "مَن تَصَبَّحَ سَبْعَ تَمَراتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ ذلكَ اليومَ سُمٌّ ولا سِحْرٌ" (البخاري، برقم :5769).، فالتصبّح بالتمر يمثّل توجيهًا نبويًا له حكمةٌ صحيةٌ وقائيةٌ بالغة؛ فالتمر غذاءٌ فطريٌّ سريع الامتصاص يمدّ الجسم بطاقةٍ مبكرة ومتوازنة، ويعين على استقرار النشاط الحيوي، مع ما يحويه من أليافٍ ومعادنَ وعناصرَ نافعة تسند وظائف الهضم والدورة الدموية وتدعم مناعة البدن. كما تؤكد النصوص النبوية مكانة التمر في حفظ القوت ودفع الحاجة، ومع تزايد الدراسات الغذائية حول التمر تتجلى قيمة هذا الهدي في كونه يوافق سنن الصحة والوقاية، ويُرسّخ أن الهدي النبوي يوجه إلى ما يُصلح الإنسان في بدنه وصحته.

سابعا: دلائل الإعجاز العلمي في التداوي بالعجوة:

دلائلُ الإعجاز العلمي في التداوي بالعَجْوَة بوصفها غذاءً وظيفيًّا يجمعُ بينَ القيمة الغذائية والآثار الوقائية؛ فهي غنيّةٌ بالسكرياتِ الطبيعية السهلة الامتصاص، والألياف، ومعادن مهمّة كالبوتاسيوم والمغنيسيوم، فضلًا عن مركّباتٍ نباتيةٍ مضادّةٍ للأكسدة تسهم في دعم المناعة وتقليل الالتهاب وحماية الخلايا من الإجهاد التأكسدي. ومع تقدّم علوم التغذية، ازدادَ الاهتمام بالتمر عمومًا والعَجْوَة خُصُوْصًا من حيث أثرها في توازن الطاقة، ودعم صحة القلب والأوعية، وتعزيز سلامة الجهاز الهضمي، مما يفتح مجالًا لفهمٍ أعمق لكون التوجيه النبوي نحوها توجيهًا وقائيًّا يجمع بين الهدي الشرعي ومقاصد حفظ النفس، تحتوي نوى ثمار العجوة أيضًا على نسبة عالية من الألياف الغذائية والدهون والمعادن والبروتينات، ولا يقتصر استهلاك تمر العجوة على أغراض غذائية فحسب، بل يُستخدم أيضًا لفوائده الطبية في علاج العديد من الأمراض، فقد أظهرتِ الدراسات الكيميائية النباتية أنَّ لُبَّ ونوى تمر العجوة غنيان بمركبات فينولية وفلافونويدية معينة، والتي لها تأثيرات متعددة على صحة الإنسان بفضل خصائصها القوية المضادة للأكسدة. وكَشَفتِ الدراساتُ أن تمر العجوة يتمتعُ بخصائص قوية مضادة للأكسدة، ومضادة للالتهابات، ومضادة للطفرات، وواقية للكبد، وواقية للكلى، ومضادة للسرطان (Khalid, S., et al. 2017) ، عن سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تصبح كل يوم سبعة تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر" (البخاري، برقم: 5025)، وعنه- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "من أكل سبعة تمرات مما بين لابتيها حين يصبح، لم يضره سم حتى يمسي" (مسلم، برقم: 3813) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم -قَالَ: " الْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهِيَ شِفَاءٌ

مِنَ السُّمِّ، وَالْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ " (أحمد، برقم : 8668)، ففي الحديث النبوي إرشاد للمسلم أن يبدأ يومه بتناول سبعة تمرات من العجوة، وبين النبي -صلى الله عليه وسلم- أن في ذلك وقاية من السم والسحر. وفي الحديث: فَضْلُ تمر العجوة ومقاومته للسم والسحر. فقد أثبتت الدراسات العلمية أن أكل العجوة على الريق يخلِّص الجسمَ من الديدان، والجراثيم، والسموم. وأكل سبع تمرات لمدة شهر وبشكل يومي يعالج أمراض الكبد تُشير بعض الكتابات إلى منافع صحّية متعدّدة لتمر العَجْوَة عند تناوله، وخاصة على الريق، منها الإسهام في خفض العبء الميكروبي والسمّي داخل الجسم، ودعم وظائف الكبد عبر تقليل مؤشرات الإجهاد الكبدي المصاحبة للتعرّض للسموم. كما تُنسبُ إليها خصائص مضادّة للأكسدة والالتهاب، وقدرات مُسانِدة لصحة القلب والأوعية من خلال خفض الكوليسترول وتقليل مخاطر التصلّب الشرياني. وعلى المستوى الهضمي، تُعزى فوائدها إلى غِناهَا بالألياف القابلة للذوبان بما يدعم صحة القولون ويُحسِّن حركة الأمعاء، ويخفف بعض الاضطرابات الشائعة. وتُذكر كذلك فوائد مرتبطة بالمعادن والفيتامينات؛ كالحديد وفيتامينات مجموعة (ب) والفلور والكالسيوم والفسفور وفيتامين (أ) و(ج)، يُسهم في دعم تكوّن الدم، وصحة العظام والأسنان، ووظائف الجلد والبصر، إضافةً إلى الإشارة إلى أثرٍ مُعينٍ في تسهيل الولادة. (آلاء جابر، www.mawd003.com) ، وأوضحت دراسة تأثير تمر العجوة العلاجي على التسمم والتليف الرئوي الناتج من استنشاق أبخرة الجازولين (ليلى أحمد الحمدي، 1432هـ)، وقد أثبتَت الدراسات المختبرية الطبية أن لتمر العجوة تأثيرًا مضادًا للسموم، وهو ملِّين طبيعي ممتاز، يمنع الإمساكَ، ويقوِّي العضلات، ويعالج فقرَ الدم، ويقوي السمعَ والبصر، ويهدئ الأعصاب، ويحتوي كذلك على كمية عالية من الألياف الغذائية، والمعادن الضرورية لصحة الجسم؛ مثل: البوتاسيوم والمغنيسيوم وغيرها من الفوائد العلاجية العديدة (محمد عبد المنعم ، ص 78 ؛ معز الدين فارس، ص 82) ، فالتداوي بالعَجْوَة يقدّم نموذجًا بليغًا للبعد الصحي في الهدي النبوي؛ إذ تجتمعُ فيها قيمةٌ غذائيةٌ عالية مع خصائص وظيفية داعمة للصحة، لما تحتويه من

سكريات طبيعية سهلة الامتصاص، وألياف، ومعادن، ومركّباتٍ نباتية وهذا ترسيخ سلوكٍ غذائيٍّ رشيد.

ثامنا: دلائل الإعجاز العلمي في الحبة السوداء (حبة البركة):

الحبةُ السوداء (حبة البركة) مثالًا بارزًا في الوقاية الصحية؛ إذ بينت السنة إلى مكانتها ضمن أسباب التداوي، بما يرسّخ مبدأ التحصين قبل المرض ، ومع تطور البحث العلمي بدأتْ تتضحُ بعض آلياتها الحيوية، خُصوصًا ما يتعلق بمركباتها الفعّالة ذات الخصائص المضادّة للأكسدة والالتهاب، وما قد يترتب على ذلك من دعمٍ لوظائف الجهاز المناعي وتحسين الاستجابة الدفاعية للجسم، ومن هنا تبرز دلائل الإعجاز العلمي في كون هذا التوجيه النبوي يفتح بَابًا لفهمٍ وقائيٍّ متوازن يربط بين التداوي المشروع والسنن الكونية، ضمن ضوابط العلم والمنهج دون مبالغة أو تعميم، روى أبو هريرة- رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: "فِي الحَبَّةِ السَّوْداءِ شِفاءٌ مِن كُلِّ داءٍ، إلَّا السَّامَ" (البخاري، برقم : 5688). وفي رواية: "ما مِن داءٍ، إلَّا في الحَبَّةِ السَّوْداءِ منه شِفاءٌ، إلَّا السَّامَ" (مسلم، برقم (2215)، والسَّامُ: المَوْتُ، والْحَبَّةُ السَّوْداءُ: الشُّونِيزُ. وفي رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "عليكُم بهذه الحبَّةِ السَّوداءِ فإنَّ فيها شفاءً مِن كلِّ داءٍ إلَّا السَّامَ" (ابن ماجه، برقم: 2796). وجاء في رواية أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-س: "إنَّ هذه الحبَّةَ السَّوداءَ شفاءٌ من كلِّ داءٍ إلَّا أن يكونَ السَّامُ قلتُ وما السَّامُ قال الموتُ" (ابن ماجه، برقم: 2797)، فعن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أنها سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم -يقول:" إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام". قلت وما السام؟ قال: (الموت) (البخاري، برقم: 5255)، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم -قال: "في الحبةِ السوداءِ شفاء من كل داء إلا السام"

(البخاري، برقم: 5256)، وقد وردت كلمةُ (شفاء) في صيغ الأحاديث كلها في هذا الموضوع نكرة في سياق الإثبات، فهي لذلك لا تدل على الشفاء الكامل وإنما فيها قدر من الشفاء في كل داء، وهذا ما أثبته العلم الحديث من تأثير الحبة السوداء في رفع الجهاز المناعي؛ والذي يكافح جميع الأمراض. فالحبةُ السوداءُ (Nigella sativa) تنتمي إلى الفصيلة الحَوْذَانِيَّة أو الفَصِيلَةُ الشَّقِيقِيَّة (Ranunculaceae)، ومن الأسماء الأخرى لهذه النبتة: حبة البركة، شونيز، الكمون الأسود، الكراوية السوداء، الكالونجي، القزحة. واختلف العلماء في معنى لفظة (شفاء) في الحديث الشريف؛ فمن قائل بأنها شفاءٌ لعامة الأمراض، ورأى بعضُهم بأنَّ فيها شفاء لبعض الأمراض، وليس كلها، فهي من العام الذي يراد به الخصوص، قال الخطابي: هو من العموم الذي أريد به الخصوص، وليس يجتمع في شيءٍ من النبات جميع القوى التي تقابل الطباع كلها في نفاذ الأدوية، وإنما أراد شفاء كل داء يحدثُ من الرطوبة والبلغم، لا في حار يابس (التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، 27/ 361). قال فريق من العلماء: أن العموم غير مراد، وإنما يراد به الخصوص. وقال المناوي: فإن فيها شفاء من كل داء يحدث من الرطوبة، ولكن لا تستعمل في داء صرفاً، بل تارة تستعمل مفردة وتارة مركبة بحسب ما يقتضيه المرض. وقال الحافظ ابن حجر: "ويؤخذ من ذلك أنَّ معنى كون الحبة شفاء من كل داء، أنها لا تستعملُ في كل داء صرفاً، بل ربما استعملت مفردة، وربما استعملت مركبة، وربما استعملت مسحوقة وغير مسحوقة، وربما استعملت أكلاً وشرباً وسعوطاً وضماداً وغير ذلك. وقيل إن قوله " كل داء" تقديره يقبل العلاج بها فإنها تنفع من الأمراض الباردة، وأما الأمراضُ الحارة فلا" (فتح الباري، 10 / 144). ولقد جاء عن الحبة السوداء في كتب بعض الأطباء المسلمين وغيرهم أنهم استخدموها في علاج كثير من الأمراض ومنهم على سبيلِ المثال ابن البيطار، والملك المظفر يوسف بن عمر بن علي رسول الغساني التركماني "أعظم ملوك الدولة الرسولية التي حكمت اليمن من (626 هـ إلى 803 هـ)". وكذلك ابن جزله البغدادي، وداود الأنطاكي، وأحمد بن الجزار القيرواني، وابن قيم الجوزية. ولقد ظهرت في دول أمريكا وأروبا وروسيا مستشفيات لاقت رواجا وأثبتت نجاحها بسبب اعتمادها على العلاجِ بالأعشابِ، وكذلك ينتشر هذا العلاج في دول مثل رومانيا وأوروبا بشكل

واسع. والحبة السوداء (Nigella sativa): لها أسماء منها الكراوية السوداء، الكمون الأسود، الحبة السوداء، كاز، شونيز، كالاجاجى. وتمثل آسيا الصغرى الموطن الطبيعي لنباتات أنواع هذا الجنس لوجودها على مساحات واسعة في كل من سوريا والعراق وبعض المناطق الأخرى لحوض البحر المتوسط، ثم انتشرتْ زراعتها في المناطق المعتدلة لكل من أفريقيا وأمريكا، وأهم البلدان المنتجة هي الولايات المتحدة الأمريكية، الهند، باكستان، إيران، العراق، سوريا، مصر ، التركيب الكيميائي لبذور الحبة السوداء: لقد أظهرت دراسة التركيب الكيميائي للبذور السورية والمصرية ما يلي (هلال، رمضان مصري، https://www.alsubeel.org/index.php/news/93-nigella):

المحتوى من:	البذور المصرية	البذور السورية
الرطوبة	%6,98	%6,98
الرماد	%5,51	%4,2
الدهون	%34,05	%38,64
البروتين الخام	%19,66	%18,75
النتروجين غير البروتيني (الأزوتات العضوي)	%0,301	%0,299
الألياف الخام	%8,12	%8,28
الكربوهيدرات	%25,65	%23,54

فتُظهر مكوّناتها الحيوية طَيفًا واسعًا من التأثيرات الداعمة للصحة عبر آلياتٍ تتداخل فيها مضادات الأكسدة وتنظيم الاستجابة المناعية وخفض الالتهاب. وتبيِّن المراجعات الحديثة أنّ مستخلصات الحبّة السوداء والثيموكينون قادران على تعديل مسارات الالتهاب والتأثير في المناعة، مع إبراز دورهما في تعزيز بعض وظائف المناعة (Majdalawieh, A. F., & Fayyad, M. W. 2015) ، والإفادة من الحبّة السوداء في مشكلات الجهاز التنفسي ؛ كما تؤكد الدراسات أنّ الحبّة

السوداء تمتلك خصائص مضادّة للميكروبات والطفيليات المعوية، وذلك بفضلِ محتواها العالي من مجموعة واسعة من المركبات النشطة بيولوجيًا، بما في ذلك الثيموكينون، والنيجيليمين، والنيجيليدين، والكيرسيتين، والأوسيمين (Abbas, M., Gururani, M. A., Ali, A., Bajwa, S., Hassan, R., Batool, S. W., Imam, M., & Wei, D. 2024) ، والتي تحمي من انقباض الشعب الهوائية وتقي من حساسية الصدر " الربو الشعبي " والنوباتُ والزكام ونزلات البرد والعطس المتكرر " حساسية الأنف وعلاج ضيق التنفس، ولها تأثير قويٌ ضد البكتريا، وكذا بعض الكائنات الدقيقة، كما أن مركبات نشطة منها استخدمت بنجاح في معالجة التهاب الأذن وآلام الفك. ونشرت مجلة أثنو الدوائية (عدد سبتمبر ، Ethno pnormacol, 1991) بحثًا حول التأثير المضاد لبذور الحبة السوداء للميكروبات، وقَدْ أظهرتْ النتائجُ المتحصل عليها أن لمستخلص البذور تأثيرا مثبطًا لنمو الجراثيم الموجبة الجرام وكذلك الجراثيم السالبة الجرام، وتعالج **الكبد والمرارة، فقد** نشرت مجلة الأثنو الدوائية (عدد فبراير، Ethno pnormacol, 2000) بحثا حول زيت الحبة السوداء على تليف الكبد الذي يحدث نتيجة الإصابة بالبلهارسيا المعوية في الفئران، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن للزيت تأثيرًا إيجابيًا على خلايا الكبد، ويعزى ذلك إلى تأثير الزيت على أجهزة المناعة وإلى التأثير المضاد للأكسدة. وبينت التجارب أن زيتَ الحبة السوداء له تأثير على إفراز مادة الصفراء من الكبد ودفعها عبر القنوات المرارية، فقد وجد أن الزيت المتطاير من الحبة السوداء يقلل من انقباض أوعية القلب مما يقلل من التوتر (Tahir et al.1993)، وأن مسحوقَهَا يساهم في خفض السكر في الدم. وأشارت البحوث إلى أن الحبة السوداء تخفضُ نسبة الإصابة بسرطان الجلد بمقدار 33 % والأورام؛ لأنها تؤثر على مستوى الأحماض النووية. وأنها أفضل من العلاج الكيماوي الذي يسبب تثبيطا لنخاع العظام؛ وبالتالي ينخفض عدد كريات الدم الحمراء والهيموجلوبين في الدم، بل إنَّ الحبة السوداء تمنع التأثيرات الجانبية للعلاج الكيماوي (Salomi, M. J., Nair, S. C., & Panikkar, K. R. 1991)، وفي دراسات أخرى عن تأثير الحبة السوداء ومشتقاتها تلاحظ أنه تخفض من حمض البوليك الذي يسبب مرض النقرس، زد على ذلك زيتها يزيل التهابات المفاصل، وإذا استعمل كمرهم يدهن به، فإنه يزيل آلام المفاصل،

كما أنه يخفض ضغط الدم، وهو أيضا مضاد لتقلص العضلات الملساء اللاإرادية، ومسحوقُ الحبةِ السوداء يزيدُ من سيولة الدم لاحتوائه على مادتين من الكومارينات، وهو مجموعة دوائية من أصل نباتي تمنع فيتامين "ك" من تكوين عناصر التجلط في الكبد. فرط حمض اليوريك يفاقم تدهور وظائف الكلى، وأن الثيموكينون (مكوّن فعّال في حبة البركة) يملك أثرًا واقياً كلوياً وقد أدى العلاج بالثيموكينون (10 و20 ملغم/كغم) إلى خفض حمض اليوريك وضغط الدم، وتقليل الإجهاد التأكسدي الكلوي ومنع تراكم اليوريك داخل أنسجة الكلى، مع تحسين وظيفة الميتوكوندريا عبر زيادة محتوى ATP. كما قلّل من موتِ الخلايا المبرمج، وفعّل مسارات الحماية الخلوية (Akt و Nrf2/HO-1) (Dera, A. A., Rajagopalan, P., Alfhili, M. A., Ahmed, I., & Chandramoorthy, H. C. 2020) وتأثير الحبة السوداء على جهاز المناعة: تشير الدراسات والأبحاث العلمية أن للحبة السوداء أثرًا منشطًا على وظائف المناعة، وهذا الأثر المنشط ظهر في تحسين فاعلية الخلايا القاتلة الطبيعية، وهذه النتائج يمكن أن يكون لها أهمية علاجية كبيرة في الوقاية من الإصابة بالسرطان وفيروسات الكبد والحالات المرضية المرتبطة بقصور في جهاز المناعة، ونعرض هنا بشيء من الإيجاز فكرة مبسطة عن هذا الجهاز نظراً لأهميته بالنسبة للإنسان (Majdalawieh, A. F., & Fayyad, M. W. 2015) .

تأثيرها على الجهاز المناعي The Immune system:

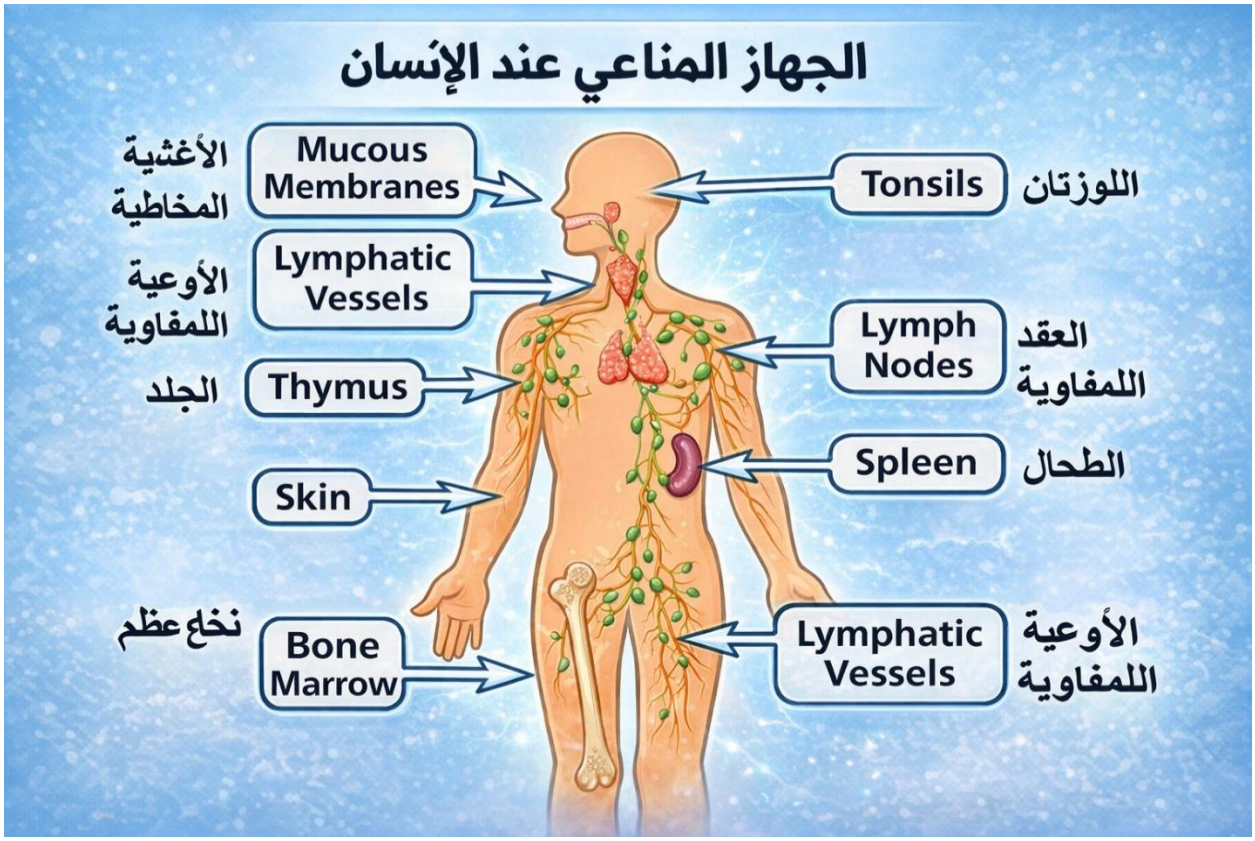

وظيفة الجهاز المناعي الرئيسية هي التعرف على ما هو غريب عن الجسم ويشن هجوما للقضاء عليها؛ حيث يتعرض الإنسان عن طريق الجلد أو مجاري التنفس أو عن طريق الجهاز البولي أو القناة الهضمية إلى أنواع عديدة من الميكروبات الضارة، مثل البكتريا والفطريات والفيروسات والطفيليات. وقد تبين أن من فوائد الحبة السوداء تأثيرها التصحيحي على خلايا T. Helper cells إلى خلايا T. cells وذلك في حالة المرضى الذين يعانون من نقص في المناعة؛ حيث تحسنت حالتهم. كما وجد أن ليس هناك تغير واضح في مستويات بروتين المناعة نوع (ج) Immunoglobulin G على عشرين مريض، ولكنه وجد أن هناك زيادة واضحة في نسبة الخلايا الليمفاوية القاتلة الطبيعية بالنسبة للعدد الكلي للخلايا الليمفاوية (سالم وآخرون، 1995)، والحبة السوداء تقوي جهاز المناعة في الجسم وتحسن وظائف هذا النظام، وذلكَ بما ثبت من تحسن نسبة المساعد إلى المعوق في خلايا ت (ت4: ت8)، وفي تحسن النشاط الوظيفي لخلايا القاتل الطبيعي. (أحمد

القاضي، أسامه قنديل، ط2، 1421) ، فقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم -أن في الحبة السوداء شفاء من كل داء، ووردت كلمة شفاء غير معرفة بالألف واللام، وبالتالي يمكن أن نقول أن في الحبة السوداء نسبة من الشفاء في كل داء، وحيث إن جهاز المناعة هو الجهاز الوحيد الذي يملك تقديم شفاء من كل داء – على وجه الحقيقة واليقين – بما يحويه من نظام المناعة النوعية أو المكتسبة التي تحميْ الجسم من الطفيليات والمسببات المرضية التي تهاجمه وتغزوه، فإن هذا دليل واضح على أن الحبة السوداء ترفع من كفاءة جهاز المناعة. وهو ما ثبت علميا في هذه التجارب أن الحبة السوداء تنشط المناعة النوعية أو المكتسبة؛ برفعها نسبة الخلايا المساعدة والخلايا الكابحة وخلايا القاتل الطبيعي – كلها خلايا ليمفاوية في غاية التخصص والدقة – لما يقرب من 75 % في بحث القاضي، وبما أكدته الأبحاث المنشورة في الدوريات العلمية لهذه الحقيقة؛ حيث تحسنت الخلايا الليمفاوية المساعدة وخلايا البلعمة، وازداد مركب الأنترفيرون، وتحسنت المناعة الخلوية، وانعكس ذلك التحسن في جهاز المناعة على التأثير المدمر لمستخلص الحبة السوداء على الخلايا السرطانية وبعض الفيروسات، وتحسن آثار الإصابة بديدان البلهارسيا ؛ لذلك فإن في الحبة السوداء شفاء من كل داء لإصلاحها وتقويتها جهاز المناعة وهو الجهاز الذي فيه شفاء من كل داء، ويتعامل مَعَ كل مسببات الأمراض، ويملك تقديم الشفاء الكامل أو بعضه لكل الأمراض وأثر الحبة السوداء على جهاز المناعة وقضائها على الميكروبات، والتي اتضح من خلالها دور الحبة السوداء في تقوية جهاز المناعة، ثم توالت بعد ذلك الأبحاث في شتى الأقطار وفي مجالات عديدة حول هذا النبات (أحمد القاضي، أسامه قنديل، ط2، 1421)

وجهاز المناعة: هو الجهاز المختصُّ بمكافحة الأمراض في الجسم، عن طريق تكوين أجسام مضادة مخصصة لكل كائن مسبب للمرض، وأكدت الأبحاث المنشورة بأن الحبة السوداء تحسن الخلايا اللمفاوية المساعدة وخلايا البلعمة، وازدياد مركب الإنترفيرون والإنتركولين (مجلة المناعة الدوائية في عدد سبتمبر 2000م)، وقد استعملت الحبة السوداء في كثير من دول المشرق علاجاً طبيعيا منذ أكثر من ألفي عام، دون أن يدركوا تأثيراتها على جهاز المناعة المكافح للأمراض. إلا أنه تم استخلاص مركب النيجيللون من زيت الحبة السوداء عام 1959م على يد الدخاخني وزملائه،

وتحتوي بذور الحبة السوداء على (40%) من وزنها زيتا ثابتا، و(14%) ذزيوتا طيارة، وتحتوي على خمسة عشر حمضا أمينيا، وبروتين وكالسيوم وحديد وصوديوم وبوتاسيوم، وأهم مركباتها الفعالة هي: الثيموكينون، والدايثيموكينون ، والثيموهيدروكينون، والثيمول (عبدالجواد الصاوي ، مجلة الإعجاز العلمي ، العدد 14) ، وهناك دراساتٌ أخرى أظهرت أن خلاصة الحبة السوداء استطاعت تثبيط نمو خلايا بعض أنواع السرطان، كسرطان الثدي، وسرطان البروستات، وفي الوقاية من سرطان الكبد وسرطان القولون، وفي الوقاية من الاعتلال الكلوي (شمسي باشا ، ص 123)، كما ثبت أن للحبة السوداء تأثيراً على مرض السكري من خلال خفض معدل سكر الدم، كما أن لها أثراً على الأمراض التحسسية، مثل: التهاب الأنف والربو القصبي والإكزيما. وثبت أن لها أثراً وقائياً على القلب والشرايين، ووجد في مركباتها مضادات للأكسدة، وقد أظهرت البحوث أن لزيت الحبة السوداء تأثيراً خافضاً للكوليسترول الضار، والدهون الثلاثية. وساعدت الحبة السوداء في علاج ارتفاع ضغط الدم، وبينت بعض الدراسات تأثير الحبة السوداء على بعض أنواع الجراثيم (حسان باشا، مجلة الإعجاز العلمي، العدد 19)، وتحمي الحبة السوداء أعضاء الجسم وخاصة الكبد من السموم القاتلة، كما وضحه الكبيسي والنعيمي في بحثهم المنشور في المجلة الأمريكية للصحة والغذاء (Al-Kubaisy & Al-Noaemi, 2007)، وقد نشرت عشرات الدراسات العلمية في المجلات العالمية. وتتجلى دلائل الإعجاز العلمي في هذه الأحاديث الشريفة بالسبق للعلوم الحديثة، والتي ما كان لأحد أن يدركها قبل اكتشافها في جسم الإنسان ووظيفته، وهذا لا يكون إلا من نبي مرسل من الله تعالى.

تاسعا: دلائل الإعجاز العلمي في السنا والسنوت:

الحديث النبوي عن السَّنا والسَّنُّوت من النصوص التي تلفت النظر إلى بُعدٍ علاجيٍّ ووقائيٍّ في الطب النبوي؛ إذ قدّم دلائل علمية في استعمال نباتاتٍ له أثر على الجهاز الهضمي، بما يفتح باب التأمل في دلائل الهدي النبوي مع ما تكشفه العلوم الحديثة عن خواص النباتات الدوائية ومكوّناتها الفعّالة، وهو نبات السنا (Cassia) نبات طبي يُستخدم كدواء

لعلاج العديد من الأمراض، تُعرف مستخلصاته بخصائصها المضادة للبكتيريا والفطريات والملاريا والالتهابات، فضلاً عن كونها مضادة للأكسدة، وواقية للكبد، وللمناعة (Vijayalakshmi et al., 2013) ، فعن أسماء بنت عميس- رضي الله عنها-: "أنَّ رسولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم -سألها: بم تَستَمْشينَ قالتْ بالشُّبرُمِ قال حارٌّ جارٌّ، قالتْ: ثم استَمْشَيتُ بالسَّنا فقال النبيُّ- صلَّى اللهُ عليه وسلَّم-: لو أن شيئًا كان فيه شفاءٌ من الموتِ لكان في السَّنا" (الترمذي، برقم (2081)، فقوله: بم تستمشين؟: أي بم تستطلقين؟ وبأي دواء تستهلين بطنك، فكنى عن ذلك بالمشي لأن الإنسانَ يحتاج إلى المشي إلى أن يتردد إلى الخلاء مع شرب الدواء. والشبرم: هو حب صغير شبيه بالحمض يتخذ في الأدوية، وقوله: "حار جار"، اتباع له كقوله حار يار، وحران يران، وهو الشديد الإسهال. وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها: "أنَّ رسولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم -دخَلَ عليها ذاتَ يومٍ وعندَهَا شُبْرُمٌ تَدقُّه، فقالَ: ما تَصنعينَ بهِ؟ فقالتْ: يَشرَبُه فلانٌ، فقالَ: إنَّهُ داءٌ. قال: ودخَلَ علَيْها وعندَها سَنَا، فقالَ: ما تَصنَعينَ بهذا؟ فقالتْ: يَشرَبُه فُلانٌ، فقال: لو أنَّ شيئًا يَدْفَعُ الموتَ، أو يَنْفَعُ مِن المَوْتِ؛ نفَعَ السَّنَا" (المستدرك على الصحيحين برقم: 7645). وعن عبد الله بن أم حرام الأنصاري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "عليكم بالسَّنَا والسَّنُّوتِ، فإنَّ فيهما شِفاءً من كلِّ داءٍ، إلَّا السَّامَ، وهُوَ الموتُ" (ابن ماجه، برقم: 3457)، وعنْ إبراهيمَ بنِ أبي عَبْلَةَ، قالَ: سَمِعْتُ أبا

أُبَيِّ ابنِ أمِّ حَرامٍ -وكانَ قدْ صلَّى معَ رسولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم -الصَّلاتَيْنِ-يقولُ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم -يقولُ: "عليكُم بالسَّنَا والسَّنُّوتِ؛ فإنَّ فيهما شِفاءً مِن كُلِّ داءٍ إلَّا السَّامَ. قيلَ: يا رسولَ اللهِ، وما السَّامُ؟ قالَ: الموْتُ" (المستدرك على الصحيحين، برقم (7647). وقد روى أنس- رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-قال: "ثلاثٌ فيهِنَّ شِفاءٌ من كلِّ داءٍ؛ إلَّا السَّامَ: السَّنا والسَّنوتُ" (النسائي في السنن الكبرى، برقم 7577، وصححه الألباني)، وفي رواية: "ثلاثٌ فيهنَّ شِفاءٌ مِن كُلِّ داءٍ إلَّا السَّامَ: السَّنَا والسَّنُوتُ، قالوا: هذا السَّنا قد عَرَفْناه، فما السَّنَوتُ؟ قال: لو شاء اللهُ لعَرَّفَكموه" (النسائي، برقم (2255). والسَّنا يُستعمل كمُسهِّل قوي لعلاج الإمساك؛ إذ ينشّط حركة الأمعاء عبر تحفيز العضلات الملساء في المعدة، ويستعمل بشكل للإمساك كما سبق ولتنظيف المعدة والأمعاء الدقيقة) (الدقر، 2013 ، https://draldaker.wordpress.com/2013/02/24/) وحديثاً فإنَّ العديد من معامل الأدوية الشهيرة في العالم تصنع من السنا أفضل أنواع العقاقير الملينة، وأن ألياف السنا الداخلة في تركيبه تؤدي إلى زيادة حجم الماء واحتباسه ضمن الكتلة البرازية، كما أنها لا تؤدي إلى أي تخريش في المعدة أو المعي، مما يمكن من استعماله الطويل. وفي دراسة قام بها باس (P.Bass) أكد التفوق النوعي للأجيولاكس (Agiolax) كعقار ملين مضاد للإمساك المزمن باحتوائه على السنا كمادة متميزة. وصفوة القول في الوقت الحاضر: أن نبتة السنا وخاصة من فصيلة (C.Siam) تحتوي على مادة قاتلة للفيروسات لها صفات بروتينية ((Marlett et al., 1987)، وقد تم استخدام مركبات السنا والسنوت في علاج الفيروسات في مستحضرٍ دوائي للمساعدة في علاج حالات التهاب الكبد الفيروسي بنوعيه (B) و(C)، كما يُقترحُ توظيفه كمضادٍّ فيروسي واسع الطيف، ولا سيّما في حالات الجديري المائي على هيئة دهانٍ موضعي خارجي، لكون بعض الفيروسات المعنية من فئة فيروسات (RNAال) كذلك يُشار إلى إمكان استعماله وقائيًا ضد الفيروسات التي تُصيب الحلق، والتي تُعالج في بعض الحالات على أنها إصابات ميكروبية (عبد الباسط محمد سيد، 2004)، فالأحاديث النبوية الواردة في السَّنا والسَّنُّوت تؤسّس لِبُعدٍ علاجيٍّ ووقائيٍّ واضح في الطب النبوي؛ إذ تُشير إلى نبتةٍ ذات أثرٍ محسوس على الجهاز الهضمي، وتلفت

إلى منهجٍ في الإفادة العلاجية ، ومع تقدّم البحث العلمي اتضح أن السَّنا (Cassia/Senna) ليس مجرد ملينٍ تقليدي، بل نباتٌ يحوي مركبات فعّالة تفسّر أثره في تنشيط حركة الأمعاء، كما اتجهت دراسات حديثة إلى إبراز إمكاناته الحيوية الأخرى كالنشاط المضاد للأكسدة والالتهاب ودعم المناعة، مع ورود أبحاث تطبيقاتٍ تبين تأثيره على الفيروسات، وبذلك يتبين أن التوجيه النبوي في هذا الباب يفتح آفاقًا لفهمٍ أعمق لمعاني دلائل الإعجاز العلمي في الهدي النبوي.

عاشرا: دلائل الإعجاز العلمي في الاستشفاء بالقسط الهندي:

القِسط الهندي من المواد العلاجية التي ورد ذكرها في السنة النبوية، وقد لفت اهتمام الباحثين المعاصرين لما يحتويه من مركّبات نباتية فعّالة ذات خصائص حيوية متعدّدة. ومع تطوّر البحث العلمي، برزت دراساتٌ تشير إلى خصائص القسط المضادّة للميكروبات والالتهابات والأكسدة، عن أم قيس بنت محصن- رضي الله عنها- أنها قالت: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم -يقول: " عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفيه: يستعط به من العُذْرة وَيُلَدُّ به من ذات الجنب" (البخاري، برقم: 5260)، فالقسط نوعان: هندي وهو أسود، وبحري وهو أبيض، والهندي أشدهما حرارة (ابن حجر، فتح الالباري،0/ 148). وقوله صلى الله عليه وسلم: "يستعط به": أي استعمل السعوط، وهو أن يستلقي على ظهره ويجعل بين كتفيه ما يرفعهما؛ لينحدر رأسه، ويقطر في أنفه ماء أو دهن فيه دواء مفرد أو مركب (ابن حجر، فتح الباري، 10/ 147). وقوله (من العُذْرة) -بضم العين -وجع في الحلق. وقوله "وَيُلَدُّ بِهِ" يداوى، واللدود ما كان من السقى في أحد شقي الفم (شرح صحيح البخاري. لابن بطال (9/ 399). وقوله "ذات الجنب" ورم يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع من سيء الأمراض وأخوفها (التنوير شرح الجامع

الصغير (7/ 324)، فعود القسط الهِنديّ أو عود القسط البَحريّ (Cheilocostus speciosus): هو نبات مَشهور تَعود أُصوله إلى أقاليم شرق آسيا والهند، من الفصيلة النباتيّة، وهو من نباتات فصيلة الزنجبيل الصّالحة للأكل (Pawar, 2014) ، ويُعد القسطُ من أهمّ النّباتات الطبيّة المُستَخدمة في الطبّ الهنديّ، ويتميّز بالعديد من القدرات العلاجية العالية لكثير من الأمراض، إذ حسّن مؤشرات وظائف الكبد (مثل AST وALT وALP والبيليروبين) ووازن بعض مؤشرات الدهون، ورفع نشاط إنزيمات مضادة للأكسدة مثل الكاتالاز، وأظهر الفحص النسيجي تحسنًا في سلامة الخلايا الكبدية وبنيتها (Safaet, 2025) استُخدم تقليديًا في علاج الحُمّى، ومشكلات الجلد والطفح، والربو والتهاب الشُّعب الهوائية، وكذلكَ في بعضِ حالات الديدان المعوية، ضمن استعمالاتٍ شعبيةٍ واسعة للنبات، يُستخدم في الطب التقليدي لعلاج الالتهابات، والروماتيزم، والتهاب الشعب الهوائية، والحمى، والصداع، والربو، وانتفاخ البطن، والإمساك، والديدان المعوية، والجذام، والأمراض الجلدية، والفواق، وفقر الدم، بالإضافة إلى حرقة التبول (Al-Attas et al., 2015). وأثبتت الدراسات العلمية فعاليته في علاج ومكافحة مسببات العديد من الأمراض، من ذلك مكافحة بعض أنواع الفطريات، والخميرة المسببة لأمراض الجهاز التنفسي في الإنسان؛ حيث إن القسط يساعد على علاج التهابات اللوزتين بشكل فعال؛ لاحتوائه على مادة الهلينين وحمض البنزات، وهي مادة مطهرة ومضادة للجراثيم. كما يفيد استنشاق القسط عن طريق الأنف، في علاج أمراض الجهاز التنفسي عامة، كالربو، ونزلات البرد، والتهاب اللوزتين، والحلق والبلعوم، والسعال، والحمى، والسل، وينفع الاستعاط به في حل البلغم المتجمد في القصبة الهوائية، ويساعد في إخراج القشع (معجم مقاييس اللغة لابن فارس، 88/5)، ويفيد في معالجة الالتهابات الشعبية والرئوية بجميع أنواعها بما في ذلك السل الرئوي، خصوصاً وأنه يعتبر مادة مطهرة تخفف من عسر التنفس، وتحد من نوبات السعال الديكي (منال القطان ، المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي ، تركيا 1432هـ)، وقد ثبت أن مستخلص جذور نبات القسط آمن وفعّال في تحسين التغيرات في مؤشرات الدم في الحالة الحامضية القاعدية، والتي ترتبط مع إصابات الرئة، وربما تكون ذات فائدة علاجية محتملة (وهيب الحربي وآخرون ، من أبحاث

المؤتمر العالمي الحادي عشر ، 1436هـ)، ومن الفوائد الصحيَّة للقسط الهنديّ ما يَلي: مضاد للالتهابات ومضاد للتأكسد؛ حيث إنه يقلل المواد المسببة للالتهابات مثل: الانترليوكين (IL-1 and IL-6) والبروستاغلندينات (Prostaglandins) وأنزيمات كوكس(COX enzymes) ، كما أوضحته دراسة علمية حديثة في السعودية، ومضاد للسرطان؛ حيثُ يثبط تكاثر الخلايا السرطانية، يعمل على تخفيضِ نسبة السكر بالدم (أي يفيد المرضى المصابين بداء السكري)، وكذلك يخفض الدهون بالدم؛ لذا يقلل الإصابة من تصلبِ الشرايين وأمراض القلب، ويعالج الأمراض الجلدية كحساسية (طفح) الجلد، وكذلك التهاب الفطريات بأنواعها، ويحمي الكبد من السموم، وكذلك يعمل كمضاد لسرطان الكبد، ويساعد على الهضم ويقلل من الانتفاخات (الغازات)، ويعالج التهابات الأمعاء الجرثومية، ويقلل- أيضا- الديدان المعوية، وكذلك يعمل مُلَيّن للبطن، ويعتبر مقويًا للجسم بصورة عامة، وللدم بصورة خاصة (Al-Attas et al., 2015; Al-Hasan & Fitzgerald, 2004; Al-Kattan & Khayyat, 2017; Duraipandiyan et al., 2012; El-Far & Abou-Ghanema, 2013; El-Far et al., 2016; Medagama & Bandara, 2014; Nair et al., 2014; Pawer & Pawer, 2014; Perera et al., 2016; Saraf, 2010; Selim & Al Jaouni, 2016; Srivastava et al., 2011) ، فالقِسط الهندي ورد في السنّة النبوية بوصفه دواءً ذا منافع متعدّدة، فجاء التوجيه النبوي إليه ضمن إطارٍ علاجيٍّ ووقائيٍّ واضح، مع بيان طرائق استعماله في أمراضٍ تتصلُ بالحلق والصدر ونحوها. ومع تقدّم البحث الدوائي الحديث تزايد اهتمام الباحثين بمكوّناته النباتية الفعَّالة، وظهرت دراسات تُشير إلى امتلاكه خصائصَ حيوية، مثل مضادّات الميكروبات والالتهابات والأكسدة، مع إمكاناتٍ بحثيةٍ أخرى، تتصل بدعم بعض الوظائف الحيوية كالهضم والكبد، وبذلك يتجلى وجهٌ من الإعجاز بين ما تكشفه الدراسات المعاصرة من آفاقٍ علاجية للنباتات الطبية بالمنهج العلمي المنضبط.

الحادي عشرة: دلائل الإعجاز العلمي في اليقطين دواء السقيم:

يُعدّ اليقطين من النباتات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في سياقٍ علاجيٍّ لافتٍ؛ إذ جعل الله تعالى إنباته لنبيّه يونس- عليه السلام- وهو سقيم؛ إشارةً إلى حكمةٍ ربانية في اختيار نباتٍ يجمع بين التظليل والغذاء والعناية بالجلد في مرحلة نقاهة شديدة الحساسية، كما أكَّدت السنّةُ النبويةُ مكانته الغذائية، وظهر ذلك في حب النبي -صلى الله عليه وسلم - للدُّباء، مما

يفتح باب التأمل في دلالة النصّ الشرعي حين يلتقي مع معطيات التغذية والطب الوقائي، قال تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات :145-146]، وثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: "إن خياطًا دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم -لطعام صنعه قال أنس بن مالك فذهبت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم -إلى ذلكَ الطعام فقرب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم -خبزا من شعير ومرقا فيه دباء وقديد، قال أنس فرأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم -يتتبع الدباء من حوالي الصحفة. قال فلم أزل أحب الدباء منذ ذلك اليوم" (البخاري، برقم: 1950) فَنَبَذْنَاهُ "أي: ألقيناه، " بِالْعَرَاءِ ": قال ابن عباس- رضي الله عنهما- وغيره: وهي الأرض التي ليس بها نبت ولا بناء. " وَهُوَ سَقِيمٌ " أيْ: ضعيف البدن. قال ابن مسعود- رضي الله عنه-: كهيئة الفرخ ليس عليه ريش. وقال السدي: كهيئة الصبي: حين يولد، وهو المنفوس. قال ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ووهب بن منبه، وهلال بن يساف وعبد الله بن طاوس، والسدي، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني وغير واحد قالوا كلهم: اليقطين وهو القرع. وذكر بعضهم للقرع فوائد، منها: سرعة نباته، وتظليل ورقه لكبره، ونعومته، وأنه لا يقربها الذباب، وجودة أغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئا ومطبوخا بلبه وقشره أيضا. وقد ثبت أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم -

كان يحب الدباء، ويتتبعه (ابن كثير، 7/ 40)، فيحتوي القرع الوعائي على كل المقومات الغذائية الأساسية المطلوبة لغذاء وصحة الإنسان (Habib-ur-Rahaman 2003)، ويتميز اليقطين بأنه من أسهل الخضروات هضماً وأكثرها فائدة، مع غناهُ بالعديد من العناصر المفيدة للجسم، لذلك يعتبر غذاء جيدا كاملا وكافيا. فهو غني بالعناصر الغذائية الأساسية كالسكرياتِ والبروتيناتِ والأحماض الدهنية غير المشبعة (المفيدة للجسم) مثل أوميقا-3، إضافة إلى حمض النخيل والكتان والزيت والدهن (Palmic، Linoleic، Oleic and Stearic acid). فالفيتامينات (معظمها إن لم يكن جميعها) مثل فيتامين (A، B، C، D، E، K)، العناصر الطبيعية، مثل البوتاسيوم، والكالسيوم، والفوسفات، والنياسين، والزنك، والحديد، والنحاس، والمغنيسيوم والمنغنيز (Michael N ,1990) ، ويتميز نبات اليقطين بكبر مساحة أوراقه الناعمة الملمس؛ حيث تعمل كضمادات تغطي الجلد المتأذي لحمايته من أشعة الشمس ومن الظروف البيئية. ويحتوي اليقطين على إنزيمات عديدة، منها: ما ينشط الطبقة الأساسية للجلد للانقسام والتكاثر، ومنها: ما يعمل على إزالة الخلايا الميتة من سطح الجلد. وإن وجود عنصر الزنك إضافة إلى بعض المواد العضوية، كالزيوتِ في القرع يساعد على التئام الجروح والحروق من خلال تحفيز تكوين أوعية دموية جديدة، وزيادة تكوين المادة الكولاجينية، وتحفيز الطبقة الأساسية للجلد؛ لتكوين خلايا جديدة بدل الخلايا التالفة (Periyanayagam et al., 2014)، وتعمل الأحماض الدهنية غير المشبعة مثل أوميقا-3 على تحفيز تكون الشعر، وكذلك تحافظ على نظارة الجلد. ويحتوي اليقطين على مواد كيميائية مضادة للأكسدة والالتهابات، مثل القلويات والفلافنويدات (flavonoids)، والأحماض الدهنية غير المشبعة، والتي تقتل الجراثيم الممرضة كالبكتيريا والفطريات التي تصيب الجلد المتأذي من جراء العصارات الهضمية عندما كانَ داخلَ بطن الحوت (Cheong et al., 1997)، إضافة للفائدةِ الرئيسة لليقطين لإدامة صحة الجلد، فإن هناك فوائدُ طبية أخرى، ومنها أنه يعملُ كخافض للحرارة ومخفف للآلام بصفة عامة، وآلام المفاصل والصداع بصورة خاصة، ويفيد في علاج أمراض الجهاز التنفسي وبالذات حساسية الأنف والربو القصبي . وله أفعال عامة عديدة لصحة الإنسان، ومنها: فعله ضد السرطان بصفة

عامة، وسرطان الجلد بصورة خاصة، وضد مرض السكري، ويخفض الدهون في الدم وخاصة الضارة، وخافض للضغط، ويقتل الطفيليات والديدان المعوية، ويعالج تضخم البروستات، وينشط المناعة (Wang, 1999; Jaber, 2002; Xia et al., 2003; Díaz-Obregón et al., 2004; Caili et al., 2006; Gossell-Williams et al., 2008; Adams et al., 2014; Shaban & Sahu, 2017) وأثبتت الدراسات العلمية، تُبيِّن المراجعات الحديثة أنَّ نباتات اليقطين من جنس (Cucurbita) تمتلك طيفًا واسعًا من الأنشطة الحيوية المرتبطة بمكوّناتها النباتية الفعَّالة؛ إذ أظهرت مستخلصات أجزاء مختلفة من النبات (الثمار، الأوراق، القشور، البذور، والزيت) فعاليةً مثبِّطةً لنموِّ عددٍ من الجراثيم الموجبة والسالبة لصبغة غرام، ومن أمثلتها: (Staphylococcus aureus وBacillus subtilis وEscherichia coli وPseudomonas aeruginosa)، مع ملاحظة اختلافُ قوةِ التأثيرِ باختلافِ الجزء النباتي ونوعِ المذيب،مثل(الماء، الميثانول، الإيثانول، وأسيتون وغيرها). كما سُجِّلت نتائج واعدة لبعض المستخلصات ضد بعض الطفيليات المعوية، مثل (Giardia lamblia)، فضلًا عن نشاطٍ مضادٍّ لبعض الفطريات والخمائر. وتُعزى هذه الآثار وفقًا للمراجعة إلى غنى اليقطين بمركباتٍ نباتية (خصوصًا الفينولات والفلافونويدات وغيرها) وبروتيناتٍ نباتية ذات خصائص دفاعية، وهو ما يفسّر حضوره في التطبيقات الغذائية والدوائية والوقائية. (Salehi, B., et al. 2019)، وقد أظهرت بعض الدراسات بعد تحضير مستخلصات من أجزاءِ نباتِ اليقطين (الأوراق والسيقان والجذور) بمواد مختلفة أن لهذه المستخلصات قدرةً على إبطاء نموّ بعض الجراثيم الشائعة، مثل: المكورات العنقودية، والعصوية الرقيقة، والإشريكية القولونية، والزائفة الزنجارية. فبدت أوراق القرع العسلي من أكثر الأجزاء فاعلية في مقاومة الجراثيم، كما أظهر التحليل أنّ اليقطين يحتوي على مجموعة كبيرة من المواد الطبيعية النافعة التي تختلف نسبها من جزءٍ لآخر ومن نوعٍ لآخر؛ فهناكَ مواد تكثر في الأوراق، وأخرى تبرز في القشور أو البذور، ومنها مواد معروفة بدورها في الحماية من الأكسدة ودعم سلامة الأنسجة، وظهر كذلك احتواؤه الأحماض الأمينية المرتبطة بمساعدة الجسم على التئام الجروح وتجدد الأنسجة، إضافة إلى ارتفاع بعض المعادن المهمة، مثل الفوسفور والبوتاسيوم والزنك والنحاس،

وهي عناصر ترتبطُ بدعم بناء الأنسجة وتقويتها ، كما أن القرعَ الوعائي يتفرد بالخارطة التحليلية للأحماض الدهنية، فقد أظهرت نتائج تحليل الأحماض الدهنية للأنواع الأخرى، مما يجعله مؤهلا؛ ليكون مضادًا للكولسترول وشحوم الدم، ومضادًا للأكسدة وفعالا في حماية الكبد من السموم. وتأتي الحماية من الشمس وعوامل المناخ الأخرى في المرتبة الأولى من حيث تدرج العلاج، وقد أجريت تجارب علمية أظهرت أثر أوراق القرع الوعائي في اندمال الجروح، والتي عن طريقها يمكن معرفة أثره في ترميم خلايا الجلد، كما أمكن معرفة أثر مستخلص الأوراق في زيادة سمك الطبقة الخارجية للجلد؛ أي زيادة صلابتها، كما أظهرت التجارب ازديادًا ملحوظا في زيادة سمك طبقة الجلد المعامل بمرهم مستخلص الأوراق المائي مما يبرهن أن القرع الوعائي مؤهل لتقوية الأنسجة الضامة (الأمين، إحسان محمد الهادي، 1999). فوجه الإعجاز العلمي في قصة يونس عليه السلام من خلال دقة اختيار اليقطين ليكونَ عونًا في مرحلة السقم الشديد بعد أن نبذه الحوت إلى العراء؛ بعد تعرّض جسده لضعفٍ، فجاءت نبتة اليقطين بما تمتاز به من خصائص نافعة تجعلها مناسبةً لحالة المريض، فاليقطين نبات سريع النمو، وأوراقه كبيرة ناعمة تُشبه الغطاء الطبيعي الذي يظلّل الجسد ويخفف أثر حرارة الشمس والعوامل البيئية، كما أن وجوده قريبًا من المريض يوفّر حمايةً عملية ، فاليقطين ليس مجرد غطاءٍ وسترٍ، بل هو أيضًا غذاءٌ لطيف، سهلُ الهضم يمكنُ الانتفاعُ به سريعًا، فيمدُّ البدنَ بعناصر تساعد على استعادة القوة وبناء الأنسجة، وهذا ينسجم مع مقصد حفظ النفس ومع سنن التداوي بالغذاء. وهذا المعنى تؤكده دلالة السنّة في محبة النبي- صلى الله عليه وسلم- للدباء، مما يشير إلى قيمتها الغذائية وملاءمتها للصحة في توافقٍ بديع بين الهدي الإلهي ومقتضيات الوقاية والعلاج. فيتبيّن- من خلال الخطاب القرآني والنبوي في الأغذية النافعة- التأسيسُ لمنظومةٍ متكاملة تُحسن بناء الإنسان صحيًّا عبر غذاءٍ فطريٍّ يجمع بين القيمة الغذائية والوظيفة الوقائية والأثر العلاجي؛ من العسل بما فيه من خصائص مضادّة للميكروبات ودعم الالتئام، وماء زمزم بتميزه في الخصائص والتركيب، واللبن بوصفه غذاءً متكاملاً سهل الهضم عالي القيمة، والرضاعة الطبيعية حولين كاملين بما تؤسسه من بناءٍ مناعيٍّ ونمائيٍّ للطفل، وزيت الزيتون بما يحمله من مركبات داعمة

للاستقلاب وصحة القلب، والتمر والتصبح به بما يمدّ من طاقةٍ ومعادن ومركبات نافعة، والعجوة والحبة السوداء والسنا والسنوت والقسط الهندي واليقطين بوصفها أغذيةً نباتية ذات خصائص وقائية عالية، يجعل فيه الغذاء جزءًا من حفظ النفس والوقاية وترشيد نمط الحياة، فالأغذية التي وردت ذكرها في القرآن والسنة تمثل نموذجًا غذائيًا علاجيًا متوانا، وأن كثيرًا منها يجمع بين عناصر غذائية عالية الكثافة ومركبات حيوية ذات آثار وظيفية داعمة للمناعة ومقاومة الالتهاب والإجهاد وتحسين الهضم والتمثيل الغذائي المتكامل؛ فالعسل وزيت الزيتون والتمر واللبن تُظهر قيمة الغذاء الوقائي اليومي، بينمَا العجوة والحبة السوداء والسنا والسنوت والقسط الهندي واليقطين تُبرز جانبَ التداوي بالغذاء والنبات ضمن ضوابط الشرع والعلم، وأكدت النتائج أن الرضاعةَ الطبيعية حولينِ كاملينِ تمثلُ توجيهًا علميا صحيًا ذا أثر ممتد في بناء المناعة والتغذية والنمو، وأن إدراج ماء زمزم ضمن الأغذية النافعة يبرز اجتماع شرف العبادة مع ملامح التميزٍ في الخصائص.

المبحث الثاني

دلائل الإعجاز العلمي الصحية في السلوك الغذائي

لم يترك الإسلام جانباً من جوانب حياة الإنسان إلا ووضع له نظاماً يكفلُ سلامته، وتتجلى عظمة التشريع الإسلامي في شموله لأدق تفاصيل الحياة اليومية، ومنها العادات الفطرية كالأكل والشرب، فلا يقتصر الإرشاد الصحي في الإسلام على نوع الغذاء النافع فحسب، بل يمتدُّ إلى آداب السلوك الغذائي التي تُنظِّم كيفيةَ الأكل والشرب ووقتهما ومقدارهما. وقد جاءت السنة النبوية بجملةٍ من الدلائلِ الدقيقةِ التي تحققُ مقاصدَ الوقاية وحفظ البدن، مثل النهي عن الإسراف، وضبط هيئة الشرب، ومراعاة النظافة والسلامة في تناولِ الطعام. ويهدفُ هذا المبحث إلى إبراز الدلائل الصحية والوقائية لهذه الآداب، وبيانَ ما فيها من حكمة ظاهرة تتأكد مع ما تكشفه الدراسات الطبية الحديثة من آثار السلوك الغذائي على صحة الإنسان، لا يقتصر التوجيه الصحي في الإسلام على بيانِ ما يؤكلُ من طيّباتٍ نافعةٍ فحسبُ، بل يتجاوزُ ذلكَ إلى بناء منظومة سلوكية تضبط كيف يؤكل ويُشربُ، ومتى، وبأي قدرٍ، بما يحققُ مقاصدَ الوقاية وحفظ البدن واستدامة العافية. وقد جاءت السنة النبوية بمجموعة من التوجيهات الدقيقة التي تُسهم في ترشيد السلوك الغذائي، حتَّى أنها تناولت الطعام المشتهى والاجتماع عليه، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: "ما عَابَ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم - طَعَامًا قَطُّ؛ إنِ اشْتَهَاهُ أكَلَهُ، وإلَّا تَرَكَهُ" (البخاري برقم: (3563)، ومن السنةِ الاجتماعُ للطعام فعَنْ أنسِ بن مالك- رضي الله عنه-: "أنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم - لم يجتمِعْ عندَه غداءٌ ولا عشاءٌ من خبزٍ ولحمٍ إلا علَى ضَفَفٍ" (الصحيح المسند، برقم: (87)، والحكمة من الاجتماع على الطعام حصول البركة، فعن وحشي بن حرب بن وحشي عن أبيه عن جده- رضي الله عنه- قال:"أنَّ أصحابَ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّا نأكلُ ولا نَشبعُ، قالَ: فلعلَّكُم تأكُلونَ متفرِّقينَ؟ قالوا: نعَم، قالَ: فاجتَمعوا على طعامِكُم، واذكُروا اسمَ اللَّهِ علَيهِ، يبارَكْ لَكُم فيهِ" (ابن ماجه ، برقم: 3286) ، في

الحديث إشارة إلى أن الاجتماعَ على الطعام وذكر اسم الله عليه فيه بركة تعم الحاضرين، وهذا علاج نبوي كريم عندما شكى إليه الصحابة الكرام، وأما ما وضعه النبي -صلى الله عليه وسلم- من قاعدة في تناول الطعام ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مَا عَابَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ» (البخاري، برقم: 5409)، فالحقيقةُ الطبيةُ تكمن في أن هذا هو التصرف الصحي السليم، كما ثبتَ علميا أن تناولَ الطعام المشتهى يساعد على هضمه واستقلابه والاستفادة منه بالشكل الأمثل .(Teff, K. L., & Engelman, K. 1996) .

يتبين من مجموع هذه التوجيهات أن السنّة النبوية تُقيم سلوكًا حضاريًا يجمع بين شكر النعمة وصونها وسلامة البدن.

أولا: دلائل الإعجاز العلمي بتغطية الإناء و إيكاء السقاء:

الهدي النبوي في تغطية أواني الطعام والشراب وإيكاء الأسقية نموذجًا بارزًا لالتقاء التوجيه الشرعي بمقاصد الطب الوقائي؛ إذ يرسّخ مبدأ الاحتراز قبل وقوع الضرر، فقد جاءت الأحاديث الصحيحة آمرةً بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، بما يفيدُ أن الوقايةَ لا تقوم على التقدير العفوي، بل على وعيٍ بمخاطر التلوث وانتقال العدوى. وفي ضوءِ المفهومِ العلمي الحديث للتلوثِ الجرثومي والبيئي، فإنَّ تغطية الإناءِ تُعدُّ وسيلةً عمليةً لتقليل تعرض الطعام والشراب للغبار والهواء الملوث والحشرات والقوارض وما تحمله من عوامل ممرِضة، عن جابر- رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: "غَطُّوا الإناءَ، وأَوْكُوا السِّقاءَ؛ فإنَّ في السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فيها وَباءٌ، لا يَمُرُّ بإناءٍ ليسَ عليه غِطاءٌ، أوْ سِقاءٍ ليسَ عليه وِكاءٌ؛ إلَّا نَزَلَ فيه مِن ذلكَ الوَباءِ. وفي رِوايةٍ: فإنَّ في السَّنَةِ يَوْمًا يَنْزِلُ

فيه وَباءٌ" (مسلم، برقم: 2014). وعن جابر- رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: (غطُّوا الإناءَ، وأَوكوا السِّقاءَ، وأطفِئوا السِّراجَ، وأغلِقوا البابَ، فإنَّ الشَّيطانَ لا يَحلُّ سقاءً، ولا يفتَحُ بابًا، ولا يَكْشفُ إناءً، فإن لم يجِدْ أحدُكُم، إلَّا أن يَعرِضَ على إنائِهِ عودًا، ويذكرَ اسمَ اللَّهِ، فليفعَلْ، فإنَّ الفوَيْسقةَ تُضرمُ، على أَهْلِ البيتِ بيتَهُم) (ابن ماجه برقم: 3410) ، وعن أبي حميد الساعدي- رضي الله عنه- قال: "أَتَيْتُ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم - بقَدَحِ لَبَنٍ مِنَ النَّقِيعِ ليسَ مُخَمَّرًا، فَقالَ: أَلَّا خَمَّرْتَهُ ولو تَعْرُضُ عليه عُودًا قالَ أَبُو حُمَيْدٍ: إنَّما أُمِرَ بالأَسْقِيَةِ أَنْ تُوكَأَ لَيْلًا، وَبِالأَبْوَابِ أَنْ تُغْلَقَ لَيْلًا " (مسلم، برقم: 2010)، ويسنُّ إذا جَنَّ الليلُ تغطيةُ الإناء ولو بعرضِ عودٍ، وإيكاء السقاء (مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج 1/ 139)؛ لأن تغطيةَ الآنية تكسرُ تيارَ الهواءِ المباشر وتحمِي الطعام من الغبار و تمنع التلوث الجرثومي، وانتشار الأمراض ، والاحتراز من عدوى الأوبئة والأمراض المعدية، وتقللُ من استقرارِ الغبار الملوث داخلَ الإناء، والتسمم الغذائي والحفظ من الحشرات ونقل المكروبات وقد أثبتت الدراسات أن الميكروبات لها دوراتُ حياة مرتبطة بالظروف الجوية؛ كالفيروسات المعوية والكوليرا والملاريا (Fukuda, A., Usui, M., Masui, C., & Tamura, Y. 2019)، وتؤكد منظمة الصحة العالمية أهمية تغطية أوعية ماء الشرب ضمن تدابير السلامة والوقاية؛ التي تمنعُ سقوطَ القوارض التي قد لا تكتفي بالأكل من الإناء، بل قد تفرز فيه سموماً أو فضلات تؤذي الإنسان(Mosquito Shield. 2023)، فالقاعدة الوقائية الجامعة مفادها أن سلامة الغذاء والماء تبدأ من حفظهما، وأن منع التلوث أسبق وأيسر من معالجة آثاره لأن كثيرًا من الأمراض المعدية يتسم بالموسمي أو يتأثر بعوامل زمانية وبيئية كالحرارةِ والرطوبةِ وكثافةِ الحشراتِ وأنماطِ التخزين، مِمَّا يجعلُ الاحتياطَ في حفظِ الأطعمةِ والمشروبات ضرورةً مستمرة؛ ومن هنا يتجلى وجه الإعجاز في أن السنة النبوية قررت منهجًا عمليًا للسلامة الصحية قبل اكتشاف الجراثيم وعلوم التعقيم بمئات السنين، وربطت بين السلوك اليومي وبين تقليل أسباب العدوى، وهو ما يضع هذا التوجيه في صميم مقاصد الشريعة وحفظ النفس ودرء الضرر وتحقيق المصلحة العامة.

ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن الإسراف في الطعام والشراب:

يأتي النهيُ عن الإسرافِ في الطعام والشراب في الإسلام بوصفه توجيهًا ربانيًا يجمع بين تهذيب السلوك وحفظ الصحة، فتتجلّى فيه دلائلُ الإعجاز مِنْ حيثُ سبقُهُ إلى ترسيخ مبدأ الاعتدالِ كقاعدةٍ وقائيةٍ شاملة، فالإفراطُ في الأكل والشرب لا يقتصر أثرُه على زيادة الوزن فحسب، بل يفتح بابًا واسعًا لاختلالاتٍ مترابطة؛ كاضطرابِ سكر الدم، وارتفاع ضغطه،

وتراكم الدهون الضارة، وإجهاد القلب والكبد، وخلل الهرمونات، وضعف كفاءة الجهاز الهضمي، فضلًا عن تأثيره في صفاء الذهن والنشاط اليومي. ومع تقدّم العلوم الطبية اتضح أن ضبط الكمية وجودة الغذاء وتوقيت تناوله من أهم مفاتيح الوقاية من الأمراض المزمنة، وأن الحدّ الكافي أنفع للجسم من الزيادة المُتعبة، ومن هنا يظهر الإعجاز في النهي؛ إذ يوجّه الإنسان إلى نمطٍ غذائي متوازن يحفظ النفس ويقوّي العافية ويمنع تراكم الضرر قبل تحوّله إلى مرضٍ مستقر، فيتحقق مقصدُ الشريعةِ في صيانةِ البدن وترشيد النعمة وشكرها دون إفراطٍ يفسدها. قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف -الآية 31). وعن المقدامِ بن معدي كرب- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم -يقول: "ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنٍ، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صُلبه، فإن كان لا مَحالة، فثُلُث لطعامه، وثُلُث لشرابه، وثُلُث لنَفَسَه" (الترمذي، برقم 2302) ، وقد أشار النبي -صلى الله عليه وسلم -في هذا الحديث إلى عِدة حقائق، فقد شبَّه النبي- صلى الله عليه وسلم -المعدة -المشار إليها في الحديث بالبطن -بالوعاء، وأرشد إلى عدم ملء المعدة بالطعام، بل يجعل ثلثها لطعامه، وثلثها لشرابه، وثلثها لنَفَسه، وإنما كانَ ملءَ البطن شراً؛ لما فيه من المفاسد الظاهرة، دينية ودنيوية. فقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الأمر فيهما للإباحة؛ لأن بعض

العرب كانوا يحرمون أشياء من المآكل، ﴿وَلَا تُسْرِفُوا ﴾أي: لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة، والإسراف: هو تجاوز الحد المتعارف في الشيء، أي: ولا تسرفوا في الأكل بكثرة أكل اللحوم والدسم؛ لأن ذلك يعود بأضرار على البدن، وتنشأ منه أمراض معضلة (التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، 95/8) ، ولقد وردت في السنة النبوية الأدلة الموجهة إلى النهي عن الإكثار والإفراط في تناول الطعام والشراب، وقد حثت آيات القرآن الكريم على عدم التبذير والإسراف في تناول الطعام، وعلى سلوك منهج التوسط والاعتدال في كل شؤون الحياة، فقال- جل وعلا-: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:9]، فلقد كان للإسلام الأثر البارز في بيان المفاهيم الغذائية والصحية وتكوين السلوك التغذوي السليم وإبراز الغذاء كعامل مهم في صحة الإنسان، وقد دلت دراسات العلم الحديث على أن السمنة الناجمة عن الإفراط في تناول الطعام تعد من أخطر أمراض العصر، إذ ينشأ عنها العديد من الأمراض التي تهدد حياة الإنسان وتعرضه للهلاك، مثل أمراض السكري وارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين والنقرس، ويرتكز الطب الوقائي اليوم على قاعدة كبيرة، هي الاعتدالُ في الطعام والشراب، الذي يؤدي حتماً لاجتثاث غالبية أمراض البشرية والتي أسبابها إما نقص التغذية في جزء من العالم أو الإسراف في الطعام والشراب في بقية العالم الغني، والقرآنُ في جزءٍ من آيةٍ يعالج هذه المشكلة باعتبارها سيلة ضرورية لابد منها لحياة الإنسان بالاعتدال في أي أمر في أمر الطعام والشرب ولقد كان الاعتدال واقعاً في حياة الرسول- صلى عليه وسلم- وحياة صحابته، فلم تقتصر توجيهاته على عدم الإفراط في الطعام، بل حذر أيضاً من التقتير فيه، ومنع أقواماً عن الصوم أياماً متتاليات دون إفطار، فالدقة في الاعتدال في الطعام والشراب تظهر جلية في قوله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) سورة [الأعراف: 31]، فلا تسرفوا في أكل ما زاد على الشبع فإنه مضر (النكت والعيون (2/ 218)، وقد جاء في الحديث عنه -صلى الله عليه وسلم -: "أَصْلُ كلِّ دَاءٍ البَرَدَةُ" (أبو نعيم برقم ، 130)، فالبردةُ هي التخمة، وثقل الطعام على المعدة وسميت بردة لأنها تبرد المعدة فلا يستمرئ الطعام (شرح الشفا (1/ 724) ، قال رسول- صلى الله عليه وسلم- حيث يقول: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ الْآدَمِيِّ،

لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتِ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ» (ابن ماجة، برقم: 3349)، فاحتياجاتُ الإنسانِ الفطرية من العناصر الغذائية الأساسية (السكاكر، والدسم، والبروتينات) ومن الفيتامينات والعناصر المعدنية تختلف حسب سنه وجنسه وعمله وحالته الغريزية، فالرجلُ الكهل مثلاً يحتاج ل(20 . 26) غ من البروتينات ، 100 غ من السكر كحد أدنى ولكمية من الدسم بحيث تؤمن 20% من طاقته اليومية، ولكميات محدودة من الفيتامينات والمعادن، لا مجال لذكرها هنا، ومن الإسراف التهام كمية كبيرة من الطعام فوق حاجة الإنسان، ومن مضاره على جهاز الهضم: التخمة، وعسر الهضم، وتوسع المعدة، وهي حالات تسبب للشخص شعوراً مزعجاً في (الشرسوف) إثر كل وجبة طعام، وقد تؤدي الوجبة الكبيرة من الطعام إلى الإصابة بالأدواء ومنها: تناول كميات كبيرة من البروتين كاللحوم والمأكولات البحرية وغيرها، من عوامل خطر الإصابة بالنقرس (Choi, H. K., Atkinson, K., Karlson, E. W., Willett, W., & Curhan, G. 2004).)، ويسبب هجمة خناق صدر (Angina Pectoris) ولا سيما إذا كانت الوجبة دسمة؛ وهي حالة من الألم الشديد والحارق خلف القص يمتد إلى الكتف والذراع الأيسر والفك السفلي بسبب نقص التروية القلبية. وتظهر هذه الحالة عادةً عند المصابين بأمراضِ الأوعية القلبية إثر الجهد، إذ إن الوجبةَ الغذائية الكبيرة تشكّل على القلب عِبئًا يماثلُ العبء الناتج عن الجهد العنيف، وازدراد كمية كبيرة من الطعام قد يعرّض الإنسان للإصابةِ ببعض الجراثيم، كضمّات الكوليرا، وعصيات الحمى التيفية، والأطوار الاغتذائية للأميبا؛ وذلك لعدم تعرّض كامل الطعام لحموضة المعدة وللهضم المبدئي في المعدة، حيث إن حموضة المعدة هي المسؤولة عادةً عن القضاء على مثل هذه الجراثيم، وتوسّع المعدة الحاد، وهي حالة خطيرة قد تؤدي للوفاة إذا لم تُعالج. وانفتال المعدة، وهي إصابة خطيرة ونادرة تحدث بسبب حركة حويّة معاكسة للأمعاء بعد امتلاء المعدة الزائد بالطعام، والمعدة الممتلئة بالطعام أكثر عرضةً للتمزّق إذا تعرّضت لرضٍّ خارجي مقارنةً بالمعدة الفارغة، وقد يتعرّض المرء للموت بالنهي القلبي إذا تعرّض لضربة على الشرسوف (فوق المعدة). فكثرة الأكل تؤدي إلى همود في النفس، وبلادة في التفكير، وميلٍ إلى النوم. (دياب، عبد الحميد، وقرقوز، أحمد. 1982،

ص130)، فالوجبة الغذائية الكبيرة تشكل على القلب عبئا يماثل العبء الناتج عن الجهد العنيف. وازدراد كمية كبيرة من الطعام تعرض الإنسان للإصابة ببعض الجراثيم، كضمات الكوليرا وعصيات الحمى التيفية، والأطوار الإغتذائية للأميبا وذلك لعدم تعرض كامل الطعام لحموضة المعدة وللهضم المبدئي في المعدة حيث أن حموضة المعدة هي المسؤولة عادة عن القضاء على مثل هذه الجراثيم، توسع المعدة الحاد. والمعدة الممتلئة بالطعام أكثر عرضةً للتمزق إذا تعرضت لرض خارجي من المعدة الفارغة، وتؤدي السُمنة خناق الصدر، والداء السكري، وفرط توتر الدم وتصلب الشرايين، وهي من الناحية الصحية تعتبر خللا في التمثيل الغذائي وذلك يرجع إلى تراكم الشحوم أو اضطراب الغدد الصماء، والوراثة ليس لها دور كبير في السمنة كما يعتقد البعض وقد أكدت البحوث العلمية أن للبدانة عواقب وخيمة على جسم الإنسان وقد أصدرت إحدى شركات التأمين الأمريكية إحصائية تقرر أنه كلما طالت خطوط حزام البطن قصرت خطوط العمر فالرجالُ الذين يزيد محيط بطونهم أكثر من محيط صدورهم يموتون بنسبة أكبر كما أثبتتْ البحوث أيضا أن مرض البول السكرى يصيب الشخص البدين غالبا أكثر من العادي، كما أن البدانة تؤثر في أجهزةِ الجسم وبالذاتِ القلب حيثُ تحل الدهون محل بعض خلايا عضلة القلب مما يؤثر بصورة مباشرة على وظيفته فالمعدة بيت الداء ، فعند تناول الغذاء يحدث عسر هضم وتخمرات، وبالتالي التهابات معدية حادة تصير مزمنة من جراء توطن الجراثيم المرضية في الأمعاء التي ترسل سمومها إلى الدورة الدموية، فتؤثر على الجهازِ العصبيْ والجهاز التنفسي، وعلى الجهازِ البولي الكلوي وغير ذلك من أجهزة حيوية في الجسم، الأمر الذي يسبب اختلال وظائفها (محمد كامل عبد الصمد ، 1997)، ومن هنا كانَ الإسرافُ في تناول الطعام له أضرار عديدة، فهو يسببُ تخمةً تؤدي إلى أمراضٍ عديدةٍ كما كشفتها البحوث الطبية الحديثة، والسِّمنة في الواقع مرضٌ يحدُّ من إمكاناتِ الفرد ونشاطاته بشكلٍ كبير، كما يُؤهِّبُ أو يُسهمُ في بعض الأمراض الخطيرة، كاحتشاءِ العضلة القلبية، وخناق الصدر، والداء السكري، وفرط توتّر الدم (Hypertension)، وتصلُّب الشرايين؛ وكلُّ هذه الأمراض، هي اليوم شديدةُ الشيوع في المجتمعات التي مالت إلى رفاهية الطعام والشراب. ونخرُ الأسنان هو أيضًا من الأمراض الشائعة

بسبب الإكثار من تناول السكاكر الاصطناعية، ولا سيمَا ما يتيحُ تخمّرها ونموّ العصيات اللبنية في جوف الفم، وتُعدّ الحصياتُ الكلوية أكثر حدوثًا عند الذين يعتمدون بشكلٍ رئيسي على تناول اللحوم والحليب والجبن، وتصلّبُ الشرايين (Athero sclerosis)، فهو داءٌ خطير يُشاهد بشكلٍ ملحوظ عند الذين يتناولون كمياتٍ كبيرة من الدسم، حيث يُصابون بفرط تدسّم الدم (Hyperlipideamia)، ووالنقرس (داء الملوك) (Gout) ألمٌ مفصلي يأتي على هيئة هجماتٍ عنيفة، وخاصةً فِيْ مَفَاصِلِ القدم والإبهام، ويُشَاهدُ أكثر عندَ الذين يتناولونَ كمياتٍ كبيرة من اللحوم، (دياب، عبد الحميد، وقرقوز، أحمد. 1982، ص131)، فدلالةُ الإعجاز في النهي عن الإسراف في الطعام والشراب في كونه منظومة وقائية متكاملة، تُعيد ضبط العلاقة بين الإنسان والغذاء على أساس القدر الكافي، وهو ما ينسجمُ معَ المفهومِ الحديث للصحة بوصفها نِتَاجًا لتوازنٍ دقيقٍ بين المدخول والطاقة والوظائف الحيوية. فالإسرافُ لا يَظهر أثره في زيادة الوزن فحسب، بل يحرّك سلسلة من الاضطرابات تبدأ من اختلالِ الشبع وتنتهي إلى خللٍ بما يستنزف قدرات الفرد الجسدية والذهنية معًا، ومن زاويةٍ علميةٍ أعمقَ، يرسِّخُ هذا النهي مفهوم الطب الوقائي السلوكي: أي أن الوقاية لا تُختزل في علاجٍ بعدَ وقوع المرض، بل تُبنَى عبر تهذيب العادات اليومية، كمَا يُؤَسسُ لمبدأ السعةَ الوظيفية داخلَ الجسم؛ فَتَرْكُ مَجَالٍ للتَّنَفُسِ والحركة الهضمية والاتزان العصبي يحدُّ من الضغوط الفسيولوجية التي تنتج عن الامتلاء المفرط، ويُحسِّنُ كفاءةَ الأداء الحيوي، باستراتيجيةٍ صحية تَحْمي القلبَ والأوعية وتضبط الشهية، وتدعم صفاء الذهن؛ بما يجعلُ النهي عن الإسراف قاعدة جامعة تربط بين مقاصد الشريعة ومفاهيم الصحة العامة الحديثة.

ثالثا: دلائلُ الإعجاز العلمي في النهي عن أكل الطعام الحار:

تندرج آداب الطعام في السنّة النبوية ضمن مقصدٍ كليٍّ عظيم هو حفظ النفس والوقاية من أسباب الأذى والمرض، ومن ذلك التوجيه إلى إبراد الطعام وترك تناوله وهو في شدةِ الحرارة. وقد وردت في هذا المعنى رواياتٌ متعددة بألفاظ متقاربة، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه-: "أبردوا الطعامَ فإنَّ الطعامَ الحارَّ غيرُ ذي بركةٍ" (الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: 6209)، وعن جابر- رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: " أَبرِدوا الطعامَ الحارَّ فإنَّ الطعامَ الحارَّ غيرُ ذي بركةٍ" (الحاكم ، برقم : 7125، وصححه الألباني) ، وعن صهيب بن سنان الرومي- رضي الله عنه-: أن النبي -صلى الله عليه وسلم -نهَى عن أكلِ الطَّعامِ الحارِ حتَّى يُمكِنَ" (البيهقي في شعب الإيمان، برقم: 5516 ، وضعفه الألباني) ، وعن خولةَ بنتِ قيسٍ- رضيَ اللهُ عنها-: "أنها جعلت للنبيِّ -صلى الله عليه وسلم -خزيرة وقدمتْها إليه فوضع يدَه فأحرقت أصابعَه، فقال: حَسَّ فوجد حرَّها فقبضها، وقال: يا خولةُ لا نصبرُ على حرٍّ ولا بردٍ" (أحمد ، برقم: 27316)، فإن المعنى الوقائي الذي تدل عليه هذه التوجيهات تؤيده المعارف الطبية؛ إذ إن تناول الطعام أو الشراب شديد الحرارة قد يُحدث حروقًا وإصاباتٍ حرارية في أنسجة الفم والشفاه وقبة الحنك، وقد تتكرر الإصابة عند الاعتياد، فتُضعف سلامة الغشاء المخاطي وتزيد قابلية التهيّج والالتهاب (Kafas, P., & Stavrianos, C. 2008) ، كما أن الأدلة الوبائية الحديثة تشير إلى أن شرب المشروبات شديدة السخونة (وخاصة فوق 65°م تقريبًا) يرتبط بزيادة خطر سرطان المريء، وقد صنَّفت الوكالة الدولية لأبحاث السرطان (IARC) شرب "المشروبات شديدة السخونة" ضمن المواد المحتمل تسببها بالسرطان (Group 2A)، مع ترجيح أن العامل هو الحرارة نفسها وما تُحدثه من أذى حراري متكرر (بيان منظمة الصحة العالمية،

2016) ، فمن الناحية الطبية فإن الأطعمة والأشربة الحارة جداً، يمكن أن تؤدي كثيراً إلى حروق تبدو غالباً، في قبة الحنك أو المنطقة الشفوية وتؤدي غالبا إلى حدوث السرطانات في القسم العلوي من جهاز الهضم وخاصة سرطان المريء إلى الاعتياد على شرب المشروبات شديدة الحرارة ولا سيما الشَّاي (International Agency for Research on Cancer. 2016, June 15) ، وعليه فإبراد الطعام يلتقي مع قاعدةٍ صحيةٍ واضحة تجنب الأذى الحراري المباشر الذي قد يسبب حروقًا فمويةً مؤلمة ومضاعفاتٍ موضعية، ومع تجنب أثرٍ أشدّ على المدى البعيد يتمثل في زيادة خطر أذيات المريء عند الاعتياد على شرب السوائل شديدة السخونة، ومن ثمّ يظهر وجهٌ من دلائل الإعجاز الصحي في هذا التوجيه النبوي، وتؤكد أن الهدي النبوي يبني السلوك الغذائي على الرفق بالبدن ومراعاة سنن الوقاية قبل العلاج.

رابعا: دلائل الإعجاز العلمي في الشرب مصًّا والتنفس خارج الإناء ثلاثًا:

جاء الهدي النبوي الشريف بتوجيهات محددة في كيفية شرب الماء، مخالفاً بذلك العادات الضارة التي قد يمارسها الإنسان بدافع العطش الشديد والاستعجال، يسبق الطب الحديث في وقاية الجسم، حيث يضمن التنفس خارج الإناء سلامة الرئتين من الضغط، ويساعد الشرب على دفعات (ثلاثًا) تهيئة الجهاز الهضمي لاستقبال السوائل، ويقلل من توتر الجسم العضلي والعصبي، عن أنسِ بن مالك، أن النبي -صلى الله عليه وسلم -كان إِذَا شَرِبَ تَنَفَّسَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: "هُوَ أَهْنَأُ، وَأَمْرَأُ، وَأَبْرَأُ " (أبو داود ، برقم: 3727، وصححه الألباني) ، يتنفس في الشراب ثلاثاً أثناء شربه (شرح النووي على مسلم، 13/ 199)، وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- «أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- كان : يَشْرَبُ فِي ثَلَاثَةِ أَنْفَاسٍ، إِذَا أَدْنَى الْإِنَاءَ إِلَى فِيهِ سَمَّى اللَّهَ،

فَإِذَا أَخَّرَهُ حَمِدَ اللَّهَ، يَفْعَلُ بِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» (الطبراني ، المعجم الوسيط ، برقم: برقم: 840 ، وصححه الألباني) ، وقال -صلى الله عليه وسلم -«إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ» (البخاري ، برقم: 5630)، وعن أنس بن مالك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: " مُصُّوا الماءَ مصًّا، ولا تَعُبُّوهُ عَبًّا" (البيهقي برقم: 323، وضعفه الألباني) ، وعن عطاء بن أبي رباح مرسلاً: "إذا شربْتُمْ فاشربوا مَصًّا " (الذهبي، ميزان الاعتدال، 534/3) ، فالهديَ النبويَّ في شرب الماء يقدم نموذجًا وقائيًّا راشدًا يضبطُ سلوك الإنسان عندَ العطش، ويمنعُ العاداتِ التي يَقعُ فيها الاستعجالُ والاندفاعُ إلى الشرب دفعةً واحدة. فقد أرشدت السنّة إلى الشرب على دفعاتٍ مع التنفّس خارج الإناء، وبيَّنت أن ذلك «أهنأ وأمرأ وأبرأ»، مع النهي الصريح عن التنفّس في الإناء، وهو ما يجمع بين كمال الأدب وتمام السلامة. وتظهر دلالة الإعجاز العلمي أنه يُسهم الشرب المتدرّج في تهيئة الجهاز الهضمي لاستقبال السوائل، ويُساعدُ على انتظام عملية البلع والتنفس، ويخفف من التوتر العضلي والعصبي المصاحب للعطشِ الشديدِ، فضلًا عن تقليلِ احتمال تلوّث الشراب بالمخالطة المباشرة للنَّفَس. وبذلكَ يتأكد أن السنّةَ النبويةَ لم تقفْ عندَ بيان الأحكام والآداب فحسب، بل أرستْ قواعدَ سلوكيةً تجمعُ بين العبادة والصحة، وتؤكد سبق الهدي النبوي إلى الوقاية وترشيد العادات اليومية بأبلغ بيان.

خامِسًا: دلائلُ الإعجاز العلمي في النهي عن الشرب والأكل و اقفا:

النهيُ عن الشرب والأكل قائمًا من التوجيهات النبوية التي تتجاوز حدودَ الأدبِ إلى بناءِ سلوكٍ صحيٍّ وقائيٍّ في حفظِ النفس، وقدْ جَاءَتْ نصوصُ السُّنَّةِ بالنهي عن الشرب قائمًا؛ بما يدلُّ على أن الأصل الأكمل هو الجلوس لما فيه من السكينة وحسن الهيئة، ولما يترتب عليه من آثارٍ نافعة على البدن

ووظائفه، الشرب يحقق مقصود المحافظة على النفس، ويؤسس لثقافة التؤدة والاعتدال، فعن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري- رضي الله عنهما-: "أَنَّ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم -زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا" (مسلم ، برقم: 2025)، وعن أنس بن مالك، وقتادة- رضي الله عنهما- عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- أَنَّهُ" نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا. قالَ قَتَادَةُ: فَقُلْنَا: فَالأَكْلُ، فَقالَ: "ذَاكَ أَشَرُّ، أَوْ أَخْبَثُ " (مسلم برقم: 2024)، ولكن هل النهي يتعارض مع الحديث الذي روته لبابة بنت الحارث أم الفضل: "أَنَّهَا أَرْسَلَتْ إلى النبيِّ -صلى الله عليه وسلم -بقَدَحِ لَبَنٍ، وهو واقِفٌ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، فأخَذَ بيَدِهِ فَشَرِبَهُ، زَادَ مَالِكٌ، عن أبِي النَّضْرِ: علَى بَعِيرِهِ" (البخاري برقم: (5618) ، "وللشرب قائما آفاتٌ عديدةٌ، منها: أنه لا يحصل به الري التام، ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء وينزل بسرعة وَحِدَّةٍ إلى المعدة فيخشى منه أن يبرد حرارتها، ويشوشها، ويسرع النفوذ إلى أسفل البدن بغير تدريج، وكل هذا يضر بالشارب" (زاد المعاد في هدي خير العباد 4/ 210)، أما من الناحية الصحية؛ فإن الجلوس عند الشرب وتناول الطعام أهدأ للجسم وأكمل في تحقّق مقصود "الأهنأ والأمرأ"، إذ ينتقل ما يتناوله الإنسان إلى المعدةِ بتؤدةٍ وانتظامٍ، بما ينسجمُ مع السكينة المطلوبة في أثناء الأكل والشرب. وفي المقابلِ قد يصاحِبُ الشرب في حال الوقوف سرعةُ اندفاع السائل إلى قعر المعدة بصورة أشدّ، ومع تكرار ذلك قد ينعكس سلبًا على راحة المعدة ووظيفتها، بما يفضي إلى الشعور بالثِّقل أو عسر الهضم عند بعض الأشخاص، ثم الوقوف يستدعي جهداً عصبياً عضلياً مستمراً للمحافظة على الاتزان؛ إذ تنشط مراكز التوازن وتعمل المنظومة العصبية والعضلية معًا لضبط وضعية الجسم، وهو ما يقلّل من حالة الطمأنينة العضوية المرجوّة عندَ الطعام والشراب. أمَّا الجلوسُ فيوفِّر قدراً أكبر من السكينة والاسترخاء، فتكونُ الجملة العصبية والعضلية أهدأ، وتزداد قابلية الجهاز الهضمي لتلقي الطعام والشراب وتمثّله بصورة أنسب. (الكيلاني، الحقائق الطبية في الإسلام، 1996)، فتناول الطعام والشراب في حال الوقوف قد يُحدِث في بعض الأحيان استجاباتٍ انعكاسية عبر العصب المبهم المنتشر في جدار المعدة، فإذا كانت هذه الاستجابة شديدةً ومفاجئة فقد تُسهم في اضطرابٍ وظيفيٍّ حادٍّ يُشبه ما يُسمّى بـ التثبيط المبهمي (vagal inhibition)، ولا سيما عند من

لديهم قابليةٌ عصبية أو ظروفٌ مُهيِّئة. كما يُنبّه إلى أن الاستمرار على عادة الأكل والشرب واقفًا قد يعرّض جدار المعدة لصدماتٍ متكرّرة ناتجة عن اندفاع اللقم وجرعات الشراب، وهو ما قد يرتبط—بحسب ما يورده—بزيادة احتمال تهيّج بطانة المعدة وحدوث تقرحاتٍ في مواضع معيّنة، ويذكر في هذا السياق ملاحظةً منسوبةً لبعض أطباء الأشعة بشأن كثرة القُرَح في المناطق الأكثر تعرّضًا لهذه الصدمات. ويضيف أن عملية الاتزان أثناء الوقوف قد يصحبُها توترٌ عضليٌّ قد ينعكس على حركةِ المريء وسلاسة مرور الطعام، مما قد يسببُ ألمًا أو انزعاجًا ويؤثر في راحة الهضم، ويُفقد المتناول طمأنينته المطلوبة عند الطعام والشراب. (الراوي، حضارة الإسلام، العدد 2، 1966)، فالإشارات الطبية التي أوردها أهل العلم في بيان أن الجلوس أوفق بالطمأنينة العضوية، وأقرب لانتظام التناول وتقبّل الجهاز الهضمي للسوائل والأطعمة، وأقلّ اقترانًا باندفاعٍ مفاجئ أو توترٍ عصبيٍّ عضليٍّ قد ينعكس على راحة الهضم، وبذلك يظهر أن الهدي النبوي في هذه المسألة يجمع بين حسن الأدب وتمام الوقاية، ويؤكد سبق الشريعة إلى ترشيد العادات اليومية بما يحقّق سلامة الإنسان ويصون كرامته واعتداله.

سادسا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن النفخ في الشراب أو التنفس فيه:

النهي النبوي عن النفخ في الشراب أو التنفّس فيه يُربّي المسلم على مراعاة الطهارة والنظافة وهذا كله يؤكد أن الهدي النبوي لا يقتصر على بيان الأدب، بل يرسم سلوكًا وقائيًا يقلّل أسباب التلوث وانتقال الأذى، ويُرسّخ مقصود حفظ النفس فعن أبي قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم -قال: "إذا شَرِبَ أحَدُكُمْ فلا يَتَنَفَّسْ في الإناءِ، وإذا بالَ أحَدُكُمْ فلا يَمْسَحْ ذَكَرَهُ بيَمِينِهِ، وإذا تَمَسَّحَ أحَدُكُمْ فلا يَتَمَسَّحْ بيَمِينِهِ"

(البخاري، برقم: 5630)، وعن عبد الله عباس- رضي الله عنهما- قال: " نَهَى رسولُ اللَّهِ- صلَّى اللَّهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ- أن يُتنَفَّسَ في الإناءِ، أو يُنفَخَ فيهِ" (أبو داود برقم: 3728)، وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ، فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعُودَ، فَلْيُنَحِّ الْإِنَاءَ، ثُمَّ لِيَعُدْ إِنْ كَانَ يُرِيدُ» (ابن ماجه ، برقم: 3427، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم: 386). وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: " نَهى رَسولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -عنِ الشُّربِ مِن ثُلْمةِ القَدَحِ، وأنْ يُنفَخَ في الشَّرابِ" (أبو داود، برقم: 3722) ، وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه-: "أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم -نَهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الشُّرْبِ، فَقَالَ رَجُلٌ: القَذَاةُ أَرَاهَا فِي الإِنَاءِ؟ قَالَ: أَهْرِقْهَا، قَالَ: فَإِنِّي لاَ أَرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ؟ قَالَ: فَأَبِنِ القَدَحَ إِذَنْ عَنْ فِيكَ" (الترمذي، برقم: (1887). النفخ في الشراب، فإنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يعاف لأجلها (الطب النبوي لابن القيم ، ص: 175)، أما من الناحية الطبية فإن هواء الزفير مفعم بغاز الفحم وفضلات الجسم الطيارة والتي تكثر نسبتها عند المصابين بالتسمم البولي (الأوريميائي)، أو الانسمام الخلوي (السكريين)، وما النفخ إلا اختلاط لهذه الفضلات بالطعام والشراب بالنفخ عليه، فعدم النفخ وقاية للإنسان من مخاطر المرض، وخاصة السل المعوي، والذي يحدث بسبب انتقال ميكروبات السل من الرئتين عن طريق النفخ إلى الأمعاء (الراوي، استشارات طبية في ضوء الإسلام 1966)، فالنهي عن النفخ في الشراب أو التنفّس فيه رقيّ الأدب مع تمام الاحتراز الصحي؛ فالتنفّسُ في الإناءِ أو النفخ فيه يُدخل على الشراب ما يخرج مع الزفير من رطوبةٍ وروائح وذراتٍ دقيقة، وهو توجيهٌ بليغٌ في صيانة الذوق العام وحفظ كرامة الجليس. وعلى المستوى الطبي، فإن الامتناع عن النفخ ينسجم مع مبادئ الوقاية من انتقال العوامل الممرِضة عبر الرذاذ والتنفس، ويحدّ من مزج إفرازات الفم والهواء الزفير بالمشروب، وبذلكَ يظهر أن هذا الهدي النبوي قَاعِدةٌ سلوكيةٌ دقيقةٌ تُحقّقُ مقاصد الشريعة في حفظ النفسِ، وتؤسس لثقافةِ النظافة العامة، وتسبقُ كثيرًا من مبادئ السلامة الصحية المعاصرة في أبسط التصرفات وأدقّها.

سابعا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن الشرب من ثلمة القدح:

النهي النبوي عن الشرب من ثُلْمة القدح توجيهٌ دقيقٌ يكشف عن عناية الشريعة بسلامة الإنسان ونظافة ممارساته اليومية، ونقاء الماء، والأمن من التلوث، ومن هنا تتجلَّى دلالة الإعجاز في هذا التوجيه؛ إذ يربط بين الأدب الشرعي ومبدأ الوقاية قبل وقوع الضرر، عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: " نهى رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم - عن الشُّربِ مِن ثُلمةِ القَدَحِ وأنْ يُنفَخَ في الشَّرابِ" **(سنن أبي داود، برقم: 3722) فالشرب من** ثُلْمة القدح تكتنفه مخاطر متعددة؛ إذ إن ما يطفو على سطح الماء من قذى أو شوائب قد ينجذب إلى موضع الثلمة دون سائر الجوانب، فيقع الشارب على ما يُستقذر، كما أن هيئة الشرب من الثلمة قد تُشوّش على الشارب وتمنعه من تمام الارتواء وحسن الشرب، ويضاف إلى ذلك أن الثلمة موضعٌ يكثر فيه اجتماع الوسخ والزهومة، وغالبًا لا يبلغها الغسل كما يبلغ الجانب السليم، لكونها في موضع العيب والخلل من الإناء، وهو أردأ أجزائه وأجدرها بالتجنّب وقصد الجانب الصحيح، ثم إن الثلمة قد تكون حادّة أو مشقوقة بما يعرّض فم الشارب للخدش أو الجرح، فضلًا عن مفاسد أخرى تندرجُ في معنى السلامة والنظافة وحفظ النفس (الطب النبوي لابن القيم ، ص: 175)، هناك مفاهيم علمية حديثة حيثُ ثبت وجود تجمع هائل للجراثيم والطفيليات في ثلمة القدح، كما يصعب تطهيرها تماماً في الغالب؛ ولذلك جاء النهي النبوي المعجز من الشرب من ثلمة القدح، فالنهي عن الشرب من ثُلْمة القدح يمثل مثالًا واضحًا على سبق الهدي النبوي إلى الوقاية الصحية في صورةٍ سلوكيةٍ تلتقي مع مفاهيم السلامة الحديثة التي تؤكد أن الشقوق والحواف المكسورة تُعدّ مواضعَ خطورة أشدّ من حيث قابليتها لاحتباس الملوثات وصعوبة التنظيف، بما يرفع احتمال انتقال الجراثيم عند المشاركة أو تكرار الاستعمال.

ثامنا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن الشرب من في السقاء:

لقد أولت الشريعة الإسلامية صحة الإنسان عناية فائقة، فشرعت من الأحكام والآداب ما يكفل سلامة البدن والوقاية من الأسقام، سابقة بذلك الاكتشافات الطبية الحديثة بقرون، لتتضافر دلائل الإعجاز في الهدي النبوي مع الحقائق العلمية لتشكل نسيجاً متكاملاً يؤكد صدق الهدي النبوي، فعن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- قال: " نَهَى النبيُّ -صلى الله عليه وسلم -عَنِ الشُّرْبِ مِن فِيِّ السِّقَاءِ" (البخاري برقم: 5629)، وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: " نَهَى رَسولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -عَنِ الشُّرْبِ مِن فَمِ القِرْبَةِ أوِ السِّقَاءِ " (البخاري ، برقم: 5627)، وإنما نهى عن الشرب من فِيِّ السقاء من أجل ما يخاف من أذى، ربما يكون فيه ولا يراه الشارب، فحتى لا يدخل جوفه، استحب أن يشرب من إناء ظاهر يبصره. فنهيه عن الشرب من فم السقاء الاحتراز عن تغيُّر فم السِّقاء برائحة الفم، وتغيُّر فم السقاء إنما يكون بكثرة الشرب منه (المفاتيح في شرح المصابيح 4/ 536)، فالإناء إن لم يكن شفافاً (من الزجاج) وكانت فوهته مفتوحة، فقد يسقط فيه شيء من الهواء أو القذى أو الحشرات من عقرب وسواه، فإذا شرب من فم السقاء، فإن هذه قد تدخل جوفه فتؤذيه، كما أنه بعد انتهاء الشرب وخاصة إذا كان الشارب مريضاً، فقد يعودُ ريقُه مع ما يحمله من جراثيم إلى فم السقاء، ويصبح خطراً على الشاربين (الكيلاني، الحقائق الطبية في الإسلام ، 1996)، وأما من الناحية العلمية فإن الشرب من فيِّ السقاء يعتبر معجزة طبية بعد اكتشاف الميكروبات والجراثيم، حيث يكون سببا في التصاق الميكروبات من فم الشارب في فتحة السقاء؛ وبالتالي نقل ميكروبات المرض إلى السقاء ثم تكاثر الميكروبات في الشراب وانتقالها قطعا إلى من سيشربون منها بعد ذلك، فقد جمع

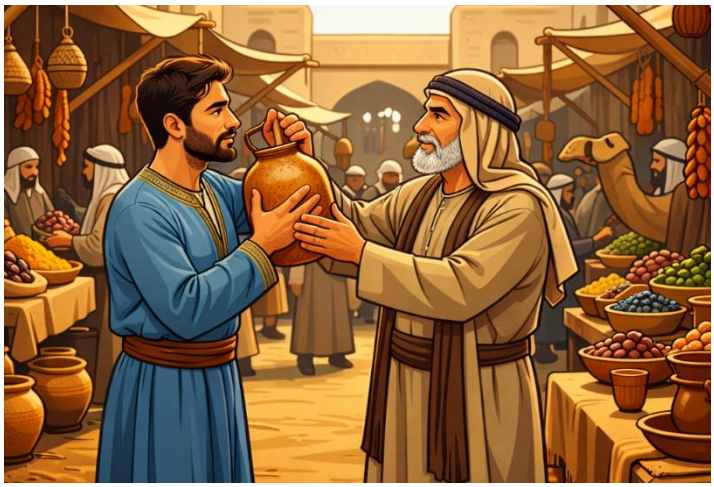

النهي عن الشرب من في السقاء بين وقاية الفرد من الأذى المباغت الذي قد يستقر داخل الأواني المعتمة، وبين حماية الجماعة من انتشار العدوى والأمراض عبر تلوث المياه باللعاب والجراثيم.

تاسعا: دلائل الإعجاز العلمي في المضمضة بعد الطعام:

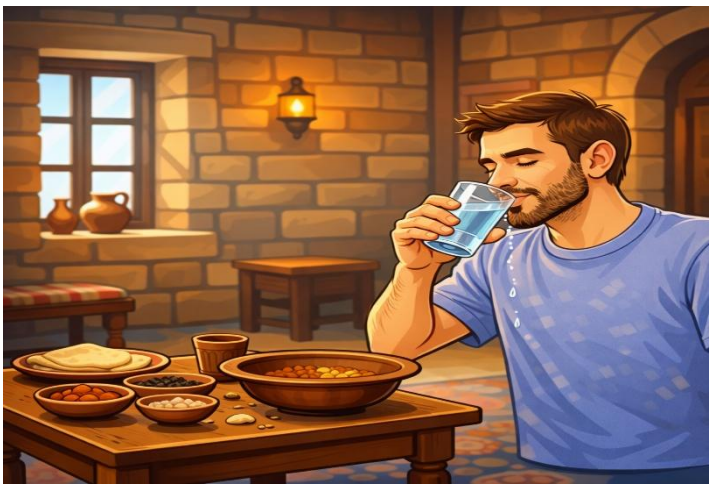

تمثل سنة المضمضة بعد الطعام والشراب نموذجًا واضحًا للإعجاز النبوي الوقائي؛ إذ تُبرز كيف انتقلت السنة من التوجيه التعبدي العام إلى تفاصيل صحية دقيقة تمسّ حياة الإنسان اليومية. فالفمُ هو بوابة الجسد وأول محطة في مسار الهضم، كما أنه بيئة حيوية تتأثر سريعًا ببقايا الطعام والشراب؛ ومن هنا جاءت المضمضةُ بوصفِها إجراءً بسيطًا وعميق الأثر، يندرج ضمن منظومة الطهارة والنظافة في الإسلام. وقد دلّت النصوص على هذا الهدي العملي، فعن سويد بن النعمان الأنصاري قال: "خَرَجْنَا مع رَسولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -إلى خَيْبَرَ، فَلَمَّا كُنَّا بالصَّهْبَاءِ دَعَا بطَعَامٍ، فَما أُتِيَ إلَّا بسَوِيقٍ، فأكَلْنَا، فَقَامَ إلى الصَّلَاةِ فَتَمَضْمَضَ ومَضْمَضْنَا قالَ يَحْيَى: سَمِعْتُ بُشيرًا، يقولُ: حَدَّثَنَا سُوَيْدٌ: خَرَجْنَا مع رَسولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -إلى خَيْبَرَ، فَلَمَّا كُنَّا بالصَّهْبَاءِ، قالَ يَحْيَى: وهي مِن خَيْبَرَ علَى رَوْحَةٍ، دَعَا بطَعَامٍ فَما أُتِيَ إلَّا بسَوِيقٍ، فَلُكْنَاهُ، فأكَلْنَا معهُ، ثُمَّ دَعَا بمَاءٍ، فَمَضْمَضَ ومَضْمَضْنَا معهُ، ثُمَّ صَلَّى بنَا المَغْرِبَ، ولَمْ يَتَوَضَّأْ" (البخاري برقم: (5454). وعن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما-: "أنَّ رَسولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -شَرِبَ لَبَنًا فَمَضْمَضَ، وقالَ: إنَّ له دَسَمًا" (البخاري برقم: 211)، فالهديُ النبويُّ يبينُ أن المضمضةَ ركنٌ أساسي في منظومةِ الطِّبِّ الوقائي التي وضعها الإسلام، فبينما كانت شعوبُ الأرض لقرون مضت تجهل علاقة بقايا الطعام بتسوس الأسنان وأمراض اللثة، كان المصطفى -صلى الله عليه وسلم -يمارسُ هذا السلوكَ الصحيَّ ويأمر به

أصحابه، معللاً ذلك بعلل طبية دقيقة، فإزالةُ ما يعلق بالفم من بقايا الطعام مباشرةً تقلل فرص التخمر وتراكم اللويحة الجرثومية، وتحدّ من تهيؤ بيئة مناسبة لنمو البكتيريا المسببة لتسوس الأسنان وأمراض اللثة ورائحة الفم. وبذلك تتكامل المضمضة مع غيرها من السنن وفي مقدمتها السواك لتشكل برنامجًا وقائيًا مبكرًا للعناية بصحة الفم والأسنان، قبل أن يعرف العالم الحديث العلاقة الدقيقة بين بقايا الطعام واعتلالات الفم المزمنة. وتبرز المعجزة هنا في أن السنة قدَّمت قاعدةً عملية سهلة التطبيق، تُحسِّن جودة النظافة الفموية وتدعم صحة الإنسان العامة بأقل كلفة وأعظم أثر، في انسجامٍ تامٍ مع مقاصدِ الشريعة في حفظ النفس ودفع الضرر.

عاشرا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن النوم بعد الطعام مباشرة:

يربط الهديُ النبوي بين آداب الطعام وحيوية القلب وصلاح السلوك؛ فنهى عن النوم مباشرة بعد الشبع، ودعا إلى تلطيف أثر الطعام بذكر الله والصلاة، لأن امتلاء البطن يعقب غالبًا فتورًا وغفلةً تُفضي إلى غفلة القلب، فالشبع مع النوم يجمع على الإنسان غفلتين؛ لذلك استُحبّ أن يعقب الطعامَ ذكرٌ يورث الشكر ويكسر حدّة الشهوة، وهو ما

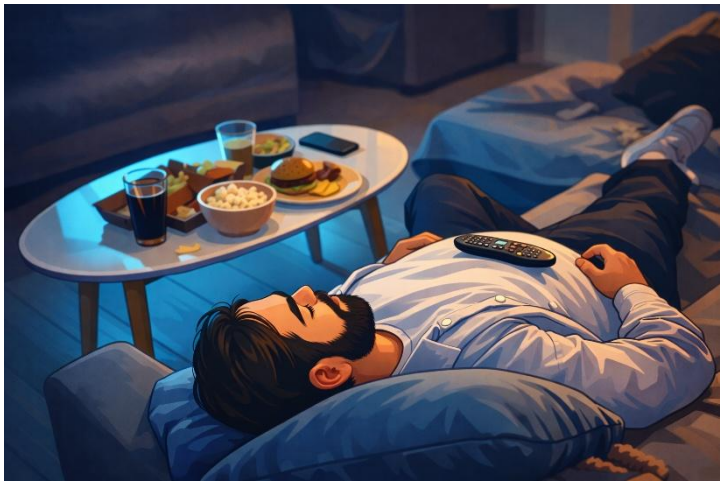

يدخل في تهذيب النفس وحراسة القلب من البلادة والفتور، فعن عائشة- رضي الله عنها- أن النبي- صلى الله عليه وسلم - قال: "أذيبوا طعامَكُم بذِكْرِ اللهِ والصَّلاةِ، ولا تَناموا علَيهِ فتَقسوَ قلوبُكُم" (الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: 4952، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم: 115)، ويستحب ألا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعاد الفتور ويقسو قلبه لذلك (إحياء علوم الدين ، 3/ 95)، وتذكر كتب الطب الوقائي أن النومَ يوجب البطء في جميع الأفعال

الحيوية في البدن والهضم من جملتها، فالنوم بعد الطعام يربك الهضم ويؤدي إلى عسرات هضم وكثرة الغازات، كما أنه من الملاحظ أن معظم حالات الذبحة الصدرية تأتي بعد وجبة ثقيلة والنوم بعدها مباشرة. فيجب ترك فترة تقرب من ساعة تفصل بين انتهاء الطعام والنوم الطويل حتى تكون المعدة قد انتهت تقريباً من هضمه (الخياط، 1380هـ؛ طللوزي، 1380)، وتتسق هذه التوجيهات مع منطق الطب الوقائي؛ إذ إن النوم يبطّئ الوظائف الحيوية ويُضعف كفاءة الهضم، وقد يسبب اضطرابات هضمية كالغازات وعسر الهضم، وتزيد خطورته بعد الوجبات الثقيلة. لذلك يُنصح بترك فاصل زمني يقارب ساعة بين انتهاء الطعام والنوم، بما يعين على تمام الهضم ويقلل الأذى، ويحقق مقصود الهدي النبوي في الجمع بين سلامة البدن ورقّة القلب عبر ضبط العادات اليومية وتقديم اليقظة والذكر بعد الطعام على الاستغراق في النوم. ومن هذا يتبين أن دلائل الإعجاز العلمي الصحي في السلوك الغذائي النبوي لا تنحصر في بيان ماذا نأكل، بل تمتد إلى كيف نأكل ونشرب؛ إذ أرست السنّة قواعدَ وقائيةً دقيقة تُحسن تدبير الشهوة، وتمنع أسباب الضرر قبل وقوعه، وتُهذّب العادة اليومية لتكون منسجمةً مع مقصد حفظ النفس .فالنهي عن الإسراف يضبط المدخلات ويقلّل أعباء الاستقلاب، والنهي عن الطعام الحار يحمي الفم والمريء من الأذى، والشربُ مَصًّا مع التنفّس خارج الإناء وعلى دفعات يحقق التدرّج والسكينة ويقلّل الاندفاع والمشقة، كما أن النهي عن النفخ والتنفس في الإناء يرسِّخ مبدأ السلامة ويحدّ من تلوث الشراب، والنهي عن الأكل والشرب قائِمًا يربطُ السلوكَ الغذائي بالطمأنينة العضوية وحسن الهضم، والنهي عن الشرب من ثلمة القدح ومن فم السقاء، يقطع ذرائع التلوث والإصابة ويمنع مواطن احتجاز الملوثات، وتأتيْ المضمضة بعد الطعام لتؤكد عناية الإسلام بنظافة الفم وصيانة الصحة العامة. وبذلك يتبينُ أن الهدي النبوي قدَّم ثقافة غذائية متكاملة تجمع بين العبادة والأدب والوقاية، وتُظهر سبق الشريعة في بناء صحة الإنسان عبر ممارسات يسيرة لكنها عميقة الأثر، فقد قدّم الهدي النبوي منظومةً شاملة لا تقتصر على بيان نوع الغذاء، بل تمتد إلى تهذيب السلوك الغذائي من حيثُ الكمية والكيفية والهيئة وآداب النظافة، بما يحقق مقصد حفظ النفس على أساسٍ وقائيٍّ يقطعُ أسبابَ الضرر قبلَ وقوعه. فقد أبرز النهي عن الإسراف قاعدةً

جامعة لضبطَ الشهوةِ وتقليلِ أعباءِ الهضم والتمثيل الغذائي، كما دلَّ النهي عن تناولِ الطعامِ الحار على عنايةٍ بحماية الفمِ والمريء من الأذى الحراري، وأكدت توجيهات الشرب مصًّا والتنفس خارج الإناء ثلاثًا قيمةَ التدرّج والطمأنينة وتقليل الاندفاع بما ينسجم مع حسن التقبّل الهضمي. كما تكشف النصوص الناهية عن النفخ في الشراب أو التنفّس في الإناء، وعن الشرب من ثلمة القدح ومن فم السقاء، عن مبدأٍ واضح في السلامة العامة يتمثل في تقليل احتمالات تلوّث الشراب وانتقال الأذى، لا سيما في حال المشاركة وتداول الأواني، مع التنبيه إلى مواطن يصعب تنظيفها أو قد ترفع أخطار التلوث، وبيّنت دلالة النهي عن الأكل والشرب قائمًا ارتباط السلوك الغذائي بحالة السكينة والاتزان العضوي، وأن الهيئة الهادئة أدعى لحسن الهضم وراحة البدن. وتأتي المضمضة بعد الطعام لتؤكد أن النظافة جزءٌ أصيل من الوقاية وحفظ الصحة، بما يقلّل بقايا الطعام وآثارها. وبذلك تتكامل النتائج لتقرر أن الإعجاز الصحي في السلوك الغذائي النبوي يقوم على الجمعِ بين الأدبِ والعبادة والوقاية، مع ضرورة ضبط الصياغة العلمية في عرض هذه الدلائل، بالاكتفاء بما تثبته المعارف الطبية الحديثة وتجنب التعميمات غير المنضبطة.

الفصل الخامس

دلائل الإعجاز العلمي في الصحية النفسية والجسدية

يُعَدّ حفظُ النفس من أعظمِ مقاصد الشريعة، ومن أبرز مظاهر هذا الحفظ ما قررته نصوصُ القرآن الكريم والسنة النبوية من توجيهاتٍ وقائية وعلاجية تصون الإنسان من أسباب الهلاك الظاهرة والباطنة. فالصحة في التصور الإسلامي ليست مجرد سلامة الجسد من المرض، بل هي توازنٌ شامل يضمّ صحةَ القلب والنفس والعقل والبدن، ويقوم على بناء الإنسان القادر على عمارة الأرض وعبادة الله على بصيرة. ومن هنا جاءت الأحاديث النبوية بالتداوي وتربيةٍ نفسيةٍ تهذب الانفعالات وتداوي الآلام المعنوية، وبنظامٍ جسديٍّ يقي من العلل ويقوّي المناعة ويهذب العادات والسلوكيات اليومية. وقد نبه المبعوث رحمة للعالمين بالرجوع في التداوي إلى أهل الخبرة وحذر المدعين في قوله- صلى الله عليه وسلم-: "من تطبَّبَ ولم يُعلَم منْهُ طِبٌّ قبلَ ذلِك فَهوَ ضامنٌ " (أبو داود، برقم: 4586). وأشار المصطفى -صلى الله عليه وسلم -أن لكل داء دواء علمه الطبيب أو جهله يستثنى من ذلك الموت والهرم، فعن أسامة بن شريك الثعلبي قال: كنت عند النبي- صلى الله عليه وسلم-: "قالَتِ الأعرابُ، يا رسولَ اللهِ، ألا نتداوى، قال: نعم، يا عبادِ اللهِ، تداوُوا، فإن اللهَ لم يضعْ داءً إلا وضعَ له شِفاء – أو دواء – إلا داءً واحدا، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، وما هُوَ؟ قال: الهرمُ" (الترمذي برقم: 2038)، وقال- عليه الصلاة والسلام-: " لِكُلِّ داءٍ دَواءٌ، فإذا أُصِيبَ دَواءُ الدَّاءِ بَرَأَ بإذْنِ اللهِ عزَّ وجلَّ" (مسلم، برقم: 2204). ويأتي هذا الفصل لبيان دلائل الإعجاز الصحي في جملةٍ من النصوص التي ترسم منهجًا عمليًا للتداوي والتحصين من "المهلكات"؛ كالغضب المدمّر، والحزن القاتل، واضطراب النوم، والإفراط في الطعام، وما يتبع ذلك من آثارٍ عضوية ونفسية، إضافةً إلى ما شرعته السنة من وسائل نافعة كالصيام، وتنظيم العلاقات الأسرية، والاعتزال في المحيض، والتداوي بالحجامة والاكتحال، وغيرها. وسيتناول الفصل هذه

الدلائل في مبحثين: أحدهما يُعنى بالصحة النفسية وما يتصل بتزكية النفس وبعث السكينة، والآخر يُبرز ما في الهدي النبوي من قواعد تحفظ الجسد وتقوّيه، لتتجلى بذلك حكمةُ التشريع وإعجازه في تحقيق الوقاية والتوازن الشامل للإنسان، فدلائل الإعجاز الصحي في الهدي النبوي لا تُفهم على أنها بديلٌ عن الطبّ الحديث أو قَطِيْعَةٌ عن مناهجه، بل هي إطارٌ هادٍ يربط بين التكليف الشرعي والأخذ بالأسباب وحسن التداوي؛ إذ يجمع المنهج الإسلامي بين تعظيم قيمة الوقاية، وترشيد السلوك اليومي، واستدعاء السكينة والإيمان في تدبير الألم والقلق، وبين الرجوع إلى الخبرة الطبية الموثوقة عند الحاجة. ومن هنا تتأكد ضرورةُ الجمع بين النصّ وفهمه المقاصدي، وبين المعطى العلمي الرصين، مع تجنّب تحميل النصوص ما لا تحتمل، وإبراز المنهج الوقائي والتوازني الذي تؤسّسه السنة في بناء الإنسان نفسيًا وجسديًا، وبيان كيف تتحقق به مصالحُ العباد في حفظ النفس والعقل، في صورةٍ متكاملة تُسهم في ترشيد الخطاب العلمي حول الإعجاز الصحي وتوجيهه إلى مساره المنهجي الصحيح.

المبحث الأول

دلائل الإعجاز العلمي في الصحة النفسية

تتجلَّى عناية الإسلام بصحة الإنسان النفسية في توجيهاتٍ تربويةٍ وعلاجيةٍ جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية، تهدفُ إلى تهذيب الانفعالات، وبعث السكينة، وتقوية القدرة على التحمّل والتوازن. ويعرضُ هذا المبحث نماذج من الهدي النبوي في معالجة أسباب الاضطراب النفسي كالغضب والحزن والقلق، وبيان مَا فيهَا من دَلائلَ إعجازيةٍ تُسهمُ في بناءِ النفس المطمئنة والإنسان السويّ. ففيْ التصوّرُ الإسلامي لا تُختزلُ في مجرَّد غيابِ الاضطراب، بل تَقُومُ على بناء النفس المطمئنّة التي تُحسنُ إدارة الانفعال وتوازن بين مطالب الروح والجسد والعقل، من خلال منظومةٍ متكاملةٍ تجمعُ الإيمانَ والمعنى والسلوك الوقائي والمساندة الاجتماعية، ومن هنا تأتي دلائل الإعجاز في الهدي النبوي بوصفها توجيهاتٍ عملية تُوقفُ الضغوط وتمنع تراكم التوتر، وتخفيف الحزن، وترويض القلق بذكر الله وحسن التوكُّل والأمل، مع التأكيدِ علَى أن التداوي النفسي والأخذ بأسبابِ العلاجِ المتخصصِ عندَ الحاجةِ من تمامِ مقاصدِ الشريعةِ في حفظ النفس والعقل. لتظهرَ حكمة التشريع في صناعةِ الإنسان السويّ الصحيح عقليًا وجسديًا.

أولا: دلائل الإعجاز العلمي بإسعاد الإنسان:

سعادة الإنسان في التصور الإسلامي قيمةٌ مركّبةٌ تقوم على توازنٍ بين الاستقامة الأخلاقية والاستقرار المعيشي، فالمسكن؛ فضاء تتحقق فيه الحاجات الجسدية، ورعاية الأطفال، وحفظ الممتلكات، وتوفير الخصوصية والهدوء، وتمكين الأسرة من أداء وظائفها الأساسية، كما أنه مكوّن حضري ينعكس على تخطيط المدن، وهو شرط من شروط العيش الكريم ومقدمةً لصيانة النفس وتحقيق الطمأنينة، يقول النبي- صلى الله عليه وسلم-: "مِنْ سعادةِ ابنِ آدمَ ثلاثةٌ ومِنْ شِقْوَةِ ابنِ آدمَ ثلاثةٌ مِنْ سعادةِ ابنِ آدمَ المرأةُ الصالحةُ والمسكنُ الصالحُ والمركَبُ الصالحُ ومِنْ شِقْوَةِ ابنِ آدمَ المرأةُ السوءُ والمسكنُ السوءُ والمركبُ السوءُ" (أحمد، برقم: 1445)، فالمسكن "SHELTER " هو: المأوى الذي تتحققُ فيه الحاجاتُ الجسديةُ ورعايةُ الأطفالِ وحفظُ الممتلكات والحصولُ على الخصوصية والهدوءُ واستقبالُ الأصدقاء وإنجازُ الوظائفِ الأساسية والشخصية للأسرة، وبقدر أهمية الإسكان للفرد والأسرة، فإنه يهمُّ أيضا الدولة والمجتمع، فأكبرُ استعمالٍ للأرضِ في المدن يخصصُ للمسكن، ومشكلة المواصلات هي عبارة عن الطريقِ من العملِ إلى المسكن. ورداءةُ ظروف السكن (كالازدحام، وسوء التهوية، وضعف السلامة، ونقص الخدمات)، ترتبط بارتفاع المخاطر الصحية الجسدية والنفسية، مما يجعل تحسين جودة السكن مدخلًا وقائيًا، ينعكسُ على تقليل العبء المرضي وتعزيز جودة الحياة (Krieger & Higgins, 2002) فالمعطياتُ الطبية والاجتماعية الحديثة تبين أن جودة السكن تمثل محدِّدًا حاسمًا للصحة والرفاه؛ ورداءةُ السكن يرتبط بارتفاع المخاطر الصحية النفسية، بما يجعلُ تحسين بيئة السكن مدخلًا وقائيًا يخفّض العبء المرضي ويعزّز جودة الحياة ويقدّم إطارًا وقائيًا مبكرًا يربط بين الاستقرار الأسري والبيئة المعيشية والصحة العامة،

ويؤكد أن الهدي النبوي سبقَ إلى تثبيتِ قواعد الرخاء الإنساني من خلال عناصر بسيطة لكنها عميقة الأثر في بناءِ الفرد والأسرة والمجتمع.

ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي في الاستجمام بالتلبينة لذهاب الحزن:

التلبينةُ غذاءٌ لطيفٌ يُقدَّم للمريض وللمحزون، يريحُ الإنسان، فالشعيرُ من الحبوب الغنية بالألياف الذائبة ؛ مع إراحةِ فؤادِ المريض؛ فعن عائشة- رضي الله عنها-: أنها كانَتْ تأمرُ بالتلبينِ للمريض وللمحزون على الهالك، وكانت تقول: إني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم -يقول: «إِنَّ التَّلْبِينَةَ تُجِمُّ فُؤَادَ المَرِيضِ، وَتَذْهَبُ بِبَعْضِ الحُزْنِ» (البخاري، برقم (5689)، وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: كان رَسولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم -إذا قِيْلَ لَه: إنَّ فُلانًا وَجِعٌ، لا يَطعَمُ الطَّعامَ، قَالَ: "عليكمْ بالتَّلبينةِ، فحَسُّوْهُ إيَّاها، فو الذي نَفْسي بيَدِهِ إنَّها لَتَغسِلُ بَطنَ أحَدِكم، كما يَغسِلُ أحَدُكم وَجهَه بالماءِ مِنَ الوَسَخِ" (أحمد ، برقم: 25192) ، فالتلبينة؛ حِساءٌ من دقيقٍ أو نخالةٍ وربما جُعلَ فيها عسل، وتشبيهها باللبن، لبياضها ورقتها، وهي تريح الفؤاد وتزيل عنه الهم وتنشطه (النهاية في غريب الأثر، 4/ 428). قال ابن القيم في وصف التلبينة: هو الحساء الرقيق الذي هو في قوام اللبن، ومنه اشتق اسمه، وهذا الغذاء هو النافع للعليل، وهو الرقيق النضيج لا الغليظ النيء، (زاد المعاد في هدي خير العباد (4/ 120)، وقد أثبتت البحوثُ الحديثةُ ارتباطها بتحسين بعض المؤشرات الاستقلابية ذات الصلة بصحة القلب والسكر، وهو ما يجعلها أقرب إلى الغذاء العلاجي في سياقات المرض والضعف، في تخفيف أثر الحزن جزئيًّا ، والإسهامُ في خفضِ الكوليسترول في الدم وتدعم تقليل خطورة أمراض القلب ضمن نمط غذائي مناسب (AbuMweis, S. S., Jew, S., & Ames, N. P. 2010) فهي مريحة لفؤاد

المريض وتذهبُ ببعضِ الحزنِ والمعروف أنَّ حساء الشعير له العديد من الفوائد فهو سهل الهضم، مدرٌ للبول، مفيدٌ لحالاتِ السعال وصعوبة التنفس، قاطعٌ للعطشِ، مطهر للمعدة، فالشعيرُ من أقدم محاصيل الإنسان غذاءً، وضمن الأنماط الغذائية الداعمة للصحة؛ إذ يسهم في رفع مدخول الألياف الذائبة، بما ينعكسُ إيجابًا على ضبط سكر الدم والدهون، كما تُظهر الدِّرَاسَاتُ فَاعليةَ حُبوب الشعير في خَفْضِ كوليسترول الدم عبر آليات حيوية متعددة؛ من أبرزها الإسهامُ في تقليل التخليق الحيوي للكوليسترول لاحتوائهِ على مركبات ذات خصائص مضادّة للأكسدة، والحدّ من امتصاص الكوليسترول والأحماض الصفراوية بفعل الألياف الذائبة، وتُضافُ إلى ذلك آثارٌ مساندة تتصلُ بتنظيمِ ضَغْطِ الدم نتيجة غناه بالبوتاسيوم، وما يرتبط به من تأثير مُدرٍّ للبولِ، وبالمساهمة في تنظيم الامتصاص المعوي للكربوهيدرات عبر تكوين وَسَطٍ هلاميٍّ لزجٍ يبطئ هضم النشويات وامتصَاصِها، ويحدُّ من الارتفاعات المفاجئة لسكر الدم، مع كونه قليلَ السعرات نسبيًّا وغنيًّا بالألياف، بما يعزز الشبع ويقلل الميل للإفراط في السكريات. ومن زاويةٍ (نفسَحَيوية)، تُفيد بعض المقارباتِ بأنَّ جانبًا من الحزن والاكتئاب يرتبط باختلالات كيميائية عصبية، وأن الشعيرَ يوفِّر عناصرَ قد تُسهم بوصفها عوامل غذائية مساعدة في دعم التوازن العصبي؛ مثل المغنيسيوم والبوتاسيوم، ومركبات مُضَادَّات الأكسدة، إضَافةً إلى احتوائه علَى الحمضِ الأميني تريبتوفان الذي يدخلُ في مسارات تصنيع السيروتونين المرتبط بالحالة المزاجية، فضلًا عن مركبات أخرى تُدرس لآثارها الوظيفية (رامي عبد الحسيب ، التلبينة؛ غذاء ودواء، مجلة الإعجاز العلمي ، العدد : 17)، مما يجعل التلبينة غِذَاءً مثالياً لتخفيف حدة الاكتئاب وإراحة الجسد، ويمنح المريض والمحزون دعماً غذائياً ونفسياً يعيد للبدن توازنه وللنفس سكينتها ضمن نمط حياة صحي وشامل، وهي دلالة واضحة على دقة الهدي النبوي الشريف.

ثالثا: دلائل الإعجاز العلمي في النوم المبكر:

يُبرز الإسلامُ أنَّ النومَ آيةٌ كونيةٌ ورحمةٌ ربانيةٌ تُحقّق للإنسان السَّكَن واستعادة العافية، وقد تضافرت الدلائل القرآنية في آياتٍ متعددة، تُقرّر أن الليل لباسٌ وأن النوم سُباتٌ وأن تعاقب الليل والنهار من مظاهر الرحمة والتدبير الحكيم، فالسهر المتواصل أو قلب الليل نهاراً يفضي إلى اضطراب وآثار على التركيز والإنتاج والصحة العامة والعلاقات الاجتماعية، قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:73]، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم:23]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾ [الفرقان:47]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: 72]، وتصفُ أُمُّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- هيئةً من هدي النبي- صلى الله عليه وسلم- في النوم أول الليل وإحياء آخره، مع مراعاة الطهارة والاستعداد للعبادة، بما يعكس توازناً دقيقاً بين متطلبات البدن وحقوق الروح. فعَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ سَأَلْتُ الأَسْوَدَ بْنَ يَزِيدَ عَمَّا حَدَّثَتْهُ عَائِشَةُ عَنْ صَلاةِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَتْ : "كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيُحْيِي آخِرَهُ ثُمَّ إِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى أَهْلِهِ قَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ يَنَامُ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ النِّدَاءِ الأَوَّلِ قَالَتْ وَثَبَ وَلا وَاللَّهِ مَا قَالَتْ قَامَ فَأَفَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ وَلا وَاللَّهِ مَا قَالَتْ اغْتَسَلَ وَأَنَا أَعْلَمُ مَا تُرِيدُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جُنُبًا تَوَضَّأَ وُضُوءَ الرَّجُلِ لِلصَّلاةِ ثُمَّ صَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ " (مسلم، برقم: 1223)، يقول ابنُ عاشورٍ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: 9] " فمن فسر السبات بالراحةِ أرادَ تفسير حاصل المعنى، وفي هذا امتنان على الناسِ بخلق نظام النوم فيهم لتحصلَ لهم راحة من أتعابِ العمل الذي يكدحون

له في نهارهم، فَاللهُ تعالى جعلَ النوم حاصِلًا للإنسان دون اختياره، فَالنَّومُ يلجئ الإنسانُ إلى قطع العمل لتحصل راحة لمجموعه العصبي الذي ركنه في الدماغ، فبتلك الراحة يستجد العصب قواه التي أوهنها عمل الحواس وحركات الأعضاء وأعمالها، بحيث لو تعلقت رغبة أحد بالسهر لا بد له من أن يغلبه النوم، وذلك لطف بالإنسان بحيث يحصل له ما به منفعة مداركه قسرا عليه لئلا يتهاون به (التحرير والتنوير، 30/ 19)، ولقَدْ ذكر الله أن من الأدلة الدالة على قدرته وعظمته في آية النوم أنه صمم للإنسان على أساس أن ينشط ويعمل في النهار وينام ويستريح في الليل، أما عندما يخالفُ الإنسانُ هذا النظام فإنه يعرض نفسه إلى أضرار ومشاكل صحية، فمغالبة النوم ومدافعته من العوامل الضارّة بصحة الإنسان؛ إذ يترتّب عليها طيفٌ من الآثار الجسدية والمعرفية والانفعالية، مثل الإجهاد العام، وتراجع القدرة على التركيز، ورعشة الأطراف، واضطراب اللفظ، وسرعة الاستثارة والغضب، واضطراب خفقان القلب، وضعف الذاكرة. ويرتبطُ ذلك بوظائف الدماغ أثناء النوم؛ حَيْثُ يُسهِم النومُ في إعادةِ ترميز الخبرات وتنظيمها، وترتيب المعلومات المكتسبة خلال النهار، ودعم عمليات تثبيت الذاكرة وتنقيتها من التشويش المعرفي، بما يمكِّن الإنسان من الاستيقاظ وهو أكثر استعدادًا للتعلّم والأداء في يومٍ جديد. أمَّا عند الحرمان من النوم، فإن تراكم المدخلات المعرفية دونَ فرصةٍ كافية للمعالجة والتنظيم يفرض على الدماغ نمطًا مرهقًا من التلقِّي المستمر، مِمَّا ينعكسُ في صورة تدهور الأداء الذهني، وضعف الذاكرة العاملة، وتشتّت الانتباه، وانخفاض الطاقة، وارتفاع الانفعال، وقد يتطوَّر الأمر إلى صعوباتٍ في التواصل والتفاهم مع الآخرين بما يفضِي إلى توترات ومشكلات اجتماعية. وتشير بعض الدراسات إلى أن الحرمانَ المطوّل من النوم قد يقودُ إلى أَعْراضٍ شديدةٍ مثلَ الارتباك المعرفي واضطرابِ الإدراك وتفاقم التقلّبات المزاجية، وهو ما يؤكد أن النوم ليس ترفًا، بل ضرورةٌ حيوية لحفظ التوازن العصبي والنفسي. كما أنَّ الراحة والنوم الكافيين يُعدَّانِ من أهم مقوّمات التعافي في كثير من الحالات الشائعة؛ إذ يدعمان المناعة وتجدد النشاط، ويسهمان في استعادة الحيوية الذهنية والحفاظ على كفاءة الأداء العقلي واستمرارية تجددّه. ويعمل النوم على ضبط معدل ضربات القلب، وينظم درجة حرارة الجسم، ويساعد على بناء البروتين، واستعادة تحكم

الدماغ والجهاز العصبي في العضلات، وأثناء النوم يقوم الجسم بعملية تنقية للسموم من جميع الخلايا، وإلقائها في الدم الذي يرسلها بدوره إلى الكلية؛ لتطهيرها وإخراجها، فإذا استيقظ الإنسانُ كانَ جِسْمُه نَشِيْطاً (المطيري، عبد المحسن زبن، والطواري، طارق محمد،2008) ، فالنومُ حَاجةٌ حيوية متكرّرة لا تخضع بالكامل لإرادة الإنسان، وأنه شرطٌ من شروط بقاء الكائن الحيّ وكفاءته. ومن الزاوية العلمية يقرّر النص أن النوم حالةٌ يحدث فيها انخفاض نسبي في الاستجابة للمثيرات مع تغيّرات عصبية ملموسة؛ إذ يشير إلى تبدّل أنماط الاتصال بين الخلايا العصبية في الدماغ بين اليقظة والنوم، بما يعكس انتقال الجهاز العصبي من نمط التشغيل المرتبط بالاستقبال والعمل إلى نمطٍ آخر أقرب إلى الصيانة والتنظيم الداخلي. كما يبرز أن النوم يحقق الاستجمام الوظيفي لمختلف أجهزة الجسم، ويدعم انتظام الدورة الدموية، ويسهم في عمليات التوازن الداخلي، ويساعد الجسم على التخلص من نواتج اليقظة الضارة أو الحد من تراكمها، فالنوم يعيد للجسم قابليته للعطاء والأداء، وأن مقدار الحاجة إليه يتناسب غالبًا مع مقدار التعب، وأن الحرمان منه يفضي إلى إجهاد عصبي وارتباك ذهني واضطراب في الانتباه والذاكرة، وقد يتطور إلى آثارٍ شديدة على الصحة النفسية والبدنية، وأن النوم يصاحبه تغيّر في إفراز الهرمونات ولا سِيَمَا بعضُ الهرمونات البنائية مثل هرمون النمو، فَضْلًا عن دوره في تحسين الذاكرة وتثبيت التعلم عبر إعادةِ معالجة الخبرات وترتيب المعلومات. وفي خاتمة البناء الحُجِّي للنص، تُقدَّم هذه الحقائق بوصفها مُتَّسِقَة مع الإشارات القرآنية التي تصفُ النومَ بأنه "سُباتٌ" وموضع سكونٍ ورحمة، وتؤكد أن انتظامه ضرورةٌ لحفظِ سلامةِ الإنسان وتوازنه (عبد الحفيظ الحدّاد، https://www.iijazforum.org/sample-page) ، فَالنَّومُ نِظَامٌ مخلوقٌ محكمٌ، تُدار عبره طاقات الإنسان وتجدد وظائفه، وأن انتظامه ضمن الدورة الطبيعية لليل والنهار جزءٌ من مقاصد الرحمة وحفظ النفس. كما تؤكدُ الشواهد أن ضعفَ النوم يسببُ الإرهاقَ والاضطرابات فالاستقامة على السنن الفطرية مسارٌ وقائيٌّ يعزز التوازن الصحي ويعمّق معنى الشكر على نعمة السكون والراحة التي جعلها الله في الليل.

رابعا: دلائل الإعجاز العلمي في قيام الليل:

قِيَامُ الليل من العبادات التي فيها معنى الإخلاص والخلوة بالله تعالى، ولها تأثير في صفاء القلب وحضور الوعي وتزكية السلوك. ودلائل الإعجاز ظاهرة في توقيته وهيئته وما يصاحبه من طهارة وذكر وقراءة وسجود، له آثارٌ نفسية وجسدية رصد أثرها في المعرفة الطبية الحديثة؛ بما يفتح مجالًا لقراءةٍ علميةٍ منضبطة تُظهر جانبًا من حكمة التشريع في قيام الليل، قال تعالى:﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79]، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 16-17]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ. قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً. نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً. إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً. إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً. إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً. وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ (المزمل:1-8). وروى عبد الله بن عمرو قال: قالَ لي رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "يا عَبْدَ اللَّهِ، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ؛ كانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيامَ اللَّيْلِ" (البخاري، برقم: 1152). وروى جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- قال: سَمِعْتُ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم -يقولُ: "أيُّكُمْ خافَ أنْ لا يَقُومَ مِن آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ، ثُمَّ لِيَرْقُدْ، ومَن وثِقَ بقِيامٍ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ مِن آخِرِهِ، فإنَّ قِراءَةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَحْضُورَةٌ، وذلكَ أفْضَلُ" (مسلم، برقم: 755). وقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: " عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللهِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الجَسَدِ " (الترمذي في سننه ، برقم : 3549)، ومن السنةِ النَّوم على طهارة، قال النبي- صلَّى الله عليه وسلم-: "إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي

إلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أمْرِي إلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولَا مَنْجَا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بكِتَابِكَ الذي أنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ، فإنْ مُتَّ مِن لَيْلَتِكَ، فأنْتَ علَى الفِطْرَةِ، واجْعَلْهُنَّ آخِرَ ما تَتَكَلَّمُ بهِ. قالَ: فَرَدَّدْتُهَا علَى النبيِّ- صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بكِتَابِكَ الذي أنْزَلْتَ، قُلتُ: ورَسولِكَ، قالَ: لَا، ونَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ" (البخاري، برقم: 247)، فقيامُ الليلِ يذهَبُ الكَسَلَ وينشطُ البدنُ (فيض القدير للمناوي، 351/4). فقد أفادَ فَريقٌ طبيٌّ مُتَخَصِّصٌ في اضطراباتِ النوم بمركز طب وبحوث النوم في مستشفَى جامعة الملك عبد العزيز بجدة أن أكثرَ اضطرابات النوم، تشملُ: انقطاعَ التنفس الانسدادي أثناء النوم، الأرق، متلازمة تململ الساقين، وترتبط بخللٍ تنظيم دورات النوم واليقظة وبنقص الناقل العصبي، واختتم الفريق بالتأكيد على أن النوم الصحي يدعم الإفراز الليلي الطبيعي لـ الميلاتونين، مع توصيةٍ عمليةٍ بالالتزام بـ النوم المبكر وتقليل السهر، وتجنب إثارة الذهن وتقليص استخدام وسائل التواصل قبلَ النومِ بنحو ساعتينِ علَى الأقَلِّ (جامعة الملك عبد العزيز، 29 شوال 1446هـ) ويُمكنُ تقسيم النوم الليلي إلى مرحلتين رئيستين: النوم غير الحالم (Non-REM) الذي يَغْلِبُ في ثلثِ الليل الأول ويتميزُ بعمقِ النوم وارتفاع كفاءة الاستشفاء البدني وقلة الأحلام، ثم النوم الحالم (REM) الذي يزداد في ثلث الليل الأخير وتكثر فيه الأحلام وتظهر خلاله تقلباتٌ وظيفية ملحوظة. ففي مرحلة (REM) تزداد التذبذبات القلبية والدورية مثل ارتفاع الضغط وعدم انتظام النبض، كما تطرأ تغيرات تنفسية تشمل زيادة معدل التنفس وعدم انتظامه مع انخفاض فاعلية الأهداب التنفسية وزيادة الإفرازات وتضيّق الشعب، وهو ما قد يرفع قابلية تفاقم أعراض الربو واضطرابات الحساسية. وعلى هذا الأساس يعف قيمة الاستيقاظ في الثلث الأخير من الليل للصلاة وما يسبقه من طهارة ووضوء، مع تنشيط بدني في أفعال الطلاة ؛ القيام، والركوع والسجود، وهناك ثمة علاقة بين التوتر والشد النفسي وبين دورات النوم؛ فالتوتر والشد النفسي (Stressand Anxiety) يؤديان إلى عدم انتظام دورات النوم، بل أحياناً إلى الحرمان من النوم بالكلية؛ وذلك لأن التوتر يزيد من نسبة (الكورتيزول) الذي يؤدي إلى انحطاط مستوى الليكوترينز (Leukotriens) (سراج ولي، اضطرابات النوم، ص 58 ـ 66)، ويتبيّن من دلائل

الإعجاز في الهدي النبوي والمعطيات العلمية أن قيامَ الليلِ نَمَطٌ تعبُّديٌّ ذو آثارٍ تكامليةٍ على الإنسان؛إذ يسهمُ في خَفْضِ التوتر وإعادة ضبط الاستجابة الهرمونية المرتبطة بالإجهاد، وما يتبع ذلك من دَعْمٍ لوظائفِ المناعية، وتحسين جودة النوم وإيقاعه، كما أن الاستيقاظ للطاعة وما يسبقه من طهارة وسواك ووضوء واستنشاق وأداء الصلاة يُعينُ علَى تنشيطِ البدن وتلطيف الانفعالات وتهذيب المزاج، بما ينعكسُ وِقَايَةً وعِلاجًا لكثير من العللِ التي يغذّيها الإجهادُ واضطراب النوم. ومن ثمَّ يظهر وجهٌ من وجوه الإعجاز في توافق الهدي النبوي مع حقائق لم يُدركها الإنسان إلا حديثًا.

خامسا: دلالة الإعجاز العلمي في الحث على الزواج:

يَأتيْ الْحَثُّ النبويُّ والقرآني علَى الزواجِ ضمنَ منظومةٍ تشريعيةٍ تقصدُ إلى حفظ الدين والنفس والعِرض والنسل، وبناءَ الأسرة بوصفها الخلية الأولى للاستقرار الاجتماعي. ويبرزُ وجهٌ مِنْ دلالةِ الإعجاز في هذا التوجيه حينَ يُقرأ في ضوء مقاصده الوقائية بتنظيمٍ أخلاقيٍّ وصحيٍّ يحقق السكن والمودة والرحمة، ويغلقُ منافذ الانحراف، ويؤسس لبيئةٍ نفسيةٍ واجتماعيةٍ ودعم عاطفي واستقرار أسري ونفسي وجسدي؛ بما يجعلُ الزواجَ إطارًا جامعًا يجْمعُ بين المعنى التعبدي والمصلحة الإنسانية، قال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:21]. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل:72]. ومن واجبات المجتمع تزويج غير المتزوجين قال تعالى: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ

يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:32]، فعن عبدالله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فإنَّه أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ، فإنَّه له وِجَاءٌ" (البخاري، برقم: 4778). وقال- صلى الله عليه وسلم-: "لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مِنِّي" (البخاري :5063)، وروى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما كان من أمر عثمانَ بنِ مظعونٍ الذي ترك النِّساءَ، بعث إليه رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم -فقال: "يا عثمانُ إني لم أُومَرْ بِالرَّهْبانِيَّةِ، أَرَغِبْتَ عن سُنَّتِي ؟ قال: لا يا رسولَ اللهِ، قال، إنَّ من سُنَّتِي أنْ أُصَلِّي وأنام، وأَصُومَ وأَطْعَمَ، وأنْكِحَ وأُطَلِّقَ، فمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَليسَ مِنِّي، يا عثمانُ إنَّ لأهلِكَ عليكَ حَقًّا، ولنفسِكَ عليكَ حَقًّا" (الدارمي، برقم: 2169). وروى سعد بن أبي وقاص وسمرة بن جندب، وعائشة أم المؤمنين: "أنَّ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم -نهى عن التبَتُّلِ" (ابن ماجه، برقم: 1849). فقد حض الإسلام على الزواج ونهى عن التبتل والرهبانية، فالزواجُ ضروري لإقامةِ الأسرة والسكنى والمودة حتى تكتمل صحة الإنسان البدنية والجنسية والنفسية، وعدم القيام بهذا الواجب يؤدي إلى فساد كبير، فقد روى أبو هريرة وعبدالله بن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم -قال: "إذا أتاكم مَن تَرضَوْنَ خُلُقَه ودِينَه، فزوِّجوه؛ إن لا تَفعَلوا، تكُنْ فِتْنةٌ في الأرضِ، وفسادٌ عريضٌ" (ابن ماجة، برقم: 1967)، ويدعوا إلى حفظ الفروج في دائرة الزواج، لا يجوزُ الخروجُ عليها ويعتبرُ الإنجاب مقصداً أساسياً للزواجِ، والأبناء والأحفاد من نعمِ الله ، وقد أكدت الاكتشافات العلمية أهمية الزواج للتمتع بالصحةِ النفسية والبدنية، فالزواجُ له فوائدُ صحيةٌ متعددةٌ، تشمل تحسين صحةَ القلب، وتقليل التوتر، وتحسين نوعية النوم، وزيادة الشعور بالسعادة، وتقليل خطر الإصابة ببعضِ الأمراضِ المزمنة، تُظهر مراجعاتٌ ودراساتٌ تجميعية أن غير المتزوجين أكثر عرضةً لبعض مخرجات أمراض القلب والأوعية مقارنةً بالمتزوجين، مع التأكيد أن هذه العلاقات رصدية ولا تثبتُ السببيةُ، وأنَّ جودةَ العلاقة عَامِلٌ فارقٌ، وبخصوصِ التوتر والمناعة، تبيّن بحوث علم النفس (العصبي-المناعي) أن الدعم الاجتماعي داخل العلاقات القريبة يرتبط بانخفاض مؤشرات الالتهاب وبمساراتٍ فسيولوجيةٍ أقل ضررًا تحتَ الضغطِ النفسي، بما قد

ينعكس على قابلية الإصابة وبعض المخرجات الصحية، كما أنَّ الزواجَ يوفر الدعم العاطفي والاجتماعي، مما يُعَزِّزُ جهاز المناعة، ويقلل من خطر الإصابة بالأمراض، وقد ثبت علمياً أن المتزوجين أكثر أعماراً من العزاب وللزواج أكثر من مائة فائدة صحية (Mamas, M. A. 2018; Landvatter, J. D., Uchino, B. N., Smith, T. W., & Bosch, J. A. 2022)، فدلائلُ الإعجاز في الهدي النبوي رغّبت في الزواج وقرنته بغضِّ البصر وإحصان الفرج، وربطته بالسكنِ والمودة والرحمةِ، تُظهرُ تَشريعًا ذا وظيفة وقائية، تتجاوزُ البعدَ الفردي إلى حفظ المجتمع. وتؤكد المعطيات العلمية المعاصرة على مستوى علم النفس والصحة العامة أنَّ العَلاقاتِ الزوجية المستقرة لها مؤشراتٍ أفضل لصحة القلب وبعض الوظائف المناعية، فضلًا عن أثرها في الرفاه النفسي وعليه تتجلى دلالة الإعجاز في أن الوحي وجَّه إلى الزواج بوصفه مسارًا فطريًا منضبطًا يحقق الطمأنينة ويصون الغرائز ويقيم الأسرة، ثم جاءت العلوم الحديثة لتكشف جانبًا من حكمة هذا التوجيه في تعزيز الصحة والاستقرار؛ مع بقاءِ الأصلِ في أن الزواج طاعةٌ وسنّةٌ ومقصدٌ حضاريٌّ لصيانة الإنسان والعمران.

دلائل الإعجاز العلمي في الصحة النفسية أنّ الهديَ النبويَّ قدّم تصورًا متوازنًا لبناء الإنسان من الداخل، يقومُ علَى تهذيبِ الانفعالات وبعث السكينة وترشيد أنماط العيش بما يحقق الاستقرار النفسي، ويعزّزُ القدرةَ على التحمُّل والتكيُّف. فَقَدْ برزَتْ دَلَائلُ الإعجاز في توجيهات الإسلام إلى إسعاد الإنسان بوصفها مشروعًا قيميًا، يقومُ علَى المعنى والرضا والانسجام الأسري والاجتماعي، لا على اللذةِ العارضةِ، وهو ما ينسجم مع ما تقرره المعارف النفسية الحديثة من أنّ البيئة الداعمة وتقليل الضغوط وتكريس الشعور بالأمان عوامل مركزية في تحقيق الرفاه النفسي. كما اتضح أنَّ السنة النبوية قدّمت نموذجًا علاجيًا يجمع بين البعد الإيماني والبعد الغذائي في التلبينة لذهاب الحزن، بما يشير إلى إدراكٍ مبكر للعلاقة بين التغذية والمزاج، وأنَّ دعمَ البدن بغذاءٍ مناسبٍ يمكنُ أن يسندَ النفسَ ويخففَ من وطأة الكآبة والانقباض، ضمن فهمٍ تكاملي لا يعزلُ الأسبابَ الماديةَ عن الرعاية النفسية والروحية ولا يُغني عن طلبِ العلاجِ المتخصص عند الحاجة. وبيّنت نتائج المبحث كذلك أن تنظيم النوم المبكر في الثلث الأول من الليل يمثل قاعدة

وقائية ذات أثر مباشر في الاستقرار الانفعالي وصفاء الذهن وخفض مستويات التوتر، وأن مخالفة ذلك بالسهر المفرط يفضي إلى إنهاكٍ نفسي واضطراب في الإيقاع اليومي بما ينعكس على المزاج والسلوك. وفي سياقِ البناء الروحي المساند للصحة النفسية، ظهر قيام الليل بوصفه عبادةً تتجاوز جانبها التعبدي إلى أثرٍ نفسي عملي يتمثل في التفريغ الانفعالي وتثبيت الأمل وتعزيز الصبر والمرونة النفسية، بما يسهمُ في تقوية المناعة النفسية؛ إذا مورِس باعتدال بعيدًا عن الإفراط المُرهِق. واعتبارِ الزواج حاملاً لدلالة وقائية وتربوية واضحة؛ إذ يوفّر إطارًا للدعم العاطفي والأمان النفسي ويحدُّ من الوحدةِ والاضطرابِ، ويُرسِّخ بيئة اجتماعية، تُعين على السكينة وتزكية النفس وضبط السلوك. وبذلكَ نخلصُ إلى أن دلائل الإعجاز في الصحة النفسية تتجلى في منهجٍ نبويٍّ متكامل يجمع بينَ بناء المعنى الإيماني وترشيد نمط الحياة وتهذيب الانفعال، بما يحقق مقاصد الشريعة في حفظ النفس والعقل ويؤسس لصناعة الإنسان السويّ المتوازن.

المبحث الثاني

دلائل الإعجاز العلمي في الصحة الجسدية

لم يقتصر هدي القرآن والسنة على تزكية الروح وإصلاح السلوك، بل امتدّ إلى حفظ البدن ورعايته بما يحقق مقصدَ حفظِ النفس ويصونُ الإنسان من أسباب الهلاك والمرض. ويعرض هذا المبحثُ جُمْلَةً من الدلائل النبوية ذات الصلة بالصحةِ الجسديةِ؛ كالصيامِ والزواجِ وآداب النوم والغذاء، وبيانِ ما تكشفُهُ الدراساتُ الطبيةُ الحديثةُ من حكمٍ وفوائد تؤكد دلائل الإعجاز الصحي في التشريع الإسلامي، قائمة الاهتمام بصة الجسد كامِلا فعنِ النعمان بن بشير- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "إذا اشْتَكَى عُضْوًا تَداعَى له سائِرُ جَسَدِهِ بالسَّهَرِ والحُمَّى" (البخاري، برقم: (6011)، فإذا تألَّم من جهة عضو، امتنع عنه النوم بالليل (شرح المصابيح لابن الملك، 5/ 291؛ لسان العرب، 4 /83). وَقَدْ كَشَفَتِ الأبحاث العلمية حقائق عن تفاعل الجسم البشري عندَ مواجهةِ المخاطر كالإصابة بجرح أو مرض، وتَمَّ اكتشافُ الخطوط الدفاعية، والاستجابات الوظيفية التي تحدثُ بالجسمِ حال إصابة عضو من أعضائه بالمرض أو بالجروح، وتلكَ الاستجابات تتناسب مع درجة معاناة العضو تناسبا طرديا؛ فبقدر ما تكونُ شدة إصابة العضو يكونُ توجيه طاقات الجسم ووظائفه؛ لمنع استفحال المرض، ولتحقيق الشفاء التام، ففيْ حالةِ إصابة عضو مثلا، تدعو مراكز في المخ الغدة النخامية لإفراز هرموني يدعو باقي الغدد الصماء لتفرز موادَّ تحفز وتدعو جميع أعضاء الجسم لتوجيه وظائفها لنجدة العضو المشتكي، وتتداعى أعضاء الجسد بأن تتوجه بطاقتها لخدمة العضو المشتكي . فالقلب مثلا يسرع نبضاته لكي يزداد ضخ الدم وتدويره وذلك لتأمين وصوله للعضو المصاب، في الوقت الذي تنقبض فيه الأوعية الدموية بالأجزاء الخاملة من الجسم، وتتسع الأوعية الدموية المحيطة بالعضو المصاب؛ لكي تحمل له ما يحتاجه من طاقة، وأوكسجين، وأجسام مضادة، وهرمونات، وأحماض أمينية بناءة، ويُصَاحِبُ هذه العملية تهدمُ مخزونَ الدهن؛ لكي يعطي من نفسه

لمصلحة العضو المصاب ما يحتاجه إلى أن تتم السيطرة على المرض، ويتم التئام الأنسجة، ثم بعد ذلك يعود الجسم لبناء نفسه، والإشارات المنبعثة من الجرح تمثل شكوى واستغاثة حقيقية تدعو إلى استنفار عام، فتنطلق نبضات عصبية من مكان الإصابة إلى الدماغ؛ حيث مراكز الإحساس والتحكم غير الإرادي، وتنبعثُ مواد كيماوية مع أول قطرة دم تنزف، أو نسيج يتهتك، وهكذا نلاحظ استجابة كافة أعضاء الجسم كل على حسب تخصصه، والمحصِّلة هي: توجيه طاقة الجسم البشري ووظائف أعضائه لخدمة ذلك العضو المصاب، فالإحساس بالألم يحدث بانبعاث إشارات من النهايات العصبية في موضع الجرح ليمر في المسارات العصبية إلى مركز الاحساس بالمخ، ومنها تنطلق الانعكاسات والإشارات من مراكز المهاد (Thalamus) ، وإلى النظام الساقي (System Linbic) الذي يوزع الإشارات إلى مراكز التكوين الشبكي (Reticular Formation) وإلى مراكز ما تحت المهاد (Hypothamus) ، ويتم إفراز مادتي (الأندروفين والانكفالين) في داخل الجهاز العصبي وفي مناطق مختلفة، وكذا في النخاع الشوكي كاستجابة للإحساس بالألم والإصابة ، فالجهاز العصبي

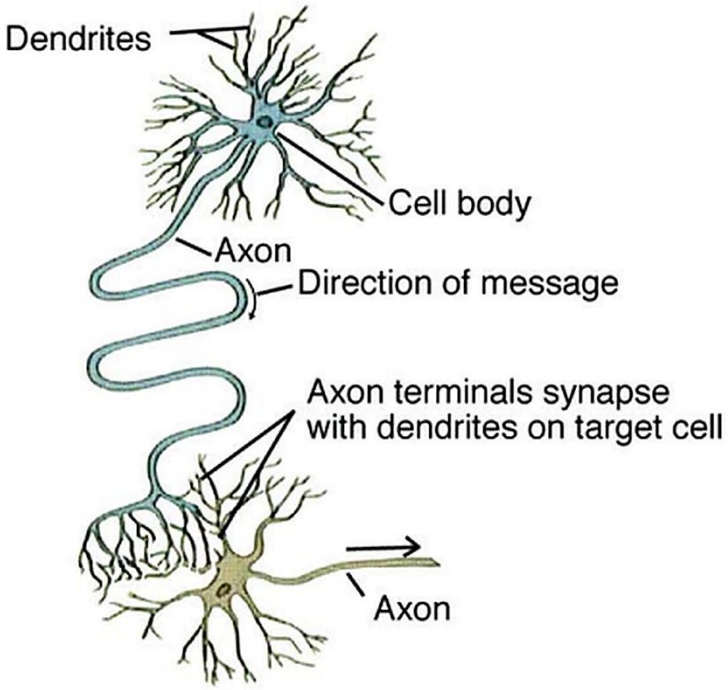

الودي، وتعني: المتواد والمتعاطف والمتراحم، وهو عين ما أرشد إليه خاتم النبيين- صلى الله عليه وسلم- في الحديث بما يجب أن يكون عليه حال المؤمنين من تواد وتعاطف وتراحم بضرب المثل بالجسد الواحد عندما يشتكي عضوٌ من أعضائه، فبينَ أنه يتداعَى كلُّه من أجل ذلك العضو، ولن نجد أدق من كلمة (تداعى) لوصف ما يحدث في الجسم حيال شكوى أحد الأعضاء (ماهر

سالم، تداعي الجسد عند الإصابة بالمرض، 2006؛ (Soma, P. C., & Taylor, C. R. 2005).، وعليه؛ يتبيّن أن هدي القرآن والسنة قد أسّس لمنظومةٍ متكاملةٍ في رعاية الإنسان، تجمع بين تزكية الروح وحفظ البدن، وتُحقّق مقصد حفظ النفس في أوسع معانيه: وقايةً وعلاجًا وتوازُنًا وظيفيًّا، ودلائل الإعجاز الصحي في السنة النبوية لترسم صورةً علميةً دقيقةً لاستنفارٍ شاملٍ تتكامل فيه الإشارات العصبية والوسائط الكيميائية والتغيّرات الوعائية والهرمونية لصالح العضو المشتكي، بما يؤكد سبق البيان النبوي في تصوير التساند العضوي والوظيفي داخل الجسد؛ لحماية الحياة الإنسانية وصيانة الصحة الجسدية، وأن ما تكشفه العلوم الطبية الحديثة يزيد دلائل الإعجاز في الهدي النبوي وضوحًا في حكمتها، ويُبرز وجهاً من وجوه الإعجاز الصحي الذي يربط بين الهداية الإيمانية والسنن الكونية في إطارٍ واحدٍ متوازن.

أولا: دلائل الإعجاز العلمي في الصيام:

الصيام عبادةً جامعةً بين مقاصد التزكية الروحية ومقاصد الحفظ البدني ، مصالح الإنسان الكلية في دينه ونفسه وعقله وسلوكه، وتتجلى دلائل الإعجاز العلمي في الصيام من خلال قدرة الصيام على تفعيل آليات دفاعية وعلاجية داخل الخلايا البشرية، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ

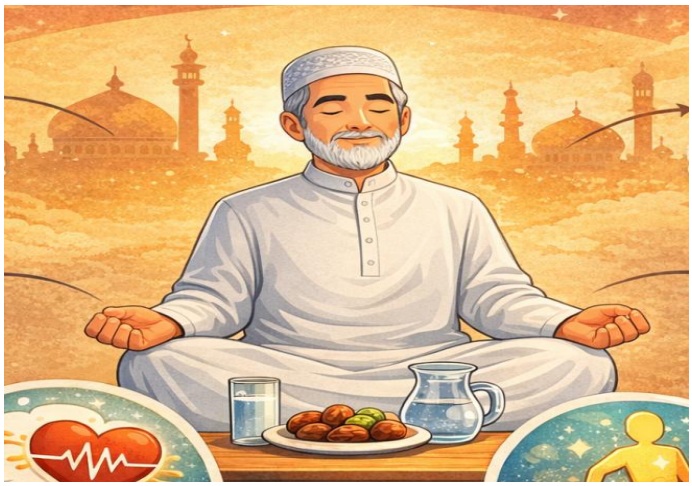

وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة :183-185]. فالصيام هو الإمساك عن المفطرات مع اقتران النية به من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وتمامه وكماله باجتناب المحظورات وعدم الوقوع في المحرمات (تفسير القرطبي ، 2/ 273)، وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال -صلى الله عليه وسلم-: "اغْزُوا تَغْنَمُوا، وصوموا تَصِحُّوا، وسافِروا تَسْتَغْنُوا" (الطبراني في الأوسط ، برقم: 8312) ، وعن عبد الله بن عباس- رضي الله عنه- قال: قال- صلى الله عليه وسلم-: "سافِروا تصحُّوا وصوموا تصحُّوا واغزوا تَغْنَمُوا" (ابن عدي في الكامل في الضعفاء، (57/7)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 1066/7)، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه ، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ» (سنن النسائي، برقم: 2222، وصححه الألباني). عن أبي ذر- رضي الله عنه-: "مَن صامَ من كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيَّامٍ فذلِكَ صيامُ الدَّهرِ فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ تصديقَ ذلِكَ في كتابِهِ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا الْيَوْمُ بِعَشَرةِ أيَّامٍ" (الترمذي، برقم: 762، صحيح الترغيب، برقم: 1035). ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي رواه أبي أيوب الأنصاري: "مَن صام رمَضانَ وأتبَعه بسِتٍّ مِن شوَّالٍ فذلك صومُ الدَّهرِ" (مسلم، برقم: 1164). فَلِصِّيَام فوائد وقائية من كثير من الأمراض فهو يقوي الجهاز المناعي؛ يؤدي الصيام إلى قلة كبيرة في الخلايا البيضاء وخاصة الخلايا اللمفاوية والخلايا العدلة (نويتروفيليم neutrophiles)؛ لأن الجسم خلال فترة الصيام يبدأ باستهلاك الخلايا التالفة منها؛ لغرض تدوير محتوياتها في تكوين خلايا بيضاء جديدة نشطة. وبعد فترة الصيام يعادُ تكوين المناعة من خلال تنشيط وإعادة نمو (Regeneration) الخلايا الجذعية ((Stem Cells الخاصة بتكوين خلايا دم بيضاء نشطة جديدة؛ حيثُ لوحظ بأن هناك زيادة في نشاط كريات الدم البيضاء، وبالذات وظيفتها في القابلية على التهام الجراثيم (Phagocytosis). أي تحسن نوعي وليس كميًا للخلايا البيضاء (Lahdimawan et al., 2014؛ Latifynia et al., 2009؛ Cheng et al., 2014؛ Nasiri et al., 2017؛ Brandhorst et al., 2015).) ، والوقاية من مرض السمنة وأخطارها؛ حيث إنه من المعتقد أن السمنة، كما قد تنتج عن خلل في تمثيل الغذاء، فقد تتسبب عن ضغوط بيئية أو نفسية أو اجتماعية، وقد تتظافر هذه

العوامل جميعاً في حدوثها، وقد يؤدي الاضطراب النفسي إلى خلل في التمثيل الغذائي، وكل هذه العوامل التي تنتج عنها السمنة، يمكن الوقاية منها بالصوم من خلال الاستقرار النفسي والعقلي الذي يتحقق بالصوم، وبالتالي يقي الجسم من أخطار أمراض السمنة: كالأمراض القلبية الوعائية، مثل قصور القلب، والسكتة القلبية وانسداد الشرايين المحيطة بالقلب، ومرض تصلب الشرايين. ويقي الصيام الجسم من تكوّن حصيات الكلى، إذ يرفع معدل الصوديوم في الدم، فيمنع تبلور أملاح الكالسيوم، كما أن زيادة مادة البولينا في البول تساعد في عدم ترسب أملاح البول، التي تكوّن حصيات المسالك البولية، ولكن نقص تناول السوائل قد يكون سبباً في تكون الحصى في الكلى. ويقي الصيام الجسم من أخطار السموم المتراكمة في خلاياه، وبين أنسجته، من جراء تناول الأطعمة، خصوصاً المحفوظة والمصنعة، وتناول الأدوية، واستنشاق الهواء الملوث بهذه السموم. ويخفف الصيام ويهدئ ثورة الغريزة الجنسية، خُصُوْصاً لدى الشَّبَابِ، وبذلكَ يقي الجسم من الاضطرابات النفسية والجسمية، والانحرافات السلوكية ، ويمثل الصيام نظاماً فريداً يجمع بين الهدم والبناء؛ حيث يمنح الجهاز الهضمي راحة فسيولوجية، تتيح للأمعاء القيام بعملية التنظيف الذاتي وتعمل على حرق الدهون، يبرز الأثر الوقائي للصيام في الحد من تكوين حصوات الكلى عبر رفع معدل الصوديوم وزيادة البولينا في البول مما يمنع تبلور الأملاح، إضافة إلى دوره في ضبط الغريزة الجنسية من خلال الخفض المؤقت لمستوى هرمون "التستوستيرون" (Testosterone)، ويحسن سرعةَ نبضاتِ القَلْبِ وهو ما يفسرُ الإعجازَ النبوي في وصفِ الصيامِ كوجاءٍ ووقايةٍ للشبابِ (عبد الجواد الصاوي، الصيام معجزة علمية ،2015) ، كما قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: "يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فإنَّه أغَضُّ لِلْبَصَرِ وأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، ومَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ فإنَّه له وِجَاءٌ" (البخاري ، برقم: 1772)، والسبب في أهمية الصيام بأنه باعتباره انتقالاً منظَّماً في مصادر الطاقة من الغليكوجين إلى الدهونِ ثم إلى البروتين، مع ما يصاحبُ ذلك من اقتصادٍ في الطاقةِ وإراحة نسبية للجهازِ الهضمي وتخفيف العبء الدوراني أثناء فترة الامتناع عن الطعام، و البعد العلاجي الوقائي الذي يرى في الصوم تدخلاً يحدُّ من فرط التغذية ويُحسِّن من مؤشرات الدهون

وحمض البول والسكر، ويُستخدمُ في حالاتِ السمنة والاضطرابات وبعض أمراض الدورة الدموية، كما يربطُ النص بين الصوم والأثر (النفسي-السلوكي)؛ كتهذيبِ الدافعيةِ، وضبط الشهوات، وتهدئة التوتر (محمد الجوير، 2007). ويعالجُ الصِّيَامَ عدداً من الأمراض الخطيرة، أهمها: الأمراض الناتجة عن السمنة، وبعضُ أمراضِ الدورة الدموية الطرفية، مثل مرض التهاب المفاصل المزمن (الروماتويد)، وارتفاع حموضة المعدة وغيرها وأثبتت العديد من البحوث بأن الصيام يحسن دهون الدم وكذلك الاستجابة للالتهابات من خلال العمل على تغيير في صياغة الجينات المسؤولة عن الاستجابة للالتهابات (Varady et al. The American Journal of Clinical Nutrition. 2007)، وذلك عن طريق تكوين جسيمات بروتينية خاصة سميت الجسيمات الملتهمة ذاتياً (autophagisomes)، الصيامُ آليةً وقائية وعلاجية شاملة؛ يساعد الجسم على تنظيفِ خلاياه عبرَ استهلاكِ الخلايا الضعيفة وتجديد الأنسجة، بما قد يحدُّ من بدايات تكوّن بعض الزوائد والرواسب ويُسهم في الوقاية من الأورام، كما يربط بين الصيام وتحسّن التمثيل الغذائي عبر خفض سكر الدم وإراحة البنكرياس، وتقليل التخمة والوزن بشرط الاعتدال في الإفطار، وله أثره في بعض الاضطرابات الجلدية بتقليل الالتهاب وتحسّن مقاومة الجلد للميكروبات، وفي النقرس عبر خفض المدخول الغذائي وتقليل ترسّب حمض اليوريك، وله دور في تقليل الدهون والكوليسترول بما ينعكس على الوقاية من تصلّب الشرايين وجلطات القلب والمخ، وتتحسّن آلام المفاصل مع الصيام المتتابع، ويحسن الوزن والضغط والسكر والأنسولين، بما يعزز فكرة أن ضبط الغذاء يدعم الصحة العامة ويؤخر مظاهر التدهور المرتبط بالعمر (وجدي سواحل ، إسلام أون لاين/28-11-2000)، ويغدو الصيام مثالًا بارزًا على الإعجاز الصحي في التشريع الإسلامي، فهو يصلح القلبَ ويحصِّن الجسدَ، بما يدعم شمولية الهداية القرآنية والسنة النبوية في حفظِ الإنسانِ ورعايتِهِ كَكلٍّ واحد.

ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي بالتداوي بالحجامة:

الحجامة من أبرز صور التداوي الواردة في السنة النبوية، وقد اكتسبت مكانتها من اجتماع النص الشرعي والاعتبار المقاصدي؛ إذ يندرج إقرارها والحثّ عليها ضمن مقصد حفظ النفس ورعاية البدن بالأسباب المشروعة، باعتبارها إخراجًا للدم لإحداثها تأثيرًا على الأنسجة والدورة الدموية، فعن أنس بن مالك: أنَّه سُئِلَ عن أجْرِ الحَجَّامِ، فَقَالَ: "احْتَجَمَ رَسولُ اللَّهِ- صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- حَجَمَهُ أبو طَيْبَةَ، وأَعْطَاهُ صَاعَيْنِ مِن طَعَامٍ، وكَلَّمَ مَوَالِيَهُ فَخَفَّفُوا عنْه، وقَالَ: إنَّ أمْثَلَ ما تَدَاوَيْتُمْ به الحِجَامَةُ والقُسْطُ البَحْرِيُّ" (البخاري، برقم: 5696)، وعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم - يقول: "إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ - أَوْ: يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ - خَيْرٌ، فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ" (البخاري، برقم: 5683)، خير أو أفضل ما تداويتم (الكاشف عن حقائق السنن، 9/ **2957**). وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم -قال: «مَنْ أَرَادَ الْحِجَامَةَ، فَلْيَتَحَرَّ سَبْعَةَ عَشَرَ، أَوْ تِسْعَةَ عَشَرَ، أَوْ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، وَلَا يَتَبَيَّغْ بِأَحَدِكُمُ الدَّمُ فَيَقْتُلَهُ» (ابن ماجة في سننه، برقم: 3486، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة، برقم: 2808)، فالحجامة هي المداواة والمعالجة بالمِحجم. والمِحجم آلةُ الحجم، وهي شيء كالكأس يفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث فيها تهيُّجاً ويجذب الدم (التعريفات الفقهية، ص: 76)، والحجامة على الأخدعين تنفع من أمراض الرأس وأجزائه كالوجه والأسنان والأذنين والعينين والأنف إذا كان حدوث ذلك من كثرة الدم أو فساده أو منهما جميعا (عون المعبود وحاشية ابن القيم ، 10/ 243) والمقصود إخراج الدم على الوجه النافع؟ ومعلوم أن التأسي هو المشروع فإذا كان البلد حارا يخرج فيه الدم إلى الجلد، كانت الحجامة هي المصلحة

وإن كان البلد باردا يغور فيه الدم إلى العروق كان إخراجه بالفصدِ هو المصلحة مجموع الفتاوى (22/ 325)، والحجامةُ وسيلةٌ علاجيةٌ آمنةٌ وسهلةٌ وقليلة الكلفة، تُسهم في تخفيف الآلام وتنشيط الوظائف الحيوية، شريطة الالتزام بضوابطها الطبية؛ وأهمُّها: تعقيم الأدوات منعًا لتلوث الدم، واختيار الموضع المناسب، وعدم المبالغة في التشريط والاكتفاء بجروحٍ سطحيةٍ دقيقة لتجنب النزف أو فقدان كمية إضافية من الدم. وعمل الحجامة على تنشيط المناعة وتنشيط الدورة الدموية والكبد والطحال والمعدة وتساعد في خفض التشنجات العضلية وآلام الظهر والرقبة وبعض الآلام العصبية، فضلًا عن إفادتها المحتملة في الصداع النصفي عبر تحسين تدفق الدم، (عبد الجواد الصاوي، مجلة الإعجاز العلمي، العدد: " 11 " شوال 1422هـ)، فَالْحِجَامةُ تُسكِّنُ الألم بكافة أشكاله وتحسّن سريان الدم وتخفّف ركوده، بما ينعكسُ على عدد من الأجهزة؛ ففي الطحال يُعزى تضخّمه إلى زيادة العبء المناعي والترشيحي والتعامل مع السميات والشوائب، أو إلى ارتفاع الضغط في الدورة البابية، أو إلى تراكم كميات من الكريات الحمراء الهرمة وظهورُ بعضِ الخلايا الشَّاذَة، وتقليل العبء الواقع على الكبد، الأمر الذي ينعكس تبعًا لذلكَ على الطحالِ بتخفيفِ التضخمِ وتقليل تراكم الكريات الهرمة. وفي الكبدِ يُشار إلى أن التَّخَلُّصَ مِنْ جُزْءٍ من الكرياتِ الْحَمْرَاء الهرمة وتحسين جريان الدم، قد ينشِّطَان التروية الواصلة إليه ويخففان من ثقلِ الدورة الدموية المحمَّلة بالشوائب، بما يتيح للكبد فرصة أفضل للتوازن الذاتي واستعادة نشاطه الوظيفي، مع تقارير تتحدث عن تحسن بعض المؤشرات الاستقلابية مثل انخفاض الدهون الثلاثية والكوليسترول وزيادة كفاءة احتراق الجلوكوز بما يساعد على خفضِ سكر الدم لدى بعض مرضى السكري. أمَّا المعدةُ والأمعاءُ فإن ركود الدم في أوعيتهما قد يهيّئ لنقص التروية وما يتبعه من التهابات وتقرحات، ومن ثم تُعرضُ الحجامةُ بوصفها وسيلة لتنشيط الدورة الدموية، وتحسين الإمداد الدموي للأغشيةِ المبطنةِ لجدار المعدة، بما يدعَمُ التئامَ القرح وتخفيفِ الالتهابِ. وعلى مستوى الجهازِ العَصَبَي يُذكرُ أنَّ التأثير على النهايات العصبية في الظهر لقربها من الجهاز العصبي المركزي قد ينعكس أيضًا على الجهاز العصبي اللاإرادي، وهو ما يُستشهد به لتفسير تحسن بعض الأعراض المزمنة مثل الصداع

المزمن والإرهاق غير المفسر والكتف المتجمد والدوخة، وكذلك بعض الحالات كارتفاع الضغط والروماتيزم والتهاب الأعصاب. (هاني غزاوي، الحجامة، https://www.eajaz.org) . وتُذكر المراجع البحثية أن الحجامة تفيد في عدد من الحالات؛ من أبرزها شَلَلُ العصب الوجهي، والسعال وضيق النفس، وحبُّ الشباب، إضافةً إلى ارتفاع ضغط الدم؛ إذ وثّقت دراسةٌ في السعودية عام 2015م انخفاضًا طفيفًا ذا دلالة (نحو 8 ملم زئبق) عند استخدامها مع الأدوية الخافضة للضغط مقارنةً بعدم استخدامها. كما تُشار إلى فائدتها المحتملة في الآلام الروماتيزمية المزمنة، والصداع المزمن المرتبط بارتفاع الضغط، والشقيقة، والبواسير، والإكزيما الحادة والمزمنة وبعض الأمراض الجلدية، وأمراض الصدر والقصبات، وآلام المرارة والأمعاء والخصية، فضلًا عن بعض اضطرابات النساء مثل انقطاع الطمث الأولي والثانوي، وكذلك هبوط القلب المصحوب بارتشاح رئوي (Lee et al. 2010، Luo et al. 2013، Aleyeidi et al. 2015، AlJaouni et al. 2017.)، وعليه فالحجامة تمثل مثالًا واضحًا لامتداد الهدي النبوي إلى مجال الطب الوقائي والعلاجي ضمنَ مقصد حفظ النفس؛ إذ توافقت التوجيهات النبوية في إقرار الحجامة والحث عليها مع ما رصدته الدراسات الحديثة من إمكاناتها بوصفها علاجًا تكميليًا في عدد من الحالات، وفي مقدمتها تسكين الألم بأنواعه، وبعض اضطرابات الجهاز العصبي والالتهابي، وأعراض التهابات الجهاز التنفسي، وبعض المشكلات الجلدية، إضافة إلى حالات مرتبطة بالدورة الدموية كارتفاع ضغط الدم والصداع المصاحب له. كما يظهر وجه الإعجاز في أن السنة لم تكتفِ بتقرير مشروعية التداوي، بل أرست قواعد عامة سبقت كثيرًا من المفاهيم الطبية الحديثة؛ مثل عمومية مبدأ لكل داء دواء، وضرورة الأخذ بالأسباب، وتعدد الوسائل العلاجية، مع توجيه عمليٍّ بتطبيق النبي -صلى الله عليه وسلم- للحجامة وإرشاده إليها وضبطها بما يحقق النفع ويدرأ الضرر. وبذلك تتأكد خلاصة المبحث: أن ما صحّ من التوجيه النبوي في شأن الحجامة لا يمكنُ فهمُهُ بمعزل عن الوحي والهداية، بل يظهر فيه توافقٌ لافتٌ بين البيان الشرعي والنتائج العلمية، بما يدعم دلائل الإعجاز العلمي في السنة النبوية في رعاية صحة الإنسان وتكميل مصالحه.

ثالثا: دلائل الإعجاز العلمي في الاكتحال بالإثمد:

يحظى الإثمد بمكانةٍ لافتة في الطبّ النبوي بوصفه كحلًا يُفيدُ العينَ؛ إذ كشفت تحاليل مخبرية لعيناتٍ مستحضرات من الكحل لها تأثير مضاد للميكروبات ووقائية العين وصيانتها (Al-Kaff, A., Al-Rajhi, A., Tabbara, K., & El-Yazigi, A. (1993). فعن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -قال: «إِنَّ مِنْ خَيْرِ أَكْحَالِكُمُ الْإِثْمِدَ إِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ، وَيُنْبِتُ الشَّعَرَ» سنن النسائي ، برقم: 5113، وصححه الألباني) ، قال ابن حجر: "والإثمد حجر معروف أسود يضرب إلى الحمرة يكون في بلاد الحجاز وأجوده ما يؤتى به من أصفهان، وفي هذه الأحاديث استحباب الكحل بالإثمد، للرجال والنساء" (فتح الباري لابن حجر (10/ 158)، وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم-: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -كَانَ يَكْتَحِلُ فِي عَيْنِهِ الْيُمْنَى ثَلاثًا، وَفِي الْيُسْرَى اثْنَتَيْنِ بِالإِثْمِدِ» (شرح السنة للبغوي، برقم: 3205، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم: 633)، وروى الترمذي أن النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- كانت له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة في هذِه وثلاثة في هذِه ، ففيه حفظ لصحة العين، وتقوية للنور الباصر، وجلاء لها، وتلطيف للمادة الرديئة وينبت الشعر، و ينبت الهدب، ويحسن العيون، ويحبب إلى القلوب (شرح سنن أبي داود لابن رسلان ، 15/ 597) وهو ينفع القروح وَيذْهب باللحوم ويحفظ صِحَة الْعين وَيذْهب وسخ قروحها(القانون في الطب ، 1/ 356). وقال العلامة البغدادي: الإثمد ينبت الهدب ويحسن العيون ويحببها إلى القلوب ولا يوافق الرمد الحار، وأكحال العين لا سيما للمشايخ والذين قد ضعفت أبصارهم إذا جعل فيه شيئا من المسك؛ فهو جلاء البصر بتأثيره على زمر جرثومية متعددة وبذلك يحفظ العين وصحتها، إذ إن آفات العين

التهابية جرثومية وعندما تسلم الملتحمة من الاحتقان يمكن أن يكون البصر جيداً. ويقول إن إنباته للشعر ثابت علمياً، إذ إن من خصائص الإثمد الدوائية تأثيره على البشرة والأدمة فينبه جذر الشعرة ويكون عاملاً في نموها، لذا يستعملون مركبا (طرطرات الإثمد والبوتاسيوم) لمعالجة بعض السعفات والصلع، وتطبق على شكل مرهم، وهذه الفائدة في إنبات الشعر تنفع العين أيضاً لأنها تساعد على نمو الأهداب التي تحفظ العين وتزيد في جمالها. (حسن هويدي، المجلد 11 العدد 5 لعام 1970؛ محمود ناظم النسيمي، 1991) . فقد فضل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كحل الإثمد لأنه يقوي بصيلاتِ أهدابِ العين فيحفظ الرموش فتطول أكثر، وبذلك تزداد قدرتها في حفظ العين من أشعة الشمس وفي تصفية الغبار والأوساخ، فتزيد الرؤيا وضوحاً وجلاء أكثر منها في استعمال الأكحال الخالية من الإثمد. فمن المعجزة الصحية حث النبي- صلى الله عليه وسلم- أمته على استخدام كحل الإثمد، ومن خصاص هذا المستحضر الفعال هو توازن تركيبته ونسبة كل مادة فيه؛ بحيث أن كل مادة تكمل المادة الأخرى في الوصول للمفعول المطلوب في تنشيط بصيلات الشعر الضعيفة، وإعادة دورة نمو الشعرة إلى طبيعتها.

رابعا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن الغضب:

الغضب من أقوى الانفعالات الإنسانية أثرًا في السلوك والصحة والعلاقات، وهو وإن كان أمرًا جبليًّا لا يُستأصل من أصل الفطرة، ويعتبر الغضب من أخطر الانفعالات النفسية التي تصيب الإنسان، يؤدي إلى اضطراب التوازن وجاءت التشريعات لتقويمه وتهذيبه ومنع انفلاته؛ بمنظور وقائي شامل يجمع بين تهذيب النفس وحماية البدن، ويُقدّم نموذجًا عمليًا في المعرفة الطبية حفظًا للنفس والعقل، قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]، وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- : " مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وهوَ قادِرٌ على أنْ يُنْفِذَهُ؛ دعاهُ اللهُ سبحانَهُ على رُؤوسِ الخَلائِقِ يومَ القيامةِ حتى يُخَيِّرَهُ مِن الحُورِ العِينِ ما شاءَ" (أبو داود ، برقم : 4777، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم: 2753)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: مُرْنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: لاَ تَغْضَبْ، قَالَ: فَمَرَّ، أَوْ فَذَهَبَ، ثُمَّ رَجَعَ، قَالَ: مُرْنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: لاَ تَغْضَبْ، قَالَ: فَرَدَّدَ مِرَارًا، كُلَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ فَيَقُولُ: لاَ تَغْضَبْ. وفي رواية: أَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم -رَجُلٌ، فَقَالَ: مُرْنِي بِأَمْرٍ وَلاَ تُكْثِرْ عَلَيَّ حَتَّى أَعْقِلَهُ، قَالَ: لاَ تَغْضَبْ، فَأَعَادَهُ عَلَيْهِ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ: لاَ تَغْضَبْ. وفي رِوَايَةٍ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم-: أَوْصِنِي، قَالَ: "لاَ تَغْضَبْ"، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: "لاَ تَغْضَبْ". قال الرجل ففكرت حين قال النبي -صلى الله عليه وسلم -ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله" (البُخاري، برقم: 6116) ، قال رسول- صلى الله عليه وسلم-: " وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ" (أحمد ، برقم: 2136، وصححه الألباني في صحيح الجامع ، برقم: 695)، وقال- صلى الله عليه وسلم-: "إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ" (أحمد، برقم: 21348 ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ، برقم: 694)، وقال- صلى الله عليه وسلم- في حق رجل غضب: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" (مسلم ، برقم: 2610) ، وقال- صلى الله عليه وسلم-: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ» (البخاري ، برقم: 6114)، وقال- صلى الله عليه وسلم-: "إِذَا غَضِبَ الرَّجُلُ فَقَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ سَكَنَ غَضَبُهُ" (الكامل في ضعفاء الرجال (6/ 451)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم 695). فالغضبُ يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق، ويترتب على الغضب تغير في الظاهر والباطن، كتغير اللون والرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن غير ترتيب، واستحالة الخلقة، وأما الباطن فقبحه أشد من الظاهر؛ لأنه يولد الحقد في القلب والحسد وإضمار السوء على اختلاف أنواعه، وله أثر في اللسان من الانطلاق في الشتم والفحش الذي يستحي منه العاقل، ويندم قائله عند سكون الغضب، كما يظهر أثره في الفعل بالضرب أو القتل (فتح الباري لابن حجر 10 / 520، 521). ، وقد أبدت دراسات حديثة أن الرجال سريعي

التوتر والغضب أكثر عرضة من نظرائهم للإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية ، ومتلازمة الشريان التاجي الحادة (ACS)، والسكتة الدماغية، واضطراب نظم القلب البطيني (Mostofsky, E., Penner, E. A., & Mittleman, M. A. 2014). كنتيجة للانطلاق المفرط لهرمون الأدرينالين والنور أدرينالين، وهي الهرمونات التي تنطلق في الدم استجابة للشدة والضغوط أو الصدمة، فتقبض الأوعية الدموية وتسرّع القلب وتحفزه على العمل بصورة أقوى؛ لتزويد الجسم بالدم، والغاضبون أكثر عرضة للإصابة بارتفاع ضغط الدم؛ مما يؤدي إلى النزف الدماغي. ومن الآثار الصحية السيئة للغضب على جسم الإنسان أن الغضب ممرض للجسم البشري مهدر لقواه؛ فَالْغَضبُ لَيْسَ مجرد حالة شعورية عابرة، بل هو هجوم كيميائي وظيفي يشنه الجسم على نفسه؛ إذ يضع القلب تحت إجهاد مفرط يجبره على تجاوز معدلات عمله الطبيعية، مما يمهد الطريق لارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين وفقدان مرونتها نتيجة تراكم الشحوم. ولا تتوقف المخاطر عند هذا الحد، بل قد تمتد لتشمل كوارث صحية مفاجئة كالجلطات المخية أو فقدان الإبصار نتيجة تضرر أوعية العين، ويتسبب الغضب في اضطرابات حادة ترفع مستويات السكر والدهون في الدم، مما يجعل الجسم عرضة للالتهابات الميكروبية وقرحة المعدة (العجرودي، الهدي النبوي في منع ومعالجة الغضب، 1432هـ) ، وأكد العلماء أن العديد من الاضطرابات النفسية تؤثر على الجسد، فالأمراض النفسية والضغوط الاجتماعية المزمنة تؤثر على مناعة الجسد ومقاومته للأمراض، وأن الضغوط النفسية قد تسهمُ في نشوء أمراض عضوية كالسكر والسرطان وأمراض القلب والجلطات، وغيرها من أمراض الغدد الصماء والاضطرابات الهرمونية والشيخوخة والهرم. حيث يقوم الجهاز العصبي بالتحكم في بعض وظائف الأعضاء في الجسم كضربات القلب وضغط الدم وعمليات الهضم وجهاز المناعة والغدد الصم وتتصل معها اتصالا مباشرا، وعندما يحدث أي خلل في عمل الجهاز العصبي بسبب الانفعالات النفسية سيؤدي إلى خلل في الأجهزة الأخرى مسببا الأمراض العضوية (حسن يوسف، 2007) ، كما يؤدي تأثير الاضطراب النفسي على جهاز المناعة؛ حَيْثُ تفرزُ الغُددُ الصَّماءُ هرمونات تزيد عن حاجة الجسم الطبيعي إليها أثناء الاضطراب النفسي، مثل (الأدرينالين) و(النورابنيفرين) من نخاع غدة

الأدرينال (جار الكلوية)، ويقومُ الإجهاد النفسي بصرفِ المدخرات التي كانت مخصصة لعمليات البناء في الجسم واستخدامها للدفاع عنه عند الحاجة؛ مما يؤدي إلى ضعف في مناعة الجسم. كما يزيد الضغط النفسي من نفوذية الشعيرات الدموية في المخ الذي يسمح بمرور الكثير من المواد الكيماوية إلى داخله مسبباً أعراضاً لا تحدث إلا بنفاذها مثل الصداع والغثيان والدوخة. والإجهاد المتكرر يسبب ارتفاع ضغط الدم، ومع الزمن يؤدي إلى زيادة سمك الشرايين التي تحمل الدم إلى النصف الأمامي من المخ، الأمر الذي قد يؤدي إلى حدوث الجلطة أو سكتة دماغيه. كما يؤدي تكرار حدوث الانفعالات النفسية غير السارّة إلى تعطيل وظائف جهاز الهضم مثل سوء الهضم وخلل في إفراز العصارة المعدية التي تعمل على تسهيل عملية الهضم، بل تؤدي أحيانا إلى تلف أنسجة الجسم كما هو الحال في القرحة الهضمية مثل قرحة المعدة وقرحة الاثني عشر والتهاب القولون (حسن يوسف، 2007)، والغضب المتكرر يؤدي إلى الإضرار بشرايين القلب واحتمال الإصابة بأزمات قلبية قاتلة، وخلل في جهاز المناعة، الذي سببه العلاقة بين الانفعال الحاد والغدد الحيوية في الجسم، التي تتقلص وتفرز عصارتها تحت تأثير أزمات نفسية خطيرة، لتتعرض المواد الفعالة المنطلقة من إحدى هذه الغدد للضعف الشديد؛ مما يؤدي إلى احتمال تحول الخلايا السليمة إلى خلايا سرطانية في غياب النشاط الطبيعي لجهاز المناعة (محمد كامل عبد الصمد، 2007)، فمن كان لديه اضطراب في نظم القلب فلا يغضب، فهرمون الأدرينالين يمارس تأثيره على القلب فيسرع القلب في دقاته، وقد يضطرب نظم القلب ويحيد عن طريقه السوي، ولهذا فإن الانفعال والغضب يسببان اضطراباً في ضربات القلب وكثيراً ما نشاهد من يشكو من الخفقان في القلب حينما يغضب أو ينفعل. ومن كان يشكو من ارتفاع في ضغط الدم فلا يغضب لأن الغضب يرفع مستوى هذين الهرمونين في الدم ممل يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم، والأطباء ينصحون المرضى المصابين بارتفاع ضغط الدم أن يتجنبوا الانفعالات والغضب. ومن كان مصاباً بمرض في شرايين القلب فلا يغضب لأنه يزيد من تقلُّص القلب وحركته، وقد يهيئ ذلك لحدوث أزمة في القلب، ومن كان مصاباً بالسكَّري فلا يغضب؛ فإن الأدرينالين يزيد من سُكّر الدم، وقد ثبت علمياً أن هذه الهرمونات تنخفض بالاستلقاء (طهماز، قبسات من الطب النبوي،

1997)، وارتفاع هرمون النور أدرينالين في الدم يؤدي إلى تسارع دقات القلب، وهذا ما يشعر به الإنسان حين الانفعال والذي يجهد القلب وينذر باختلاطات سيئة، فهو يعمل على رفع الضغط الدموي بتقبيضه للشرايين والأوردة الصغيرة، كما أن الارتفاع المفاجئ للضغط قد يسبب لصاحبه نزفاً دماغياً صاعقاً يؤدي إلى إصابة الغضبان بالفالج، وقد يصاب بالجلطة القلبية أو الموت المفاجئ، وقد يؤثر على أوعية العين الدموية فيسبب له العمى المفاجئ، وكلنا يسمع بتلك الحوادث المؤلمة التي تنتج عن لحظات غضب (البرشة، الغضب وأثره السيئ على البدن، 1996م) ، ويزداد أثناء ثورات الغضب إفراز الكورتيزون من قشرة الكظرية مما يؤدي إلى زيادة الدهون في الدم على حساب البروتين، ويحل الكورتيزون النسيج اللمفاوي مؤدياً إلى نقص المناعة وإمكانية حدوث التهابات جرثومية متعددة، وهذا ما يعلل ظهور التهاب اللوزات الحاد عقب الانفعال الشديد، كما يزيد الكورتيزول من حموضة المعدة وكمية الببسين فيها مما يهيئ للإصابة بقرحة المعدة أو حدوث هجمة حادة عند المصابين بها بعد حدوث غضب عارم. وقد أثبتت البحوث الطبية الحديثة وجود علاقة وثيقة بين الانفعالات النفسية ومنها الغضب وبين الإصابة بالسرطان، وأكدت الدراسات أن الأشخاص الذين يعانون من انفعالات نفسية مريرة بصورة مستمرة يموتون بالسرطان باحتمال نسبي أكبر، فالانفعالات النفسية تولد اضطراباً هرمونياً خطيراً في الغدد الصمَّاوية يؤدي إلى تأرجح في التوازن الهرموني بصورة دائمة، هذا التأرجح يساعد على ظهور البؤرة السرطانية في أحد أجهزة البدن (الراوي، موقف الإسلام من الإصابة السرطانية، 1966).

فمعالجة الغضب في الهدي النبوي منظومةٍ تربويةٍ وقائيةٍ تهدف إلى تقليل حِدّة الانفعال ومنع تحوّلها إلى سلوكٍ اندفاعي مؤذٍ للفرد والمجتمع؛ ضمن أفعال في السلوك الصحي؛ بالاستعاذة والاستجارة بالله تعالى ؛ بوصفها آليةً

لإيقاف التصعيد الداخلي وقطع سلسلة الأفكار المثيرة للغضب، والسكوت المؤقت لتقليل احتمال التفوّه بما يترتب عليه ضررٌ ديني أو أسري أو اجتماعي، إضافةً إلى تغيير الحالة الجسدية؛ بوصفه مدخلًا لضبط الإشارات الفسيولوجية المصاحبة للغضب، وإتاحة مساحةٍ زمنيةٍ قصيرة لاستعادة الاتزان قبل اتخاذ قرار أو إطلاق حكم، وتُظهر الخبرة السلوكية أن هذه الإجراءات تُسهم في خفض اندفاع السلوك، وتحسين القدرة على التنظيم الانفعالي، والحدُّ من النزاعات التي تُضعف الروابط الاجتماعية، ولإدارة الغضب ضمن حزمةٍ سلوكيةٍ معرفية، يلزم أولًا إيقاف الاستجابة الاندفاعية عبر التفكير قبل الكلام ومنح النفس وقتًا مناسبًا لتهدئة الانفعال، ثم تنظيم التعبير الانفعالي بإظهار المخاوف بهدوء وتحديد الاحتياجات بوضوح دون عدائية. كما يُسهم خفض الشحنة الفسيولوجية المصاحبة للغضب في استعادة التوازن من خلال النشاط البدني ومهارات الاسترخاء والتنفس العميق، إلى جانب حلّ المشكلات بصورة عملية عبر تحديد البدائل الممكنة والتركيز على حلول واقعية بدل الاستغراق في مسببات الانزعاج، ويُعدُّ الوعي بضرورة التريّث، وأخذ الاستراحة خلال فترات الضغط اليومي، من أهم أدوات الضبط الذاتي، وفي التعامل مع الآخرين ترك إلقاء اللوم عليهم ، والتعبير عن المطالب بما يعزز التفاهم ويحدُّ من التصعيد، واعتماد مبدأ التسامح كركيزةٍ وقائيةٍ تمنع تراكم الأحقاد وتُسهم في ترميم العلاقات واستمرار تماسكها (Mayo Clinic Staff, *Anger management: 10 tips to tame your temper, 2024*) والقوة الحقيقية في ملك النفس وقت الغضب تُخفِّف من التصعيد السلوكي، ويظلّ الغضب من أقوى الانفعالات الإنسانية أثرًا في السلوك والصحة والعلاقات؛ فهو انفعالٌ جِبِلّيٌّ لا يُستأصل من أصل الفطرة، غير أن خطورته تكمن في انفلاته واضطراب التوازن النفسي والبدني الذي قد يترتب عليه. ومن هنا جاءت التشريعات لتقويمه وتهذيبه بمنظورٍ وقائيٍّ شامل يجمع بين تزكية النفس وصيانة البدن، ويقدّم نموذجًا عمليًا في دلائل الإعجاز في الهدي النبوي والمعرفة الطبية في حفظ النفس والعقل، وبذلك يتأكد أن ضبط الغضب ليس فضيلةً أخلاقية فحسب، بل هو ضرورة صحية واجتماعية، وأن القوة الحقيقية

تتجلى في امتلاك النفس عند الاستثارة وتوجيه الانفعال إلى مسارٍ رشيد يحقق السلامة الفردية والاستقرار المجتمعي.

خامسا: دلائل الإعجاز العلمي في اعتزال النساء في المحيض:

اعتزال النساء في المحيض من التشريعات الإسلامية الوقائية التي تجمع بين مقصد الطهارة وصيانة النفس والنسل، إذ يقرّر النصّ أن مناط الحكم دفع الضرر، فالحيض؛ هو الدم الذي يسيل من أرحام المرأة جِبِلَّة في أوقات مخصوصة، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق : 4]. وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه-: أنَّ اليَهُودَ كَانُوا إذَا حَاضَتِ المَرْأَةُ فيهم لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، ولَمْ يُجَامِعُوهُنَّ في البُيُوتِ فَسَأَلَ أصْحَابُ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم -النبيَّ- صلى الله عليه وسلم- فأنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ قُلْ هو أذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ في المَحِيضِ﴾ [البقرة: 222] ، فالتطهر: الاغتسال، والطُهر: انقطاع دم الحيض (التفسير والمفسرون (1/ 335) ، فَقالَ رَسولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه

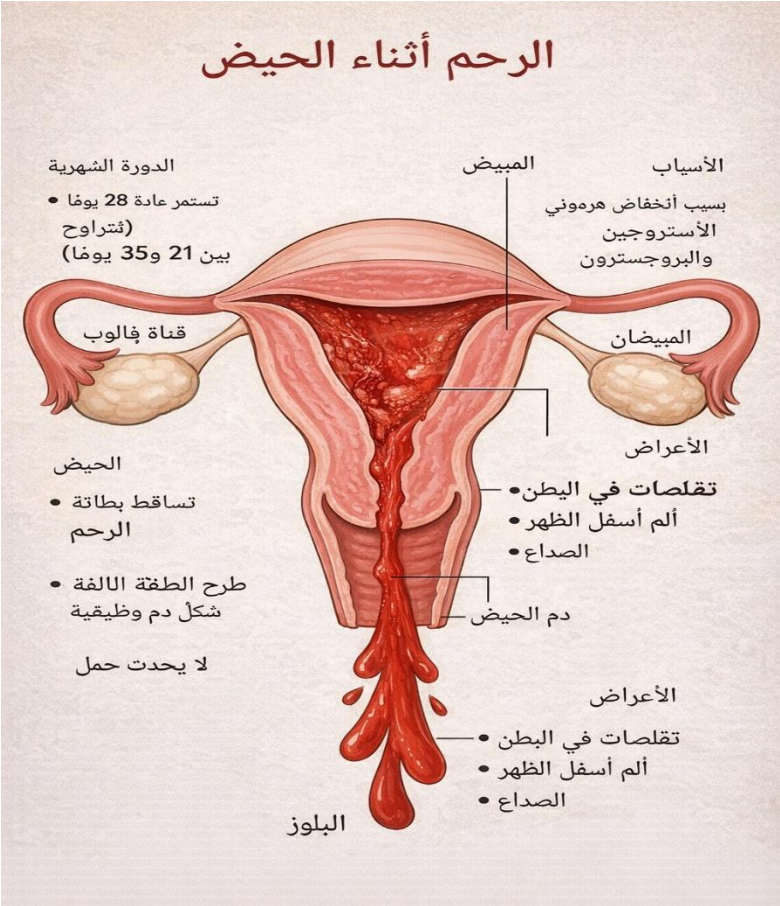

وسلَّمَ-: "اصْنَعُوا كُلَّ شيءٍ إلَّا النِّكَاحَ"، فَبَلَغَ ذلكَ اليَهُودَ، فَقالوا: ما يُرِيدُ هذا الرَّجُلُ أنْ يَدَعَ مِن أمْرِنَا شيئًا إلَّا خَالَفَنَا فِيهِ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، وعَبَّادُ بنُ بشْرٍ فَقالَا: يا رَسولَ اللهِ، إنَّ اليَهُودَ تَقُولُ: كَذَا وكَذَا، فلا نُجَامِعُهُنَّ؟ فَتَغَيَّرَ وجْهُ رَسولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم -حتَّى ظَنَنَّا أنْ قدْ وجَدَ عليهِمَا، فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُما هَدِيَّةٌ مِن لَبَنٍ إلى النبيِّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ- فأرْسَلَ في آثَارِهِما فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفَا أنْ لَمْ يَجِدْ عليهِمَا (مسلم، برقم: (302) وأصل الحيض السيلان يقال حاض الوادي أي اسال يسمى حيضا لسيلانه في أوقاته، وهو دم يرخيه رحم المرأة بعد بلوغها في أوقات معتادة ودم الحيض يخرج من قعر الرحم ويكون أسود محتدما أي حارا كأنه محترق (المجموع شرح المهذب ، 2/ 342)، ففي أيام الحيض الوسط المهبلي يكون غالبًا حامضيًّا (pH أقل من 4.5) بما يحدّ من نمو الجراثيم ويُضعف المنويات، مع وجود سدادة مخاطية بعنق الرحم تمنع صعود الميكروبات. لكن في منتصف الدورة تتغير الإفرازات لتصبح أكثر قلوية ويصبح عنق الرحم أكثر انفتاحًا لتسهيل مرور المنويات، وكذلك أثناء نزول الحيض يميل الوسط إلى القلوية ويُفتح عنق الرحم لخروج الدم. وفي هذه المرحلة القلوية ينشط تكاثر بعض الجراثيم، ما يجعل الجماع أثناء الحيض أكثر قابلية لدفع الميكروبات إلى الرحم وقناتي فالوب مُسببًا التهابات قد تنتهي بالعقم أو الحمل خارج الرحم، وقد تنتقل العدوى أيضًا إلى الجهاز البولي والتناسلي للرجل محدثة التهابات

مزمنة قد تؤثر في الخصوبة. كما يذكر النص أن الجماع وقت الحيض لا ينتج حملًا عادةً لعدم حدوث الإباضة، وقد يرتبط بزيادة الألم عبر ارتفاع البروستاغلاندينات، مع احتمال زيادة المخاطر على عنق الرحم.

كذلك في وقت نزول الدورة الشهرية يتغير الوسط المهبلي إلى القاعدية، وتفتح بوابة عنق الرحم؛ لكي ينساب الطمث إلى الخارج (سميحة مراد، الإعجاز العلمي في آية المحيض، بحوث المؤتمر العالمي السابع، المجلد الأول؛ Corbishley, 1977؛ Cavallo, 1987؛ Eschenbach et al., 2000؛ Li et al., 2012) ، فالنهي عن إتيان النساء في المحيض جاء في سياقٍ لم تكن فيه المخاطر الطبية لهذه الممارسة معروفة، وكان أقصى ما يدركه الناس هو نفور الفطرة منها واستقذاره ، ومع تطور الطب اتضح أن الجماع زمن الحيض قد يوقع المرأة في أذى صحي يتمثل في آلامٍ والتهاباتٍ ومضاعفاتٍ قد تمتد آثارها بعد الجماع، كما قد يلحق بالرجل كذلك أضرارٌ والتهاباتٌ في جهازه البولي والتناسلي. وبذلك تتعاضد المعطيات الطبية المعاصرة مع الدلالة القرآنية المحكمة؛ فدلائل الإعجاز العلمي في الصحة الجسدية تبرز أنّ الهدي النبوي قدّم منظومةً وقائيةً وعلاجيةً متكاملة تُحسن بناء الجسد وصيانته عبر تنظيم العادات الحيوية والرجوع إلى أسباب العلاج النافع. فقد اتضح أن الصيام ليس عبادةً محضة فحسب، بل يحمل أبعادًا صحيةً ظاهرة

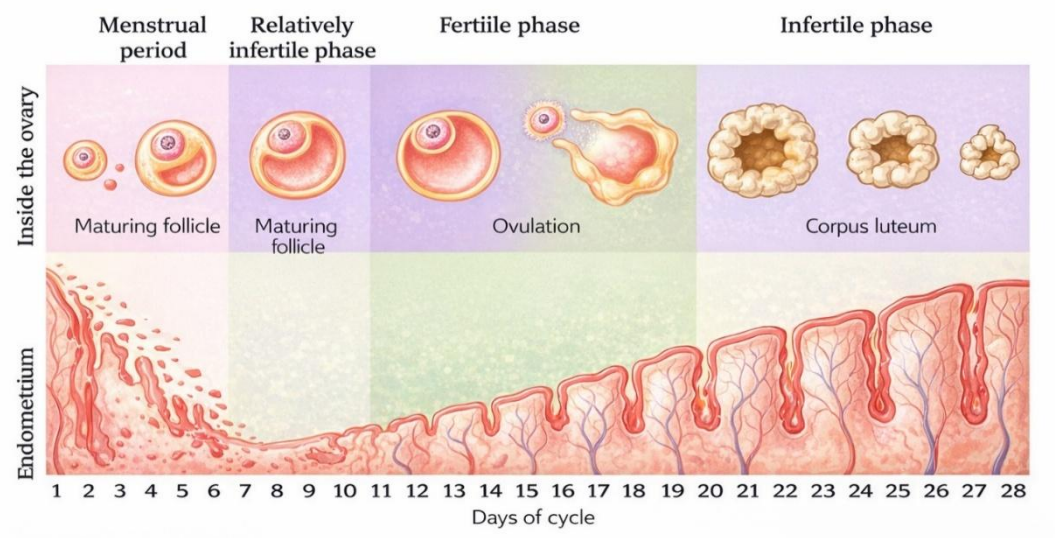

الدورة الشهرية للمراة

تتمثل في تهذيب العادات الغذائية، وضبط الشهية، وتخفيف الأعباء عن الجهاز الهضمي، وتعزيز القدرة على الانضباط الجسدي، بما ينعكس على توازن البدن وحيويته؛ فالتداوي بالحجامة يمثل مثالًا على توجيهٍ علاجيٍّ في السنة يلتقي مع مبدأ الطب التكميلي في تخفيف بعض الآلام وتحسين بعض المؤشرات الوظيفية، وأن الإفادة منه تظل محكومةً بسلامة التشخيص ومراعاة الاحترازات وتقديم رأي أهل الخبرة. والاكتحال بالإثمد في الهدي النبوي يتضمن جانبًا وقائيًا يرتبط بصحة العين والعناية بها، ويؤكد قيمة العناية بالأعضاء الحساسة بوسائل نافعة مأمونة، مع ضرورة الالتزام بما يثبت طبًّا سلامته وخلوّه من المواد الضارة. ومن جهة أخرى، دلّت نتائج المبحث على أن النهي عن الغضب لا يقتصر على تهذيب السلوك النفسي، بل يمتد أثره إلى سلامة البدن؛ إذ يحدّ من الانفعالات الحادة وما يصاحبها من اضطرابات فسيولوجية قد تؤثر في القلب والضغط وسائر وظائف الجسم، فتتجلى فيه حكمة تشريعية تجمع بين إصلاح الباطن وصيانة الظاهر. كما كشف المبحث أن اعتزال النساء في المحيض يتضمن بُعدًا صحيًا وقائيًا يراعي تغيرات الجسد في هذه الفترة وما قد يترتب على المعاشرة من أذى أو مضاعفات، وأن التشريع جاء منسجمًا مع مقصد حفظ النفس ورفع الضرر، مع إبقاء أواصر المودة والرحمة في العلاقة الزوجية، وبذلك فإن الإعجاز العلمي في الصحة الجسدية يظهر في تقديم السنة النبوية قواعد عملية للوقاية والتداوي، تربط بين العبادة والسلوك الصحي، وتؤكد قيمة الاعتدال، وطلب الخبرة، ودرء الضرر، بما يحقق حفظ البدن ويعضد مقصد الشريعة في صيانة الإنسان ورعايته.

الفصل السادس

دلائل الإعجاز العلمي في التحصن من المهلكات العامة

يُبرز هذا الفصل جانبًا مهمًّا من شمول الرسالة الإسلامية، إذ لم تقف الدلائل عند تهذيب الفرد وإصلاح عبادته، بل جاءت كذلك لحماية الحياة الإنسانية وصيانة المجتمع من أسباب الهلاك والضرر، وترسيخ قواعد السلامة العامة في الغذاء والسلوك والبيئة. فكم من توجيهٍ قرآنيٍّ أو نبويٍّ تضمن أصول الوقاية والتحصين قبل أن تُقرِّرها العلوم الحديثة بمناهجها التجريبية، مما يفتح بابًا واضحًا لتأمّل دلائل الإعجاز في التشريع. وسيتناول المبحث الأول دلائل الوقاية والتحصين من المهلكات العامة عبر بيان الحكمة الوقائية في تحريم الخمر ولحم الخنزير، والذكاة الشرعية، والنهي عن الفواحش والزنا؛ لما يترتب على هذه المحرمات من أضرار صحية واجتماعية وأمنية تهدد الفرد والأمة. ثم يعالج المبحث الثاني دلائل الإعجاز في حماية البيئة والسلامة العامة؛ من خلالِ جملةٍ من الإرشادات النبوية التي تؤسس لنظافة المحيط، وسلامة الموارد، ومنع انتقال العدوى، وحماية الناس في طرقهم ومساكنهم؛ لتتكامل بذلك صورة التشريع الوقائي الذي يبني "مجتمعًا آمنًا" في بدنه وبيئته ومعيشته.

المبحث الأول

دلائل الإعجاز العلمي في الوقاية والتحصين من المهلكات العامة

يُعالجُ هذا المبحث جملةً من الدلائل في إعجاز القرآن والسنة النبوية التي جاءت لحفظ النفس والعقل والنسل، عبرَ تحريم ما يفسدُ الفطرة ويهدد سلامة الإنسان فردًا ومجتمعًا. وتبرز دلائل الإعجاز الوقائي هنا في أن هذه الأحكام لم تكن مجرد أوامر ونواهٍ، بل تضمنت تحصينًا شاملًا من أضرارٍ صحية واجتماعية وأخلاقية، تؤكدُهَا الشواهد الواقعية والدراسات الحديثة، بما يرسخ حكمة التشريع وعمق مقاصده.

أولا: دلائل الإعجاز العلمي في تحريم الخمر:

تحريمُ الخمرِ في الإسلام له دلائل في الإعجاز الصحيّ؛ فقد جاءت الشريعةُ بسدِّ بابٍ واسعٍ من أبوابِ الضرر قبل وقوعه، وحفظِ الإنسانِ في بدنه وعقله ونفسيّته ومجتمعه، وقد كشفت المعارفُ الطبيةُ الحديثةُ أن فيه مادةً تُحدِث اضطرابًا تدريجيًا في أجهزة الإنسان فتُضعِف وظائفَ الدماغِ وتوازنَه العصبيّ، وتزيدُ مخاطرَ أمراضِ الكبدِ والقلب، وتُخلّ بتوازنِ المناعةِ والهرمونات، وترفع احتمالاتِ السرطاناتِ والحوادثِ ، فتحريم الخمر بوصفه إجراءً وقائيًا شاملًا يقطعُ سلسلةَ الأذى من منبعها، ويُرسّخ مبدأَ إزالة الضر في صورةِ تشريعٍ يحفظُ الحياةَ ويصونُ الكرامةَ الإنسانية، ويحمي الصحة العامة، قال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ

قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة : 219].وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة : 90]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: 91]، فنص التحريم فاجتنبوه؛ فالرجس كل مكروه مذموم، ويطلق بمعنى النجس، وبمعنى الحرام، والسخط، قال ابن عباس- رضي الله عنهما- معنى رجس سخط (التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (ص: 378). وبعد نزول آية التحريم فإن الله الخالق لكل شيء سلب الخمر المنافع جملة فليس فيها شيء من المنافع، ومن دلائل الإعجاز أن الله تعالى لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها عَن أَبِي هُرَيرة- رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قال: "من أصابه شيء من هذه الأدواء فلا يفزعن إلى شيء مما حرم الله فإن الله لم يجعل في شيء مما حرم شفاء" الطب النبوي لأبي نعيم الأصفهاني (1/ 201، برقم: 55) وبلفظ: "إنَّ اللهَ لم يجعل شفاءَ أُمَّتي فيما حرَّم عليها" (صححه الألباني في بلوغ المرام برقم: (379). والنجس حرام فلا يتداوى به لأنه غير شفاء وشربه يجر إلى مفاسد كثيرة وكانوا في الجاهلية يعتقدون أن في الخمر شفاء فجاء الشرع بخلاف معتقدهم (تحفة الأحوذي (1/ 205)، وفي الحديث الشريف عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وكُلُّ مُسْكِرٍ حَرامٌ، ومَن شَرِبَ الخَمْرَ في الدُّنْيا فَماتَ وهو يُدْمِنُها لَمْ يَتُبْ، لَمْ يَشْرَبْها في الآخِرَةِ" (مسلم، برقم: 2003). عن ابن عمر- رضي الله عنه- قال: "لعنَ اللَّهُ الخمرَ وشاربَها وساقيَها وبائعَها ومُبتاعَها وعاصِرَها ومعتصرَها وحاملَها والمحمولةَ إليْهِ وآكلَ ثمنِها" (أحمد، برقم: 5716، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: 5091). وعن وائل بن حجر- رضي الله عنه-: "أنَّ طَارِقَ بنَ سُوَيْدٍ الجُعْفِيَّ سَأَلَ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلم- عَنِ الخَمْرِ فَنَهَاهُ أَوْ كَرِهَ أَنْ يَصْنَعَهَا، فَقالَ: إنَّما أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ، فَقالَ: إنَّه ليسَ بدَوَاءٍ وَلَكِنَّهُ دَاءٌ" (مسلم، برقم: 1984)، وعن طارق بن سويد الحضرمي- رضي الله عنه- قال: "قلت يا رسول الله، إنَّ بأرضِنا أعنابًا نعتصِرُها فنَشربُ منْها قالَ لاَ، فراجعتُهُ قلتُ إنَّا نستشفي بِهِ للمريضِ قالَ إنَّ ذلِكَ ليسَ بشفاءٍ ولَكنَّهُ دَاءٌ" (ابن ماجة في سننه ، برقم: 3491)، وصححه الألباني في صحيح ابن

ماجة برقم :2836)، عن طارق بن سويد الحضرمي، قال: " قلتُ يا رسول الله، إن بأرضنا أعنابًا نعتصرها، فنشرب منها؟ قال: «لا» فراجعتُه، قلت: إنا نستشفي به للمريض، قال: «إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِشِفَاءٍ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ» فهذا تصريحٌ بأنها ليست بدواء فيحرم التداوي بها" (ابن ماجة، برقم: 3500، وصححه الألباني)، وبهذا تسقطُ مسألةُ التداوي بالخمر. قال ابن القيم: لو أبيح التداوي به لاتخذ ذلك ذريعةً إلى تناوله للشهوةِ واللذةِ، فسدَّ الشارع الذريعة إلى تناوله بكل ممكن (حاشية السندي على سنن ابن ماجه ، 2/ 355). وأثبتت الدراسات الحديثة آثارا مَرَضية للخمر تضر بصحة الذين يتعاطونه، ومن ذلك أنه يؤثر سلبا على الجهاز العصبي - الدماغ والنخاع الشوكي والأعصاب الطرفية - وقد يؤدي إلى الشلل والجنون؛ كما يسبب شرب الخمر أمراضا للجهاز الهضمي، ابتداء بالفم، وانتهاء بالقولون، مروراً بالبنكرياس والكبد؛ حيث يؤدي إلى تليُّفه وتشمعه، ويزيد نسبة حدوث سرطان المريء، وكثرة الإسهال، ويؤثر على الجهاز البولي؛ حيث إن للكحول تأثيرًا مدرًا للبول ؛لأنه يثبط تحرر الهرمون المضاد للإدرار ADH من النخامية الخلفية ؛إضافة إلى زيادة كمية السوائل المتناولة(الكحول الإثيلي (Alcohol: Ethanol) www.syrianclinic.com/component/content/article/1545.html.) فالأضرار الصحية للخمر في كونه سببًا مباشرًا وغير مباشر لسوء التغذية واضطراب وظائف الجهاز الهضمي والاستقلاب؛ إذ يُصابُ المدمن غَالبًا بِفُقدانِ الشهية، كما يعاني التهاب اللسان (Glossitis) بصورة متكررة نتيجة نقص مركّبات فيتامين (ب) المرتبط بإدمان الكحول، مما يجعل تناول الطعام مؤلمًا ويدفعه إلى رفضه. ويُضافُ إلى ذلكَ الغثيانُ والقيءُ المستمرانِ، فضلًا عن دور الكحول في تأخير تفريغ محتويات المعدة إلى الأمعاء، بما يفضي إلى اضطرابات هضمية مُرهِقة تُضعف الرغبة في الأكل. وعلى مستوى الاستقلاب، يؤدي اعتلال الكبد الناجم عن إدمان الكحول إلى انخفاض تصنيع البروتينات والأحماض الأمينية، وإلى ضعف قدرة الكبد على تخزين مواد حيوية مثل الزنك وفيتاميني (ب6) و(ب12)، فضلًا عن قصوره في تحويل بعض الفيتامينات من صورتها الخاملة إلى النشطة مثل فيتامين (د). كما يقلّل الكحول من كفاءة الامتصاص المعوي (Malabsorption) بفعل تأثيره المباشر على الأمعاء الدقيقة، وبسبب اقترانه بالتهاب البنكرياس

واعتلال الكبد، الأمر الذي يفضي إلى عوزٍ في الفيتامينات، ومنها فيتامين (أ) ومجموعة فيتامينات (ب) وفيتامين (ج) و(د)، وإلى نقصٍ في المعادن؛ حيث يسبب نقص الزنك خللًا في وظيفة الخصيتين وتأخر التئام الجروح واضطراب المناعة، ويؤدي نقص البوتاسيوم إلى ضعف العضلات واضطراب نظم القلب، بينما يرتبط نقص المغنيسيوم باضطرابات عصبية مع اضطراب ضربات القلب، ويُفضي نقص الكالسيوم إلى ضعف عام وتكزّز عضلي، كما يسبب نقص الفوسفات وهنًا عضليًا واضطرابات دماغية قد تصل إلى الصرع، فضلًا عن تأثر وظيفة الصفائح الدموية. (الحاضري ، الخمر داء وليست بدواء ، ص 78، 79) أضرار الخمر على الصحة النفسية تلف في الدماغ أو سوء في التغذية وتظهر عند معظمهم اضطرابات في الإدراك؛ حيث تقل قدرتهم على التخطيط والتنظيم، كما تقل قدرتهم على التكيف مع الأحداث المستجدة في حياتهم، ومشكلات نفسية بليغة، ومنها نوبات من النسيان وفقدان الذاكرة (Amnesia)، والشراد الكحولي (Alcoholic fugue)، ومشكلات جسدية ومنها؛ انخفاض درجة الحرارة، انخفاض ضغط الدم وارتفاعه، وانخفاض نسبة السكر في الدم، وارتفاع حموضة الدم بسبب زيادة حامض اللبن في الدم (Lactic acidosis)، والحماض الكيتوني (Ketoacidosis)، وارتفاع نسبة الإصابة بالتهاب الرئة الاستنشاقي (Aspiration pneumonia). (المرجع السابق، ص 147-149). إضافة إلى ذلك؛ فإن الخمرَ يخلف آثارا سيئة على النواحي الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، ووثقت كثير من الأضرار قبل منظمة الصحة العالمية، وأضافت إلى ذلك: بأن الخمر يؤدي إلى نسبة عالية من الوفاة في العالم، تقدر بحدود 3.3% مليون شخص سنويا والتي تمثل بحدود 6% من مجموع الوفيات عالميا (World Health Organization (WHO) -Alcohol Report 2018) . فتحريم الخمر في الإسلام يتجلّى بوصفه إجراءً وقائيًا شاملًا يَسدُّ ذرائع الضرر من منبعها، ويُحقّق مقصد حفظ النفس بحماية الإنسان في بدنه وعقله ونفسيّته ومجتمعه؛ ثم جاء الحسمُ التشريعي باعتبارها رجسًا ووجوب اجتنابها مع بيان آثارها في إثارة العداوة وصدّ الإنسان عن ذكر الله والصلاة ، وكشفت المعارف الطبية الحديثة أن الخمر يُحدث اضطرابًا تدريجيًا في أجهزة الجسم، ويؤثر سلبًا في الدماغ والتوازن العصبي، ويرفع مخاطر اعتلالات الكبد

والقلب واضطرابات المناعة والهرمونات، ويزيد في السرطانات ، فضلًا عن كونه سببًا مباشرًا وغير مباشر لسوء التغذية واضطراب الهضم والامتصاص وما يترتب على ذلك من عوزٍ في الفيتامينات والمعادن وما يصاحبه من اختلالات وظيفية كثيرة، كما جاءت السنةُ صريحةً في نفي دعوى التداوي بالخمر، وأنها ليست دواءً بل داء، وأن الله لم يجعل شفاء الأمة فيما حرّم عليها، فأسقطت بذلك ذريعةَ الانتفاع الطبي الموهوم، وأغلقت بابًا من أبواب الرجس المؤدي إلى مفاسد أعظم. وبذلك يتأكد أن التحريم ليس مجرد منعٍ تعبدي، بل هو تشريعٌ طبيٌّ اجتماعيٌّ أخلاقي يرسّخ قاعدة إزالة الضرر، ويصون الكرامة الإنسانية، ويحفظ الصحة العامة في صورةٍ من الإعجاز العلمي الذي سبق كثيرًا من معارف العصر ونتائج مؤسساته الصحية.

ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي الصحية في تحريم أكل لحم الخنزير

تحريم لحم الخنزير في الإسلام يندرج ضمن مقصدٍ كليٍّ عظيم هو حفظ النفس ضمن الكليات الخمس، وذلك عبر ترسيخ قاعدةٍ شرعيةٍ جامعة: إباحة الطيبات وتحريم الخبائث؛ لتبقى الشريعة صالحةً لكل زمانٍ ومكان في تقويم المستجدات ووزن المنافع والمفاسد. وقد ورد تحريم لحم الخنزير صريحًا في مواضع متعددة من القرآن الكريم، مع وصفه بأنه رجس،

قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: 145]. وقال تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: 3]. كما جاءت السنة النبوية مؤكدةً تحريم الخنزير والانتفاع به وبيعِه، صحيح البخاري (3/ 84)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ عَامَ الفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ، وَالمَيْتَةِ وَالخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ» (البخاري ، برقم: 2236)، وأجمع العلماء على أن التحريم لا يقتصر على اللحم، بل يشمل جميع أجزاء الخنزير لكونه من الخبائث والنجاسات، فأجمعتِ الْأمةُ على تَحْرِيم شَحم الْخِنْزِير قِيَاسًا على لَحْمه (التبصرة في أصول الفقه، ص: 373)، فوصفَهُ بـ«الرجس» يتضمنُ معنى الخبثِ والضررِ، تُبرز الدراسات التي تناولت أضرارَ لحم الخنزير جملةً من الاعتبارات التي تُساق في بيان عِللِ التحريم من جهةٍ صحية ووصفية؛ إذ يُوصف الخنزير بأنه حيوان ذو طبيعةٍ افتراسية وله أنياب، ويتغذّى على الجيف والقاذورات كالفئران، بخلاف الأنعام التي تتغذّى غالبًا على العشب والكلأ. ويُذكر كذلك أن غياب أو ضعف بعض الإنزيمات المرتبطة باستقلاب حمض البوليك في الخنزير، مثل (Xanthine oxidase) و(Uricase) في البلازما وقلّة وجودها في الكليتين، يؤدي إلى احتفاظه بكميات كبيرة من حمض البوليك في أنسجته؛ حيث لا يتخلص إلا من نسبة يسيرة منه بينما يختزن الباقي، في حين تمتلك الأبقار والضأن آلياتٍ إنزيمية أكثر كفاءة للتخلص منه، وهو ما يُفسَّر به انخفاض تراكماته في لحومها مقارنة بلحم الخنزير. ويربط هذا التصور بين ارتفاع حمض البوليك في دم الخنزير ولحمه وبين وصفه القرآني بـ«الرجس»، ويُضاف إلى ذلك ما يُذكر عن طبيعته في أكل الروث المختلط بالبول، بما يزيد من تراكم الشوائب في لحمه. كما تُورد بعض المصادر مقارنةً في التركيب الغذائي؛ فتذكر ارتفاع نسبة الدهنيات في لحم الخنزير، ولا سيما الدهون المشبعة، قياسًا بلحوم الأنعام، وترى أن ذلك يرتبط بأضرار استقلابية وقلبية. وتُذكر كذلك مزاعم عن احتواء لحم الخنزير على كميات أعلى من بعض المواد مثل هرمونات النمو وما قد يرتبط بها من أخطار سرطانية، وعن ارتفاع الكبريت، ووجود مركبات تُسهم في الحساسية والأكزيما الجلدية، فضلًا عن ارتفاع الكوليسترول بما يزيد خطر ترسّبه في الشرايين والتسبب بتصلّبها وارتفاع الضغط والذبحة القلبية (حنفي محمود مدبولي، الاعجاز العلمي في تحريم لحم الخنزير ، 1432هـ - 2011م)، وتتراكم الدهون في جسم الخنزير وبين خلايا عضلاته بشكل لا يوجد له نظير لدى الحيوانات الأخرى، التي تؤدي إلى الإصابة بمجموعة من أمراض السرطان،

أهمها سرطان الأمعاء الغليظة والمستقيم، وسرطان البروستات، وسرطان الثدي، وسرطان الرحم، كما يعتقدُ الباحثونَ أنَّ الأغذية الدهنية مثل لحم الخنزير ودهنه تساعد على زيادة نمو البكتيريا الموجودة في الأمعاء (البار ، الأسرار الطبية والأحكام الفقهية في تحريم الخنزير ، ص 90، 91) ، فالخنزير يتسمُ بسلوكٍ غذائي وبيئي يزيد فيه التلوث والطفيليات، وأن التعامل معه أو استهلاك لحمه يرتبط بمخاطر صحية متنوعة؛ إذ عُرضت صورٌ لانتقال أمراض وأوبئة عبر المخالطة أو تلوث الغذاء بفضلاته أو تناول لحمه ومنتجاته، كما تم التركيز على نماذج لأمراض طفيلية وبكتيرية وفيروسية، وفي مقدمتها الطفيليات الشريطية مثل الدودة الشريطية المسلحة (Taenia solium) التي قد تؤدي يرقاتها إلى إصابات خطيرة عند الإنسان.

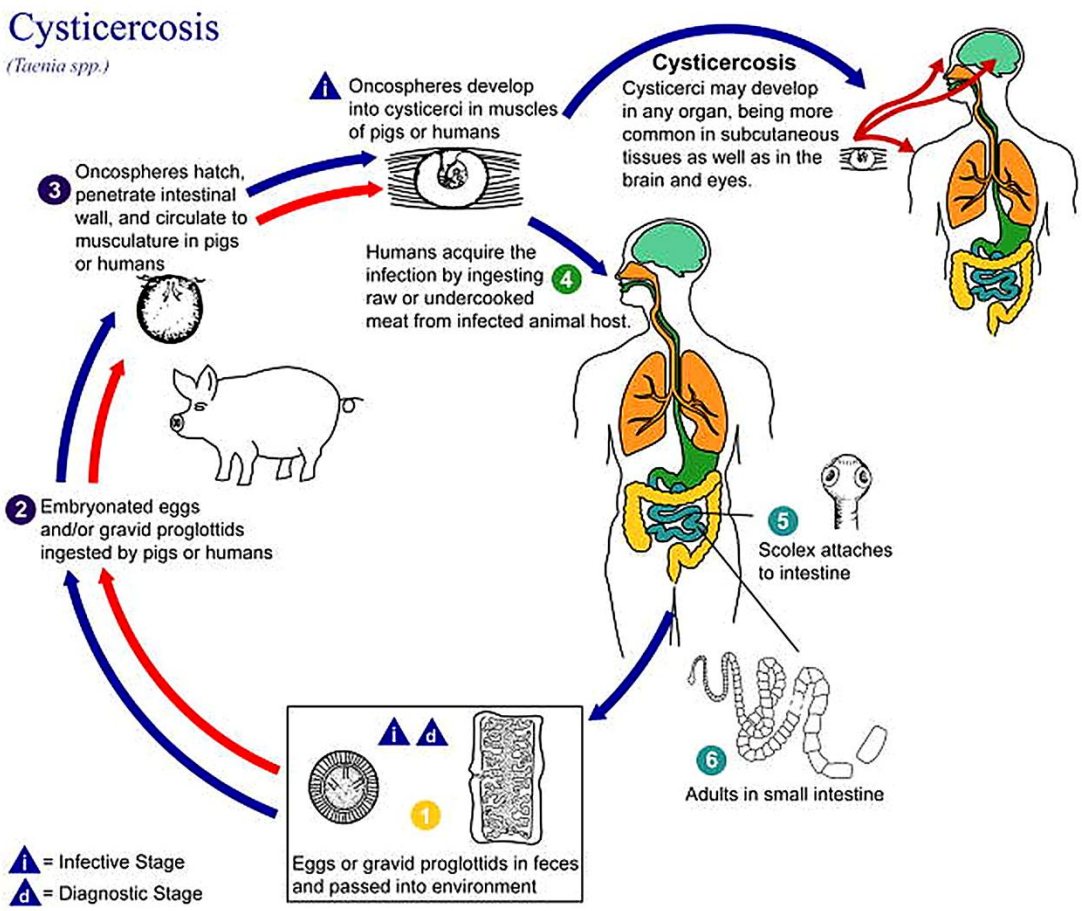

وإضافة إلى الدودة الشعرية الحلزونية (Trichinella spiralis) وما قد تسببه يرقاتها من مضاعفات شديدة. (الصعدي، 2022، https://quran-m.com) ، والنصوص الشرعية قطعت

بتحريمِ لحم الخنزير لاحتوائه على أكبر كمية من الدهن من بينِ جميع أنواع اللحوم المختلفة، وقد جاء في الموسوعة الأمريكية أن كُلَّ مائةِ رَطْلٍ من لحمِ الخنزير تحتوي علَى خمسينَ رَطْلًا من الدهن (محمد كامل عبد الصمد، 2007)، فقَدْ جَاءَ النهي في تحريم لحم الخنزير في القرآن الكريم مقرونًا بوصفه رجسًا، بما يلفت النظر إلى خبثٍ ملازمٍ له يتجاوز مجرد العادات الغذائية. ومع تطور العلوم الطبية برزت معطياتٌ تُشير إلى قابلية الخنزير لحمل طيفٍ واسع من الطفيليات والميكروبات، وإمكان انتقال بعض الأمراض للإنسان عبر الاستهلاك أو التلوث أو المخالطة، فتحريم لحم الخنزير في الإسلامِ تشريعٌ مقصديٌّ راسخٌ يلتقي فيهِ حِفْظُ النفس مع قاعدة الشريعة الجامعة في إباحة الطيبات وتحريم الخبائث، وقد جَاءَ النَّصُّ القرآني صريحًا مقرونًا بوصفه رجسًا بما يدل عَلَى خبثٍ ملازمٍ له، ثم أكدت السنة والإجماع شمولَ التحريم لأجزائه والانتفاع به، ومع ما يعرضه البحث من معطياتٍ طبية حول قابلية الخنزير لحمل الطفيليات والملوثات وما يترتّب عليها من أضرارٍ صحية على الإنسان.

ثالثا: دلائل الإعجاز العلمي في تحريم أكل الميتة:

الميتة هي الحيوانات التي ماتت قبل ذبحها أو لم يذكر اسم الله عليها وهي أنواع منها ما ذكره الله في قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: 145]. وقال تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: 3]، فالتحريم شامل كل ميتة، كان موته حتف أنفه من علة به من غير

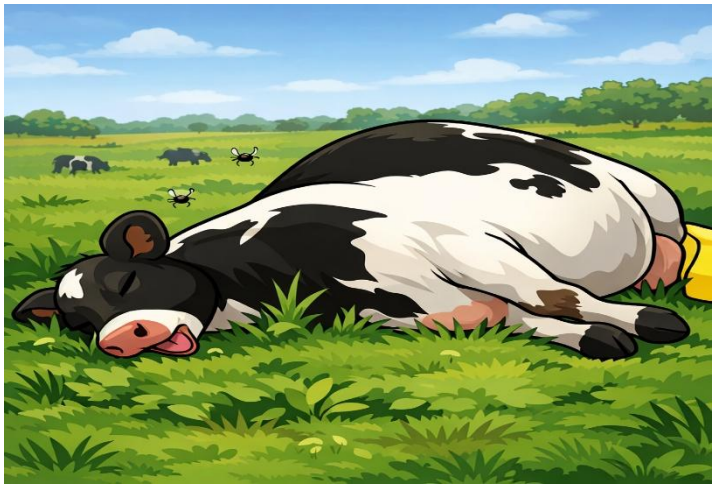

جناية أحد عليه، أو كان موته من ضرب ضاربٍ إياه، أو انخناق منه، أو انتطاح، أو فَرْس سبع (تفسير الطبري ، 9/ 506)، فقد أخرج ابن مندة في كتاب الصحابة من طريق عبد الله بن جبلة بن حبان بن حجر عن أبيه عن جده حبان قال: " كنا مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأنا أوقد تحت قدر فيها لحم ميتة؛ فأنزل تحريم الميتة، وأُكفئت القدور، وَالدَّمُ " (محاسن التأويل (4/ 17)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْخَمْرَ وَثَمَنَهَا، وَحَرَّمَ الْمَيْتَةَ وَثَمَنَهَا، وَحَرَّمَ الْخِنْزِيرَ وَثَمَنَهُ» (أبو داود ، برقم: 3485، وصححه الألباني) ؛ إذ إن الكائن الحي إذا مَاتَ تبدأُ داخله عملية تحلّل حيوي بفعل الميكروبات الكامنة فيه أو الوافدة إليه، ومع توقف الدورة الدموية ووظائف الدفاع يتسارع نشاط بكتيريا الفساد والتعفن، حتى يغدو النسيجُ بيئةً ملائمة لتكاثر الجراثيم، وتكوّن نواتج التحلل، وهو ما قررته دراسات علم البكتريولوجيا الحديثة. ومن ثمّ يرتبط تناول الميتة بمخاطر صحية متعددة، من أبرزها انتقال بعض الأمراض المشتركة، كالسُّل، والجمرة الخبيثة التي تصيب الحيوانات، فضلًا عن التسممات الغذائية التي قد تظهر بأعراض، مثل القيء والإسهال والمغص الشديد، إضافة إلى عسر الهضم؛ لأن اللحم الفاسد قد يتصلب وتفسد أليافه بما يجعل هضمه عسيرًا، كما تُذكر ضمن الآثار المحتملة التهابات الكبد، وظهور الأكياس المائية الكلبية التي قد تتموضع في الكبد والرئتين والدماغ، إلى جانب إمكان الإصابة ببعض الديدان والأمراض الطفيلية (عبد السلام حمدان اللوح ، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص 222، 223)، ولقد ثبت علميا وبشكل شبه مؤكد أن جسم الميتة في الحيوانات يحتبس فيه الدم بكل رواسبه وسمومه، وقد يتخلل جميع الأنسجة اللحمية، وتبدأ السموم عملها في كل خلايا الجسم ، فتكتسب الميتة اللون الداكن، وتمتلئ الأوردة السطحية بالدماء، وتتوقف الدورة الدموية دون أن يتسرب حتى ولو قدر ضئيل من تلك الدماء إلى خارج الجسم، وتصبح بذلك الميتة كلها بؤرة فاسدة للأمراض، ومجمعًا خبيثا للميكروبات، ويبدأ التعفنُ في عمله فيها، ويعم أثره في اللحم لونًا وطعمًا ورائحة، فالميتة ليست من الطيبات قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة:4]، كما أن الميتةَ يفقد لحمها كل قيمة لأن إنزيمات التحلل تبدأ عملها في الخلايا فتفقدها كل قيمة غذائية، ويجب على المسلم أن يذكر اسم الله- سبحانه وتعالى- على الحيوان المراد تذكيته، لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام:118)، وقوله جل وعلا : (وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام:121)، وهذا يكون التذكية الذبح والنحر، يقالُ ذَكَّية الشاة تذكية، وذكاء الحيوان ذبحه (لسان العرب لابن منظور، 14/ 288)، بقطع الحلق والمريء، والودجين؛ العرقان في جانبي العنق، وأن تكون الأداة المستخدمة في ذبح الحيوان حادة حتى تتم عملية الذبح بسرعة وسهولة، ولكي تقل معاناة الحيوان أثناء الذبح، ويعد هذا الأمر سبقا علمياً آخر في مجال التعامل مع الحيوان والرفق به وعدم تعذيبه، كما قال- صلى الله عليه وسلم-: " «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» " (مسلم برقم: 1955) ، وفي الحديث حث على إراحة الحيوان قبل ذبحه حكمة جليلة أظهرتها الدراسات العلمية الحديثة، إذ إن إراحة الحيوان قبل الذبح أمر ضروري للحصول على لحم ذي طعم مستساغ، حيث يتحول الجلايكوجين الموجود في العضلات بعد ذبح الحيوان إلى حامض اللاكتيك (حامض اللبن) والَّذي يقومُ بدور حافظ للحم، وكذلك يعمل على تطرية اللحم حيث يقوم هذا الحامض خلال فترة تعليق الحيوان بتغيير طبيعة البروتين في اللحم، مما يعمل على تطريته، وفي حال تعرض الحيوان للإجهاد قبل الذبح، فإن ذلك سيؤدي إلى استنفاد كمية الجلايكوجين ، ومن ثم التقليل من تكون حامض اللاكتيك بدرجة كبيرة فلا تتم عملية التطرية بشكل جيد، وقد عني الإسلام بوضع الأحكام الشرعية التي تنظم عملية الذبح للحيوانات التي يحل أكل لحومها، لما لعملية الذبح من تأثير كبير على صحة وسلامة هذه اللحوم، وما ينتج عن ذلك من تأثير كبير على صحة الإنسان، ولقد حققت الشريعة الإسلامية سبقا حضاريا بفرض الذكاة على ما يحل أكله من الحيوانات (كالأنعام والإبل والماشية)؛ فمنْ ذلكَ ضرورة التقيد بالذكاة الشرعية، وهي ذبح الحيوان أو نحره بقطع حلقومه (مجرى النفس) أو مريئه (مجرى

الطعام والشراب من الحلق)، وينطبق ذلك على كلِّ حيوان يحل أكله ما عدا السمك والجراد. وتكمن أهمية الذكاة في تسهيل خروج وتدفق الدم من داخل جسم الحيوان، حيث يحمل الدم داخل الجسم العديد من المركبات السامة مثل المركبات النيتروجينية (اليوريا وحمض البول والأمونيا) وغاز ثاني أكسيد الكربون، بالإضافة إلى أنه ناقل لبعض السموم من الأمعاء إلى الكبد، والتي قد يؤدي تناولها إلى الإضرار بصحة الإنسان وتسبب له الأمراض.

رابعا: دلائل الإعجاز العلمي في النهي عن القرب من الفواحش والزنا:

النهي عن الفواحش وعن قربان الزنا من أعظم التشريعات التي تقصد حفظ النسل والعِرض وهو إعجاز تشريعي ووقائي يدرك أبعاد النفس البشرية وميلها للشهوات هذا النهي الاستباقي يمثل سياجاً تحريماً يقطع الطريق على الوسائل والمقدمات التي تفضي إلى الفاحشة، كنتاج حتمي لتجاوز تلك الحدود التي وضعها الخالق الخبير بضعف الإنسان وتكوينه.؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: 151]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 32]. ولا تقربوا الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن، ما ظهر يعني العلانية وما بطنَ يعني السر، وكانَ أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأسا في السر، فحرم الله تعالى الزنا في العلانية والسر (تفسير البغوي ، 2/ 170) وهي صياغةٌ تُغلق الطرق المؤدية إلى الاقتراب من الفاحشة، فتجعل الوقاية جزءًا من التشريع، كما تُعزّز السنة بالتخويف من أثاره بإبراز سنةٍ اجتماعيةٍ في هلكت المجاهرة

بالفاحشة وتفشّي الأوجاع والأوبئة فيهم، فعن ابن عمر- رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: " يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا" (ابن ماجة في سننه ، برقم: 4019، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة ، برقم: 3246) ما يدل على أن النص الشرعي لا يعالج الفعل في ذاته فحسب، بل يعالج آثاره الصحية والاجتماعية التي تهدد الجماعة البشرية ، فقد نهى الله عن الزنا وعن مقاربته، وهو مخالطة أسبابه ودواعيه "إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً" أي: ذنبا عظيما، "وَسَاءَ سَبِيلًا" أي: وبئس طريقا ومسلكا (تفسير ابن كثير (5/ 72). وإنما نهى عن قُربانه على خلافِ ما سبقَ ولحِق من القتل للمبالغةِ في النَّهيِ عن نفسه؛ ولأن قربانه داعٍ إلى مباشرته، وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الإطلاق باعتبار أنه قتل للأولاد، كما أنه تضييع للأنساب، فإن من لم يثبت نسبه ميت حكما "إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً" فِعْلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد "وَسَاءَ سَبِيلًا" أي: بئس طريقا طريقه، فإنه غصب الأبضاع المؤدي إلى اختلال أمر الأنساب وهيجان الفتن (تفسير أبي السعود ، 5/ 169- 170) ، فقد كشف العلم الحديث خلالَ القرنين الماضيين؛ أن هناك مجموعات من الكائنات الدقيقة كالبكتيريا والفطريات والفيروسات لا تنتقل للإنسان إلا عن طريق الفواحش والزنا أيا كان نوعها، والتي تسببها جراثيم لا تصيب إلا الإنسان ولا تنتقل إليه إلا عن طريق الجنس، ولهذه الجراثيم مقدرة عجيبة على اختراق جلد الأعضاء التناسلية والشفاه ، وتصل الإصابة بها إلى عمق الأجهزة التناسلية؛ بل وإلى عموم الجسم، ولا يوجد لهذه الجراثيم أمصال تقي الجسم من أخطارها، وهي كل يوم في ازدياد وانتشار، وإذا اتسعت دائرة هذه العلاقات فإن المجتمع مهدد بأمراض وبائية غير مسبوقة؛ لأن هذه الكائنات تغير خواصها باستمرار مما يجعلها مستعصية على العلاج، ولا يستطيع الجسم مقاومتها؛ لأنها تفتك بجهاز المناعة، كما هو حاصل في مرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز)؛ حيث لم يظهر هذا المرض إلا بعد إعلان الفاحشة والاعتراف بها، واليوم (الإيدز) كابوس قاتل وجاثم على صدور المنحرفين، وغداً يظهر ما هو أشد منه طالما ظل الناس سادرين في غيهم مستمرين في نشر هذا

الفساد وتزيينه للناس، ومحاولة حمل الآخرين عليه في المستقبل القريب، كما هو ظاهر في مؤتمراتهم عن السكان والمرأة (عبد الجواد الصاوي ، مجلة الإعجاز العلمي العدد الثاني ، جمادى الأولى، 1417هـ) وشهد العالم موجات كاسحة من انتشار وباء الزهري الذي حطم حياة الملايين، كما يتصدر مرض السيلان قائمة الأمراض الجنسية الأكثر شيوعاً في العالم، ثم ظهر مؤخراً مرض (الإيدز) المرعب الذي يدمر فيروسه جهاز المناعة في الإنسان، فتتدمر أعضاؤه واحداً بعد الآخر في سلسلة من الآلام والأوجاع التي لم يعرفها البشر من قبل. وقد أوضحت منظمة الصحة العالمية أن الإصابات المرضية تتجاوز الملايين يوميا (World Health Organization. Report 3 August 2016. Sexually Transmitted Infections) ، فالزنا فضلاً عن هدمه لكيان الأسرة واضطراب البنية الاجتماعية؛ يمثّل مدخلًا واسعًا لما يُعرف بالأمراض السِّرّية؛ مثل الزهري والسيلان والقرحة الأكّالة والقرحة الرخوة، كما عُرفت القرحة الرخوة والقرحة الأكّالة، وتُسجّل المصادر الطبية أن الزنا يزيد من مضاعفات السيلان عند الذكور والتهاب البروستاتا والحويصلة المنوية، والتهاب المثانة والحالب والكلى، وضيق مجرى البول، وقد تتطور الحال إلى تسمم دموي وصديد في الدم، مع التهابات ملتحمية قد تنتهي بالعمى، أما عند النساء فتتسع دائرة المضاعفات لتشمل التهابات المثانة والحالب والمبيض والقناة المبيضية والتهاب الكلى، وقد يصاحِبُهَا تسمم دموي صديدي ورمد صديدي وعمى ، وقد ينتهي الأمر في بعض الحالات إلى العقم، وتذكرُ المراجع كذلك أنَّ الزهري قد يفضي إلى إصابات عصبية شديدة مثل الشلل العام واضطرابات بالأطراف السفلى، وقد يترافق مع العمى وتصلب الشرايين والذبحة الصدرية، تشوهات جسمية وقرح وتساقط الشعر، وقد يكون سببًا مؤهّلًا لبعض الأمراض الخطيرة، كما قد يسببُ للنساء الإجهاضَ وموتَ المولود والولادة قبل الأوان، وإلى جانب ذلك تتعدد أمراض الفاحشة والاتصال الجنسي غير المشروع، ومنها الزهري والسيلان والقرحة الرخوة والمرض الحبيبي اللمفاوي الجنسي والورم الحبيبي الإربي والتهابات الإحليل المختلفة والجرب وتقمل العانة وثآليل الأعضاء الجنسية المعدية، فضلًا عن الإيدز الذي يرتبط بإتلاف جهاز المناعة وتغير وظيفة السائل المنوي وعدم القدرة على تصنيع لقاح واقٍ منه، وعدم فعالية

الأجسام المضادة له، بما يفضي إلى ضنك العيش وتحدّي الطب لعدم توفر علاجٍ شافٍ، إضافة إلى آثاره الاقتصادية المدمرة، وخصوصية طريقة انتقاله، وما ينشأ عنه من ازدواجية وتعددية، فضلًا عن كونه في صورته المتقدمة قتلًا بطيئًا (عبد السلام حمدان اللوح ، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، ص 227- 2029) ، وعليه فإن النهي عن قربان الفواحش والزنا يُمثّل منظومة وقائية شاملة تتجاوز البعد الأخلاقي إلى حماية الصحة العامة واستقرار المجتمع؛ إذ كشفت المعارف الطبية الحديثة أن العلاقات غير المشروعة تُعدّ طريقًا رئيسًا لانتقالِ طيف واسع من الأمراض المنقولة جنسيًا، وأن شيوعها والمجاهرة بها يفتح الباب لموجات وبائية متجددة، تتطور فيها العوامل الممرِضة، وتبلغ ذروتها في أمراضٍ مدمّرة كمرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز). وبذلك يتضح وجه الإعجاز في اقتران التحريم بـ سدّ الذرائع؛ فالنص القرآني حين حكم على الزنا بأنه فاحشة وساء سبيلًا لم يكتف بوصفه قبحًا شرعيًا، بل كشف في ضوء الواقع الصحي المتجدّد عن حكمةٍ تتصل بحفظ الإنسان من سلسلة أضرار تبدأ بانفلات السلوك وتنتهي بتهديد وتدمير الحياة والنسل والأمن الصحي، وهو ما يبرز تلاقي الهدي الشرعي مع سنن الاجتماع والطب في صورةٍ من الإعجاز التشريعي البالغ. ومن هذا نعلم أن التشريع الإسلامي في باب الوقاية والتحصين من المهلكات العامة يقوم على منظومة وقائية شاملة تُغلق منابع الضرر قبل وقوعه وتحقق مقصد حفظ النفس والعقل والنسل؛ فكان تحريم الخمر حمايةً للعقل والبدن والمجتمع من أضرارها وآثارها السلوكية والاجتماعية، وجاء تحريم لحم الخنزير سدًّا لذريعة الخبث والضرر المرتبط بطبيعته وتركيبه وما يُذكر من مخاطره الصحية، كما جاءت التذكية الشرعية وتحريم الميتة ضمانًا لسلامة الغذاء وتقليلًا لمخاطر الفساد الجرثومي وانتقال الأمراض عند موت الحيوان دون تذكية وفحص، ثم اكتمل هذا البناء الوقائي بـ النهي عن الفواحش والزنا بوصفه تحصينًا للأعراض والأنساب وحمايةً للصحة العامة من موجات الأمراض المنقولة جنسيًا وما يترتب عليها من أوبئة وآثار مدمرة.

المبحث الثاني

دلائل الإعجاز العلمي في حماية البيئة والأماكن العامة

يتناول هذا المبحث جملةً من الدلائل القرآنية والنبوية التي أسست لمبادئ الوقاية العامة وصيانة البيئة، بما يحققُ سلامةَ الإنسان في محيطه ويحفظ موارد الحياة من التلوث والفساد، وهي دلائل أسست لمبادئ الوقاية العامة وصيانة البيئة، بما يحقق سلامة الإنسان في محيطه ويحفظ موارد الحياة من التلوث والفساد. وتظهر دلائل الإعجاز هنا في سبق هذه الإرشادات إلى قواعد الصحة العامة والاحتراز من مصادر العدوى والأذى، من تنظيف الأفنية وإماطة الأذى عن الطريق، إلى منع تلويث المياه والطرقات، بما يكشف شمول التشريع وامتداد مقاصده إلى حماية الإنسان والبيئة معًا. ويُضاف إلى ذلك أن الخطاب الشرعي لا يعالج البيئة بوصفها موردًا فحسب، بل يربطها بمنظومةٍ قيمية تقوم على الاستخلاف والأمانة ومنع الإفساد، فتغدو المحافظة على النظافة العامة، وصيانة الماء والهواء والتربة، جزءًا من السلوك التعبدي الذي تُحفظ به الأنفس وتُصان به المصالح. كما تتبدّى حكمة هذه التوجيهات في بعدها الوقائي الاستباقي؛ إذ تُغلق أبواب الضرر قبل استفحاله عبر ضبط السلوكيات اليومية في الفضاء المشترك، وتأكيد حق المجتمع في بيئةٍ سليمة، في المجال البيئي، بما يحقق العدالة في الانتفاع بالمرافق العامة ويمنع تعدّي الأفراد على حقوق الجماعة. ومن ثمّ يبرز الإعجاز العلمي في أن هذه الأحكام قدّمت مبكرًا تصورًا متكاملًا لما يُعرف اليوم بالصحة البيئية وإدارة المخاطر، عبر تقليل أسباب انتقال الأمراض، وتقييد مصادر التلوث، وتحويل حماية الأماكن العامة إلى ثقافةٍ مجتمعية تُسهم في استدامة الموارد وتحسين جودة الحياة ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل:14]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يّس:80]، وقال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل:5]. وقد نهى الإسلام عنه طالما كان لغير منفعة، أو كان

فيه إسراف يهدد وجود هذه الحيوانات التي لم تخلق عبثاً، وإنما لكل منها دور مهم في مصفوفة الحياة لا غنى عنه، فعن سعيد بن جبير قال: "مَرَّ ابنُ عُمَرَ بفِتْيَانٍ مِن قُرَيْشٍ قدْ نَصَبُوا طَيْرًا، وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِن نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقالَ ابنُ عُمَرَ: مَن فَعَلَ هذا لَعَنَ اللَّهُ، مَن فَعَلَ هذا؟ إنَّ رَسولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شيئًا فيه الرُّوحُ غَرَضًا (مسلم ، برقم: (1958).. وقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: " مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا عَجَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّ فُلَانًا قَتَلَنِي عَبَثًا، وَلَمْ يَقْتُلْنِي لِمَنْفَعَةٍ " (النسائي، برقم: 4446، وضعفه الألباني) ، فهذه هي سلوكياتُ الإسلامِ تجاه البيئة، للمحافظة عليها وصيانتها، ولنا عبرة في قصة الرجل الذي دخل الجنة لأنه سقى كلباً كان يلهث من شدة العطش، ففي الحديث قال- صلى الله عليه وسلم-: "بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عليه العَطَشُ، فَوَجَدَ بئْرًا فَنَزَلَ فيها، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فإذا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فقالَ الرَّجُلُ: لقَدْ بَلَغَ هذا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الذي كانَ بَلَغَ بي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أمْسَكَهُ بفِيهِ، فَسَقَى الكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ له فَغَفَرَ له قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، وإنَّ لنا في البَهائِمِ أجْرًا؟ فقالَ: نَعَمْ، في كُلِّ ذاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ) (البخاري، برقم: (6009). وعبرة في قصة المرأة التي أدخلت النار لأنها حبست هرة ولم تطعمها، أو تتركها تأكل من خشاش الأرض. فعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ رَسولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -قالَ: "عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ حَبَسَتْها حتَّى ماتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فيها النَّارَ قالَ: فقالَ: واللَّهُ أعْلَمُ: لا أنْتِ أطْعَمْتِها ولا سَقَيْتِها حِينَ حَبَسْتِيها، ولا أنْتِ أرْسَلْتِها، فأكَلَتْ مِن خَشاشِ الأرْضِ" (البخاري، برقم: (2365). وسنتناول المبحث وفق العناصر الآتية:

أولا: دلائل الإعجاز العلمي في تنظيف الأفنية:

نظافة البيئة المحيطة بالإنسان، والأفنية والطرقات، مظهرًا من مظاهر بناء الوقاية الصحية وصيانة البيئة؛ والامتداد إلى تنظيم الفضاء المشترك الذي تتشكل فيه صحة المجتمع وسلامته. كإجراء صحي استباقي يهدف إلى قطع الطريق أمام دورات حياة الكائنات الدقيقة الممرضة. كمنهج علمي معجز في مكافحة النواقل الوبائية وحماية الصحة العامة من خطر الأوبئة الفتاكة. ومنع أسباب التلوث والعدوى، وهو ما تؤكده القواعد الحديثة في الصحة العامة التي تجعل النظافة البيئية خط الدفاع الأول في الحد من انتشار الأمراض والأوبئة، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "إنَّ اللَّهَ طيِّبٌ يحبُّ الطَّيِّبَ، نظيفٌ يحبُّ النَّظافةَ، كريمٌ يحبُّ الكرمَ جوادٌ يحبُّ الجودَ فنظِّفوا أُراهُ قالَ أفنيتَكُم ولا تشبَّهوا باليَهودِ" (الترمذي، برقم: 2799). فنظافة المساكن ونظافة الشوارع من الهدي النبوي، قال- صلى الله عليه وسلم-: "ويُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ" (البخاري، برقم: 2767). كما حث النبي- صلى الله عليه وسلم- على إماطة الأذى عن الطريق وعدم التخلي في طريق الناس وظلهم، فقال: "عُرِضَتْ عَلَيَّ أعْمالُ أُمَّتي حَسَنُها وسَيِّئُها، فَوَجَدْتُ في مَحاسِنِ أعْمالِها الأذَى يُماطُ عَنِ الطَّرِيقِ، ووَجَدْتُ في مَساوِي أعْمالِها النُّخاعَةَ تَكُونُ في المَسْجِدِ، لا تُدْفَنُ" (مسلم، ، برقم: 553)، وقال - صلى الله عليه وسلم- أيضاً في الحديث الذي رواه انس بن مالك- رضي الله عنه-: "البُصاقُ في المسجِدِ خطيئةٌ وكفَّارتُها دَفْنُها وكفارتها دفنها" (النسائي، برقم: 723) ، وعن أبي هريرة- رضي الله عنه-: "أنَّ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قالَ: اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ قالوا: وَما اللَّعَّانَانِ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: الذي يَتَخَلَّى في طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ في ظِلِّهِمْ" (مسلم، بقم: 269). إن قطع الطرق الموصلة للكائنات الدقيقة إلى جسم الإنسان عامل رئيسي في الوقاية والحد من انتشار الأمراض والأوبئة، لذلك نجد نصوص الشريعة الإسلامية قد

حمت هذا الإنسان ووقَتْهُ من شرور وأخطار هذه الكائنات، ومن ذلك: لقد حرص الشارع على نظافة البيئة التي ستنعكس حتْماً على صحة الفرد والمجتمع مثل نظافة المساكن والأفنية (عبد الجواد الصاوي، مجلة الإعجاز العلمي، العدد الرابع، 1420هـ ، 1999م). فإن جراثيم الأمراض والأوبئة تنتقل بشكل رئيسي من خلال الطعام والهواء والماء، إلى الإنسان وذلكَ عن طريق اليد أو الآنية، و الأمر النبوي بتنظيف الأفنية وإماطة الأذى عن الطريق إجراء وقائي يقطع المسارات الرئيسة لانتقال الميكروبات والطفيليات إلى الإنسان، ويحدُّ من تلويث الهواء والماء والطعام، وهي أهم نوافذ العدوى. كمَا تَكشفُ هذه النصوص عن وعيٍ استباقي بإدارة المخاطر البيئية؛ ومن ثم فإن منع تلويثها للمرافق العامة يحفظ صحة الفرد والمجتمع ويقلل من انتشار أمراض معوية وفيروسية متعددة تنتقل عبر الأيدي والأواني والأطعمة الملوثة. وبذلكَ يظهر وجه الإعجاز العلمي في سبق الهدي النبوي إلى تأسيس ثقافة النظافة العامة باعتبارها جزءًا من الدين، وركنًا من أركان الوقاية البيئية والصحية.

ثانيا: دلائل الإعجاز العلمي في إماطة الأذى عن الطريق:

حماية البيئة من الملوثات وإزالة ما يؤذي المارة عن الطريق من دلائل الإعجاز النبوي لكيفية حماية الإنسان من أخطار التلوث، بوصفها عملًا نافعًا مباشر الأثر في أمن المجتمع ونظافته حيث اتسعت صور الأذى في الطرقات والفضاءات العامة، من المخلفات الصلبة والحادة إلى الملوثات الكيميائية التي أصبحت من أبرز سمات المدنية المعاصرة، وما تسببه من أخطار صحية وبيئية. ومن ثم يتجلى وجه الإعجاز في سبق التوجيه النبوي إلى تأسيس "ثقافة وقائية" تُغلق منافذ الضرر من بداياته، وتحوّل سلامة الطريق إلى عبادةٍ وسلوكٍ حضاريٍّ

دائم، قال- صلى الله عليه وسلم: "الإيمانُ بضعٌ وستون أو بِضعٌ وسبعون شعبةً؛ أفضلُها لا إله إلا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمانِ" (مسلم برقم: (35)، وقال صلى الله عليه وسلم: "في ابنِ آدمَ سِتونَ وثَلاثُمِائَةِ سُلامَى أوْ عَظْمٍ أوْ مَفْصِلٍ على كلِّ واحِدٍ في كلِّ يَوْمٍ صدقةٌ؛ كلُّ كَلِمَةٍ طَيْبَةٍ صدقةٌ، وعَوْنُ الرجلِ أَخَاهُ صدقةٌ؛ والشَّرْبَةُ مِنَ الماءِ يَسْقِيها صدقةٌ، وإماطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ" (مسلم، برقم: (1009). وفي حدث أبي برزة الأسلمي نضلة بن عبيد قال: "قُلتُ: يا نَبِيَّ اللهِ عَلِّمْنِي شيئًا أَنْتَفِعُ به، قالَ: اعْزِلِ الأذَى عن طَرِيقِ المُسْلِمِينَ" (مسلم، برقم: 2618). فمن هذه الأحاديث النبوية الشريفة يتضح لنا أن الإسلام كفل حسن استخدام الطريق ومنع الأذى والضرر عنه، ورغب وجعل إماطة الأذى بكل أشكاله المادية والمعنوية عن الطريق عبادة وفرض عين على كل مسلم، فالأذَى هنا يشمل كل ما يضر بالطريق ويشوه جماله ونظافته، أو يتسبب في وقوع حوادث الطرق أو الإرباك المروري، أو غيرها من الأضرار التي تلحق بالطريق ومستخدميه، فمثلاً إلقاءُ الزجاجات الفارغة والمخلفات من أوراق وغيرها في الطريق يعتبر نوعاً من الأذى، فقد أصبحت المواد الكيميائية، بوصفها من أبرز سمات المدنية الحديثة، مصدرًا متناميًا لتلوث البيئة وما يترتبُ عليه من مخاطر صحية؛ إذ عُرفَ إلى اليوم ما يزيد على مليوني مادة كيميائية، ويُكتشف سنويًا أكثر من ألف مادة جديدة عبر الصناعات الكيميائية، بينما يُتداول تجاريًا مئاتٌ منها دون توافر معرفة كافية بآثار معظمها على صحة الإنسان. وقد ارتبطت بوجود هذه المواد في البيئة قائمةٌ من الأمراض التي يُشتبه في علاقتها بالتلوث الكيميائي؛ فمن ذلك مشكلات الرئة وانتفاخها المرتبطة بتلوث الهواء، والتسمم بالرصاص الناتج عن الرصاص في الدهانات أو المضاف إلى البنزين، وتأثير أول أكسيد الكربون في أمراض القلب، وتلف الأعصاب الدائم المرتبط بالزئبق، فضلًا عن كيماويات عديدة يُحتمل اتصالها بالسرطان. وتُذكر أمثلة تطبيقية على هذه العلاقة؛ كارتباط نوع من سرطان الرئة بغبار الإسبستوس، وارتباط نوع من سرطان الكبد بالعمال الذين يتعرضون لمركب Vinyl chloride أثناء تحويله إلى Polyvinyl chloride المستخدم في صناعات بلاستيكية متعددة مثل الملابس وأغلفة الأطعمة والألعاب، والدهانات، وأغطية المقاعد، وغيرها. وعلى الرغم من اتساع قاعدة هذه المواد، فإن عددًا

محدودًا منها خضع للتقييم؛ إذ فُحص نحو 6000 مادة من حيث علاقتها بالسرطان، وثبت أن قرابة 1000 مادة تسبب أمراضًا في الحيوانات، بينما ثبتت السرطنة للإنسان لنحو 200 مادة فقط، وهو ما يبرز أن إدخال العالم الصناعي لعدد هائل من المركبات الكيميائية إلى البيئة قد أسهم في توليد أنماط تلوثٍ ذات أثر مباشر وغير مباشر يهدد صحة الإنسان (الهيئة العامة للبيئة .(2011) .المواد الكيميائية .مجلة بيئتنا) ولقد عني الإسلام عناية كبيرة بالبيئة والمحافظة عليها وعدم إفسادها، وكان له السبق في وضع القواعد والأسس السليمة التي تكفل له حسن استغلال البيئة والمحافظة عليها وصيانتها، وليس ثمة شك أن ما نعانيه اليوم من مشكلات وتدهور مطرد وخطير للبيئة سواء في مواردها أو طبقاتها الحامية، إن دل على شيء، فإنما يدل على أن البشرية لم تلتزم بتعاليم الإسلام القويمة في التعامل مع البيئة بل انطلقت تحت نزعة الرغبة في تحقيق مكاسب سريعة ومؤقتة على حساب موارد البيئة ورصيد الأجيال القادمة في استغلال البيئة استغلالاً جائراً مدمراً وهي قضية خطيرة جداً بدأنا نعاني من إرهاصات نتائجها الخطيرة المتمثلة في مشكلات بيئية لا طَاقةَ لنا على تحملها إذا ما تفاقمت ووصلت أوج خطورتها مثل مشكلة تدهور طبقة الأوزون، ومشكلة تزايد نسبة ثاني أكسيد الكربون، وتدهور البيئة الحيوية والتصحر، وتلوث البحار والمحيطات، جرف التربة وغيرها من المشكلات البيئية التي أصبحت سمة من سمات عصرنا الحاضر. وبعد أن ثبت سبق الإسلام وتعاليمه كل نظريات البيئة، فإن البشرية بحاجة إلى الأخذ مبادئ الإسلام في كل شيء وتدريسه في المناهج الدراسية في المدارس والجامعات، وفي وسائل الإعلام المختلفة لخلق أجيال جديدة قادرة على التعامل الصحيح مع بيئتها على هدي رب العالمين، والبشرية اليوم في حاجة إلى الالتزام بتعاليم الإسلام الحنيف في التخطيط وصناعة القرار، وتنمية موارد والبيئة، وصيانتها، ومنع الإفساد في الأرض لحمايتها من جميع الأضرار. فإماطة الأذى عن الطريق قاعدة شرعية جامعة تُحقق معنى الوقاية والتحصين في المجال العام، وتُجسّد التكامل بين الإيمان والسلوك؛ إذ تتحول إزالة أسباب الضرر إلى صدقةٍ تُسهم في حفظ الأرواح وتقليل الحوادث، وصيانة البيئة من التلوث والمشوهات التي

تُفسد جمال الطريق وتحمل المسؤولية العامة بوصفها عبادةً، ووسيلةً لحماية الإنسان والعمران من دوائر الضرر المتصاعدة.

ثالثا: دلائل الإعجاز العلمي في استزراع وحماية البيئة:

الهدي النبوي يحث على غرس وإحياء الأرض؛ إذ يحوِّل العمل الزراعي من مجرد منفعة مادية إلى قيمة تعبّدية ممتدة الأثر، كما دلّت عليه النصوص التي جعلت ما يُؤكل من الغرس والزرع صدقةً لصاحبه، وربطت الأجر بإحياء الموات، بل حضّت على الغرس حتى في أشد لحظات الاضطراب الكوني، قال- صلى الله عليه وسلم-: "ما مِن مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ منه طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ؛ إِلَّا كانَ له به صَدَقَةٌ" (البخاري برقم: 2320)، وقال- صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ أحيا أرضًا مَيّتَةً، فلَهُ فيها أجرٌ، وما أكَلَتِ العافِيَةُ منها فهوَ لَهُ صدقَةٌ " (الترمذي ، بقم: 2809 ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: 5974)، وقال- صلى الله عليه وسلم-: "ما مِن امْرِئٍ يُحْيِي أَرْضًا فيَشْرَبُ منها كَبِدٌ حَرَّى، أو يُصِيبُ منها عافيةٌ، إلا كُتِبَ له بها أَجْرًا" (المعجم الكبير للطبراني (23/ 397؛ السيوطي، الجامع الصغير برقم: (7981). وعَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: "أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَضَى أَنَّ الْأَرْضَ أَرْضُ اللَّهِ وَالْعِبَادَ عِبَادُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْيَا مَوَاتًا فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ" (أبو داود في سننه، برقم: 3076). وقال صلى الله عليه وسلم: "إنْ قامَتِ السَّاعةُ وبيَدِ أحَدِكُم فَسيلةٌ، فإنِ استَطاعَ ألَّا يقومَ حتى يَغرِسَها فلْيَفْعَلْ" (أحمد، برقم: 12981، وإسناده صحيح على شرط مسلم)، فسلامة الإنسان لا تنفصل عن سلامة منظومته الحيوية؛ فالغِطاءُ النباتي يسهم في توازن الهواء ودعم الدورة المائية وحماية التربة من التعرية، كما تُعدّ النظم البيئية خزّانًا للتنوع الوراثي والمواد ذات الفعالية الدوائية.

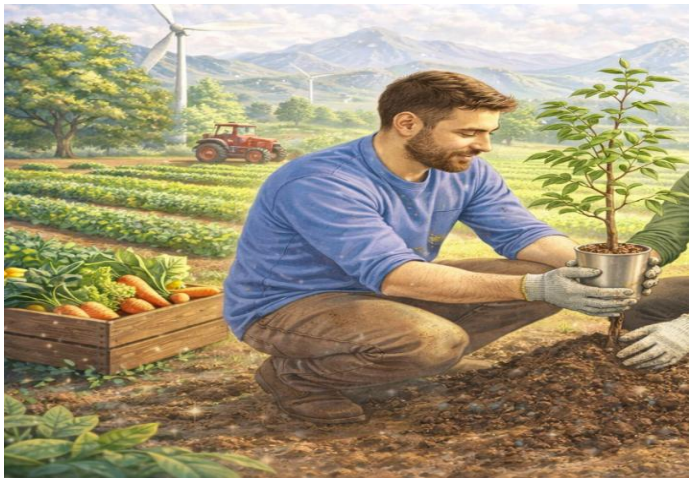

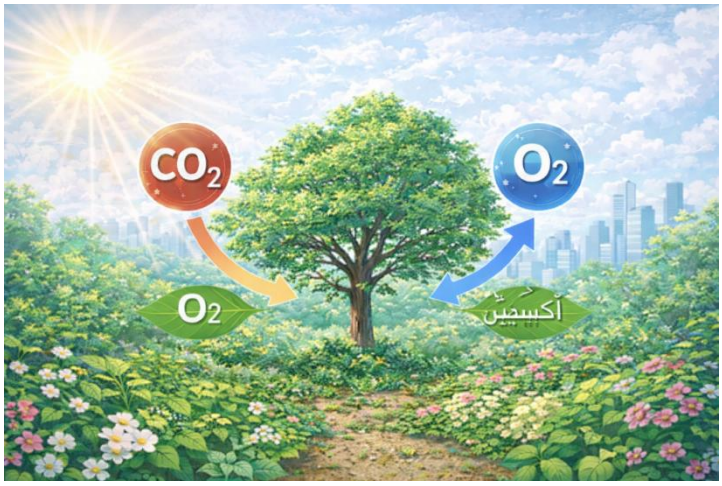

فالمنافع التي أودعها الله تعالى في البيئة الحيوية للإنسان عديدة وبالغة الأهمية إذ تلعب النباتات دوراً مهماً في إحداث التوازن في تركيبة الهواء خاصة من الأكسجين وثاني أكسيد الكربون والتوازن في الدورة الهيدرولوجية؛ من خلال عملية النتح، كما يمد الإنسان بمنافع كثيرة، لذا تعتبر مخزناً للسلالات والجينات الوراثية التي لا غنى عنها في استمرار تطوير وتهجين سلالات جديدة ذات إنتاجية عالية ومقاومة للآفات والأمراض النباتية والحيوانية، فمن المعروف أن المحاصيل الزراعية والحيوانات المُرَباة تفقد مع مرور الوقت جيناتها الوراثية الجدية، مما يؤثر في درجة إنتاجيتها، ومن ثم يقتضي الأمر تهجين واستنباط سلالات جديدة ذات إنتاجية عالية بصفة دورية وتعتمد هذه العلمية على ما تحمله أقارب "Relatives" هذه المحاصيل في البيئة الفطرية من جينات وراثية جيدة كما خلقها الله، سبحانه وتعالى، كما أن للبيئة الحيوية أهمية طبية؛ حيث تضم نباتاتها وحيواناتها الكثير من المواد أو العناصر الفعالة في صناعة الدواء، ومما يدعو للأسف أن البيئة الحيوية في تدهور مطرد نتيجة الاستغلال المفرط والجائر. وتشير ورقة عمل أعدها برنامج الأمم المتحدة للبيئة (اليوينب)، ومنظمة الفاو، والبنك الدولي، عام 1988 أن الغابات المدارية تختفي بمعدل 11 مليون هكتار سنويا، وأن نصف الغابات المدارية في العالم قد اختفى منذ بداية القرن الحالي، وأن هناك حاجة لاستثمار نحو 8 مليارات دولار لتنمية الغابات واحتواء الأثر الضار لإزالة الغابات. إن الاهتمام باستزراع النباتات وحمايتها لم يكن وليد العصر، ولا من محدثات الزمن، بل دعا إليه الإسلام منذ أربعة عشر قرناً، فقد كان الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم - يرغب أصحابه ويدعوهم إلى استزراع النباتات وحمايتها والمحافظة عليها، وفي هذه الأحاديث النبوية الشريفة دعوة صريحة لتربية السلوكيات البيئية الإيجابية نحو التخضير ونشر الخضرة في كل مكان، ومن ثمّ تتجلّى دلالة الإعجاز في سبق

الخطاب النبوي إلى ترسيخ سلوكيات التخضير وصون الموارد بما يحقق وقايةً صحيةً عامةً واستدامةً بيئيةً تعود بالنفع على الفرد والمجتمع، فالصحة الجيدة تعتمد على الهواء النقي، والمناخ المستقر، والبيئة الطبيعية المحفوظة، فَضْلاً عن توفر المياه النظيفة، والصرف الصحي، والنظافة الشخصية. كما تتطلبُ الحمايةَ من الإشعاع الضار، والإدارة غير الآمنة للمواد الكيميائية، وظروف العمل غير الصحية. ويمكن لبيئة صحية أن تمنع ما يقارب ربع عبء الأمراض العالمية، وثمت حاجة ماسة إلى اتخاذ إجراءات عاجلة لتغيير أساليب حياتنا، وعملنا، وإنتاجنا، واستهلاكنا، وحوكمتنا. ويُعد تعزيز الوقاية الأولية أمراً بالغ الأهمية، نظراً لما يمكن أن تُحققه من خفض كبير في عبء الأمراض (World Health Organization. Environmental health. https://www.who.int/health-topics/environmental-health#tab=tab_1)، ووفقًا لتقرير تقييم الألفية للأنظمة البيئية (Millennium Ecosystem Assessment) أن البيئة الحيوية تمنح الإنسان حزمةً مترابطة من خدمات النُّظم البيئية التي تقوم عليها الحياة والصحة والتنمية، وتنظيم جودة الهواء والمناخ عبر أدوار الغطاء النباتي في الدورات الحيوية، وتدعم تنظيم المياه وجودتها من خلال عمليات التنظيم المائي على مستوى الأحواض والتربة، كما تؤدي وظيفةً رئيسة في الحد من التعرية وحماية التربة، وتوفير الموارد الغذائية والمواد الخام. ويؤكد التقرير كذلك أن التنوع الحيوي يمثل مستودعًا للجينات الوراثية الضرورية لاستمرار تحسين المحاصيل والسلالات ومقاومة الآفات والأمراض، فضلًا عن أن النظم البيئية تُعد مصدرًا مهمًا لـ المواد ذات الفعالية الدوائية التي تدخل في صناعة العلاج، ومع ذلك يحذّر التقييم من أن نسبةً معتبرة من هذه الخدمات قد تعرضت للتدهور أو استُخدمت علَى نحو غير مستدام، بما يهدد استدامة المنافع التي تعتمدُ عليها رفاهية الإنسان وأمنه الصحي والغذائي (Millennium Ecosystem Assessment. 2005). ، والنصوصُ النبوية في الغرسِ وإحياء الأرض لا تقدم توجيهًا أخلاقيًا مجردًا، بل تؤسس لمنظور وقائي وتنموي يجعل حماية البيئة جزءًا من مسؤولية الإنسان وعبادته؛ فكل توسع في التشجير وإحياء الموات ينعكس على جودة الهواء والماء واستقرار التربة وتخفيفِ آثار التلوث، ويُسهم في خفضِ العبء الصحي المرتبط بتدهور البيئة كما تؤكد التقارير

الدولية. كما يعضد ذلك ما يقرره تقييم الألفية للأنظمة البيئية من أن رفاه الإنسان وصحته وأمنه الغذائي يقوم على خدمات النظم البيئية وتنظيمها، وأن تدهورها يهدد استدامة تلك المنافع. وبذلك تتضح وجاهة الربط بين الهدي النبوي وسياسات الصحة البيئية المعاصرة: فالتشريع يزرع الدافع القيمي والسلوكي، والعلم يبيّن آليات النفع والوقاية، لتتكامل الدلالتان في إبراز شمول الإسلام في عمارة الأرض وحفظ الحياة.

رابعا: دلائل الاعجاز العلمي في النهي عن التبول في الماء الراكد:

جاءت الشريعة الإسلامية بمنهجٍ وقائيٍّ محكمٍ في صيانة موارد الحياة العامة، وفي مقدمتها الماء؛ إذ جعله الله أصلًا للحياة وشرطًا للطهارة ومناطًا لكثير من العبادات. ومن هنا كان النهي النبوي عن تلويث الماء الراكد بالتبول أو الاغتسال فيه نهيًا يتجاوز مجرد الاستقذار إلى تأسيس قاعدةٍ في حفظ الصحة العامة ومنع انتقال الأذى والعدوى، مع مراعاة حاجات الناس للماء في الطهارة والاستعمال، فالنصوص النبوية حين خصّت "الماء الراكد بالذكر، وربطت بين التلوث وبين استعماله في الغُسل والوضوء والشرب، تُظهر سبقًا تشريعيًا لافتًا في ضبط السلوك الإنساني تجاه الموارد المشتركة، وتفتح مجال النظر في الحكمة العلمية الكامنة وراء التفريق بين الماء الجاري والراكد، لا سيما أن البيئات الراكدة تُعد أكثر قابلية لتراكم الملوثات وبقاء العوامل الممرِضة واستدامة دورات حياتها، فعن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم -قال: «لاَ يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي المَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لاَ يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ» (البخاري، برقم: 236)وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال : قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «لَا يَغْتَسِلْ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ وَهُوَ جُنُبٌ» فَقَالَ: كَيْفَ يَفْعَلُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: «يَتَنَاوَلُهُ تَنَاوُلًا»

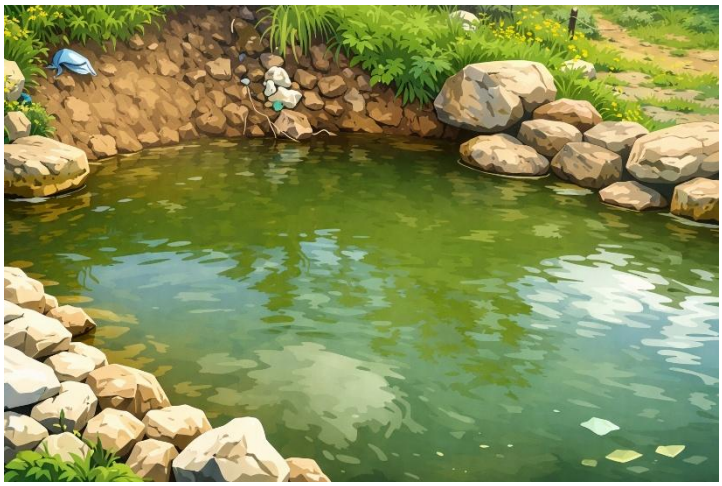

(مسلم، برقم: 283) ، وعن أبي هريرة، أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: " لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ مَنْهُ أَوْ يَشْرَبُ " البيهقي في السنن الكبرى ، برقم: 1137) ، فالنهي عن البول في الماء الدائم والحاجة إليه في الوضوء قائمة فيقاس عليها نفس الحرمة للبول في الماء الجاري، إن كان قليلاً والكراهية إن كان كثيرًا، والأولى ترك ذلك لما فيه من الاستقذار، وتغيير الماء الذي يحتاج له المسلم في الوضوء والاغتسال. ، فالبلهارسيا تنتشر في المياه الراكدة وتنتقل الى الانسان وتسبب له أمراضًا بليغة بسب تلوث المياه ببيض الطفيل.

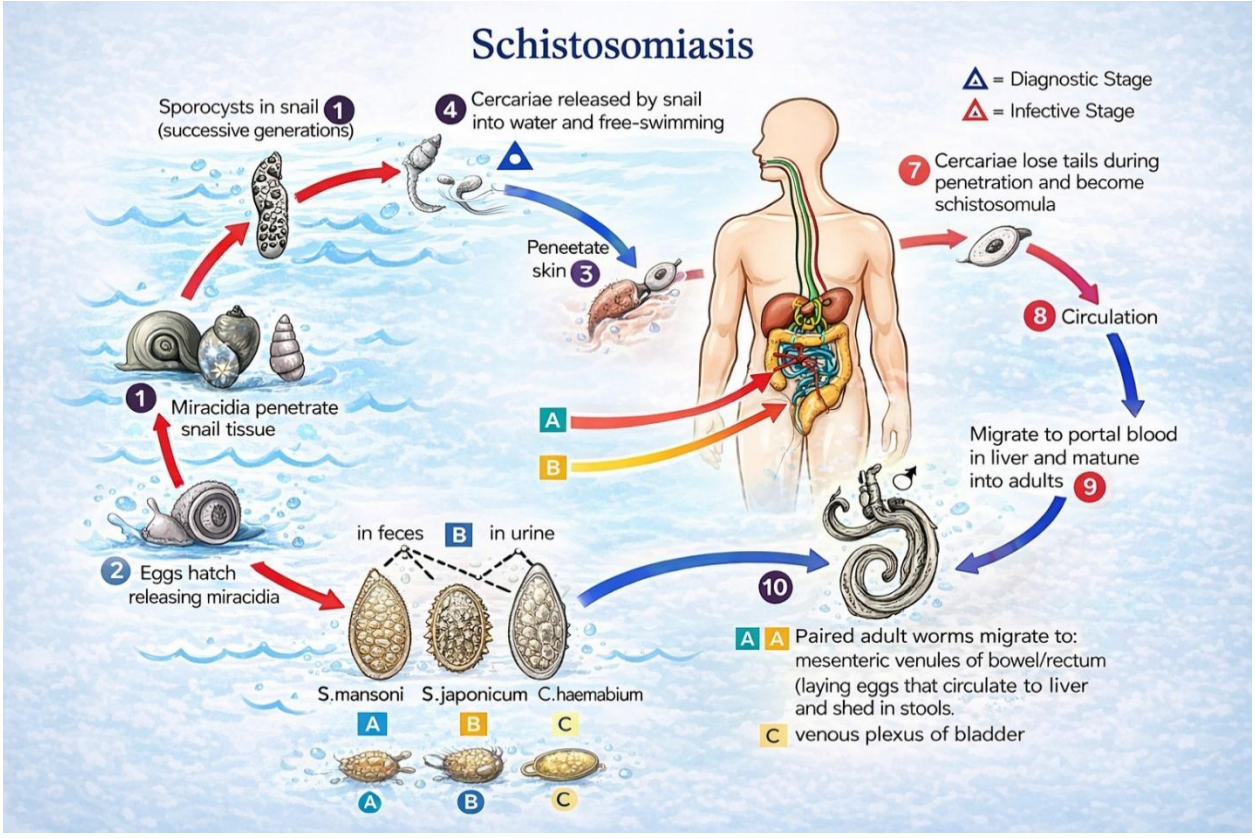

فإذا نظرنا لطريقة العدوى، والتي تحدث عن طريق المذنبات في الماء الراكد، فإن هذه المذنبات تنطلق من القواقع المصابة كما ذكرنا في النهار، وتسبح في المياه مثل الميراسيديوم للبحث عن العائل وتتخذ نفس طريقة حركة الميراسيديوم في المياه وتتجه للظل وراء الأعشاب وتلتصق بأسطحها، أو تنجذب الأخرى إلى العائل، منجذبة له بالحرارة والمواد الكيميائية المنبعثة من الجلد (،a.a arginine، dopamine، F.A) وقد وجد أن مذنب البلهارسيا اليابانية ينجذب عن غيره من الأنواع الأخرى بنفس الدرجة لجميع الأسطح في الماء في غير مفاضلة بين الأسطح الحية، أو جلد الطيور، أو الحيوان، أو الإنسان. فمن دلائل الإعجاز في الحديث النبوي، تخصيص الماء

الدائم بتحريم تلويثه والحذر منه، ثم إلحاق المحافظة على عموم الماء في حرمة تلويثه سواء الراكد أو الذي يجري قياسًا على ذلك. فإن الماء الجاري لا يناسب حياة القواقع ولا أطوار طفيل البلهارسيا الضعيفة، وكذلك فإن القواقع التي تقوم عليها حياة الطفيليات تنقطع في بعض مواسم العام. أما الماء الدائم فإنه ماء راكد، ولكن تتم فيه دورات الحياة للطفيليات لعدم انقطاعه فترات تهلك القواقع. لم يستثن الشرب من الماء الدائم بالإباحة، وإنما كان الاستثناء فقط لاستخدام هذا الماء في الوضوء والاغتسال. وفي استخدام الماء، فإنه يشترط أن يكون على ظاهر الطهارة، ولم يتيقن من البول أو البراز فيه، ومن ثم يستخدم مناولة وعلى حذر، في غير مباشرة لمجرى الماء، ومن غير انغماس فيه. فبالنسبة للشرب، فإن أمراضًا أخرى تنتقل عبر الماء العذب، وهي مجموعات من الأمراض الفيروسية (مثل التهاب الكبد الوبائي)، أو البكتيرية (مثل التيفود)، أو الطفيلية (مثل الدسونتاريا الأميبية)، وقد تنتقل هذه الأمراض بشرب الماء الملوث، وإن كان على ظاهر الطهارة، ولكنها لا تنتقل عن طريق الجلد. وهكذا نرى أنه في انغماس الإنسان في الماء تنجذب إليه هذه المذنبات من محيط الماء، كما أنه يفقد طبقة الدهن على الجلد التي تمثل وقاية ووسطًا يقتل المذنبات، وتتشرب طبقة الكيراتين بالماء، فيسهل على هذه المذنبات اختراق الجلد وإحداث الإصابة فيه، ولكن تناول الماء للاستخدام يدون الانغماس فيه فإن ما يعلق منها على الجلد ينساب الماء عليه فلا تلتصق بالجلد. وتجري الدراسات الآن على الوقاية الجلدية من الإصابة بالبلهارسيا، حيث يعتبر الجلد سطحًا طاردًا للماء بفضل طبقة الكيراتين، والمادة الدهنية التي تفرزها الغدد الدهنية على كافة أنحاء الجلد، والتي تكون مع الإفراز العرقي الحامضي، طبقة واقية حامضية ومع إزالة الطبقة الدهنية بالانغماس في الماء لفترات طويلة تفقد هذه الطبقة، وقد ثبت أن هذه الطبقة تمنع تكاثره في هذه المناطق، ولكن لا غنى لهم عن هذا الماء ، والعجيب أننا نجد أن التشريع الإسلامي يعنى بكيفية استخدام هذا الماء ، وليس بتمام تجنبه والابتعاد عنه، وهو ما يمثل وقاية من الإصابة .لقد كانت التعاليم الوقائية في الإسلام حاسمة في منع هذه الأمراض والتي تتمثل في عدم التبول في المياه الراكدة وعدم الاغتسال فيها وهو مالم يعرف إلا في القرن العشرين باستخدام أدق الأجهزة العلمية. فالنهي عن التبول في الماء

الراكد، والنهي عن الاغتسال فيه على وجه الانغماس، يمثلان توجيهًا نبويًا دقيقًا يحقق مقاصد الطهارة وحفظ النفس معًا؛ إذ يمنع تلويث موردٍ مشترك يحتاجه الناس للشرب والطهارة، ويغلق منافذ انتقال الأمراض المرتبطة بالمياه السطحية الراكدة. وقد بيّنت المعارف الطبية الحديثة أن بعض الطفيليات والجراثيم قد تجدُ في المياه الراكدة بيئةً أنسب للبقاء والانتشار، وأن التلوث البولي والبرازي يُسهم في استمرارِ سلاسل العدوى، بينما يقلُّ ذلك في المياه الجارية غالبًا لتجددها وضعف ملاءمتها لدوائر حياتية معينة. كما يظهرُ وجه الإعجاز في توازن التشريع؛ فلم يكلّف الناس باعتزال الماء عند الحاجة، لكنه وجَّه إلى طريقة استعمالٍ أكثر أمانًا؛ كالتناول دون الانغماس، مع تقرير أصلٍ أخلاقيٍّ عام هو صيانة الماء عن الأذى، وبذلك يتجلى سبق السنة إلى قواعد الصحة البيئية والوقاية من العدوى قبل أن تُصاغ في برامج الصحة العامة الحديثة.

خامسا: دلائل الإعجاز العلمي في منع التبول والتغوط في الأماكن العامة:

يُرسّخ الإسلام مبدأ صيانة المرافق المشتركة وحماية البيئة العامة من كل ما يُلحق بها أذىً أو يُفسدها، ويجعل ذلك جزءًا من الأخلاق الإيمانية والواجبات الاجتماعية؛ لأن الموارد والطرقات والمواضع التي يرتادها الناس ليست ملكًا فرديًا، بل حقٌّ عام تتعلق به مصالح العباد وصحتهم، ومن هذا المنطلق جاء التوجيه النبوي الصريح

بالنهي عن التبول والتغوط في الموارد وقارعة الطريق والظل، لأن هذه المواضع تمثل نقاط تماسٍّ مباشر بين الإنسان وبيئته اليومية، وأي تلويث لها يتحول سريعًا إلى مصدر أذى وعدوى ونزاع بين الناس. والتشنيع على مغبة الفعل يكشف عن بعدٍ حضاريٍّ في التشريع؛ إذ لا يقتصر على بيان الحكم، بل يصف أثر الفعل اجتماعيًا وأخلاقيًا، بما يحقق الردع ويحفظ كرامة الإنسان

وحقه في بيئة نظيفة وآمنة، روى الإمام مسلم وأبو داود أن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: "اتَّقوا الملاعِنَ الثَّلاثةَ، البَرازَ في الموارِدِ، وقارِعةِ الطَّريقِ، والظِّلِّ" (أبو داود ، برقم: 26، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم: 26) ، في هذا الحديث نص على حماية البيئة بنظافة مصادر المياه، ومنع التبول أو التغوط فيها، وكذلك الطرق العامة، والأماكن الظلية. إن الماء الدائم أقرب للتلوث وإصابة الإنسان بالأمراض ولذلك فقد حرم رسول الله -صلى الله عليه وسلم - تلويث عامة الموارد وجعلها من الملاعن التي تستوجب لعن الناس لفاعلها، وفي عصرنا عظمت أسباب التلوث حتى طالت ماء البحر، تأثر ملايين الأشخاص بسبب انتهاكات القوانين الخاصة بسلامة المياه، فملايين الأمريكيين يستخدمون يوميًّا مياهًا ملوثة في الشرب والاستحمام والطهي، ووصول الزرنيخ أعلى من المستوى المسموح به في قطاع كبير ، مما يعرض للإصابة بالسرطان، وقدمت الدراسات تحليلاً استرجاعياً للأثر السببي بموجب قانون مياه الشرب الآمنة الأمريكي لعام 2001 على وجود الزرنيخ في شبكات مياه الشرب العامة (Petrusevich, M., Austin, W., Zheng, J., Evans, M. F., Ma, L., & Olmstead, S. (2025) وهناك أدلة تشير إلى أن تلوث البيئة (Environmental Pollution) بدأ يأخذ شكلاً حرجاً يهدد الكائنات، فعلى سبيل المثال، للخسائر من تلوث البيئة قدّر مسؤول سعودي حجم الخسائر في الاقتصاد السعودي من تلوث البيئة بنحو 28 مليار دولار سنوياً، وقال إن الدولة والقطاع الخاص يبذلان جهوداً كبيرة للحفاظ على نظافة البيئة، وحث الرئيس العام للرئاسة العامة للأرصاد وحماية البيئة، رجال الأعمال على الاستثمار في مشاريع تدوير النفايات ذات المردود المالي الجيد والمجدية بيئياً (صحيفة الحياة السعودية، الصادرة السبت، 2004/01/16) . إن تلوث البيئة من المشكلات العسيرة التي تواجه البشرية اليوم، وهذه المشكلة ظهرت نتيجة لما صنعته أيدي الإنسان من تَلَفيات المصانع والسيارات ومحطات توليد الطاقة ومن غازات سامة ومخلفات ونفايات تسمم الجو والأنهار والمحيطات والتربة، كما أن الاتساع في التصنيع وميكنة الزراعة واستخدام الأسمدة والمبيدات الكيميائية زاد من تفاقم المشكلة، فأفسد الهواء الذي نتنفسه والماء الذي نشربه والتربة التي تنمو عليها النباتات، فيخسر الإنسان صحته وماله وخيرات الأرض والأنعام والحيوانات، ولذلك

أصبحت هذه المشكلة قضية عالمية تعقد لها المؤتمرات وتوضع القوانين والقيود للمحافظة على البيئة، بينما سبق الإسلام بالتحذير منها قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام في هذا الحديث المعجز بأبسط التعليمات وأدق العبارات. فالنهي النبوي عن التبول والتغوط في الأماكن العامة يمثل قاعدةً وقائيةً محكمة في الصحة البيئية قبل أن تُصاغ مفاهيم الصرف الصحي والصحة العامة بصورتها الحديثة؛ لأنه يقطع سلسلة التلوث من منبعها، ويحمي مصادر المياه من انتقال الممرضات، ويمنع تلوث المواضع الرطبة والظليلة التي تساعد على بقاء الجراثيم وتكاثرها، ويصون الطرق من الأذى الذي يسبب الإيذاء والحوادث ويشيع القذارة والنفور. إذ يقرر بأقصر عبارةٍ وأدقها مبدأ عدم الإضرار بالمجال العام، ويجعل المحافظة على نظافة البيئة سلوكًا تعبديًا ومسؤولية جماعية، بما يؤكد سبق التشريع الإسلامي إلى أصول حماية البيئة والوقاية من المهلكات العامة.

سادسا: دلائل الإعجاز العلمي في قتل الفواسق الخمس والمؤذيات العامة:

يُقرِّر الهدي النبوي أن حفظ النفس وصيانة العمران لا يقتصران على الطهارة والنظافة فحسب، بل يشملان كذلك إزالة مصادر الخطر المباشر التي تُهدِّد الإنسان في بدنه وأمنه وصحته العامة. ومن هنا جاءت رخصة قتل الفواسق الخمس في الحلّ والحرم، مع أن الأصل في الحرم تعظيم الحرمة والكف عن الإيذاء؛ مما يدل على أن مناط الحكم هو دفع الضرر العام وقطع أسباب الأذى والعدوى، ويكشف هذا التوجيه عن بُعدٍ وقائيٍّ مبكر؛ إذ إن هذه الدوابّ مما عُرف بتسببها في الأذى أو نقل الممرضات أو الإفساد في المساكن والطرقات والمرافق، فكان تشريع قتلها تأسيسًا لقاعدةٍ صحيّةٍ وأمنيةٍ تقوم على منع الخطر قبل وقوعه،

وتقديم السلامة العامة حيثما تعيّن ذلك، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مرفوعا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: "خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ، كُلُّهُنَّ فَاسِقٌ، يَقْتُلُهُنَّ فِي الحَرَمِ: الغُرَابُ، والحِدَأَةُ، والعَقْرَبُ، والفَأْرَةُ، والكَلْبُ العَقُورُ" (البخاري، برقم: (1829). وفي الصحيحين من رواية أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها وعن أبيها: "خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ كُلُّهَا فَاسِقٌ لا حَرَجَ علَى مَن قَتَلَهُنَّ: العَقْرَبُ، وَالْغُرَابُ، وَالْحِدَأَةُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْكَلْبُ العَقُورُ" (البخاري، برقم: (1828). وفي رواية أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- عند الإمام مسلم: "خَمْسٌ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الحِلِّ وَالْحَرَمِ: الحَيَّةُ، وَالْغُرَابُ الأَبْقَعُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْكَلْبُ العَقُورُ، وَالْحُدَيَّا" (مسلم، برقم: (1198)، ففي هذه الرواية القتل في الحل والحرم، وذكرت الحية بدلا من الفأرة، وإضافة الأبقع إلى الغراب، وهي المؤذيات "الغراب" الذي يفسد الثمار، و"الحدأة" التي تخطف الثياب والحلي، و"العقرب" التي تلسع، و"الفأرة" التي تثقب وتخرب، و"الكلب العقور" الذي يعتدي على الناس (تيسير العلام شرح عمدة الأحكام ، ص: 388)، فهذه الفواسق المؤذية جاز قتلها حتى في الحرم واتفق الفقهاء على جواز قتل المضر، ما سوى بني آدم فيدافعه مهما أمكن، واتفقوا على قتل ما في معنى هذه الفواسق لخروجها بالإيذاء والإفساد عن معظم الدواب، بل اشتمل الخبر على السباع الضارية والهوام القاتلة، والطير الذي هو من الهوام المستخبثة اللحم ومحرم الأكل بجمع الكل، فاعتبروه ورتبوا عليه الحكم. قال مالك: المعنى فيهن كونهن مؤذيات فكل مؤذ يجوز للمحرم قتله وما لا فلا، واختلف العلماء في المراد بالكلب العقور فقيل: هو الكلب المعروف. وقيل: كل ما يفترس، لأن كل مفترس من السباع يسمى كلباً عقوراً في اللغة. وأصل الفسق في كلام العرب الخروج، وسمي الرجل الفاسق: لخروجه عن أمر الله تعالى وطاعته، فسميت هذه فواسق لخروجها بالإيذاء والإفساد عن طريق معظم الدواب.

1- قتل الغراب:

الغراب الذي تعلّق به الحكم في النصوص هو غراب الجيف (كالأبقع والغداف)، لا غراب الزرع الذي يقتات الحبّ؛ لأن مناط الأذى في الأول مباشرة النجاسات والجيف والانتقال بينها وبين مساكن الناس وأطعمتهم. فاعتياده على التقاط الجيف ومخلفات الحيوان والقمامة يجعله وسيطًا محتملًا لنقل الملوثات إلى البيئة المحيطة، سواء عبر منقاره وأرجله وريشه أو عبر ما يسقطه من فضلاته، مما يفضي إلى تلوث المواضع العامة وأماكن إعداد الطعام وحفظه، ويزيد احتمالات انتشار الجراثيم والطفيليات في المحيط الإنساني. كما أن وجوده حول التجمعات السكنية والمزارع ومصادر المياه قد يتسبب في تلويث الموارد وإفساد بعض الأغذية المكشوفة، فضلًا عن دوره في إزعاج الناس وإحداث الأذى في الطرق والأسطح والأفنية. لذلك قُيِّد الحكم بالأنواع التي يظهر منها الأذى والافتراس أو التغذي على الجيف، بخلاف غراب الزرع الذي يغلب عليه أكل الحب ولا يتحققُ فيه هذا القدر من الضرر. زاد في روايةِ سعيد بن المسيب عن عائشة عند مسلم " الأبقع " وهو الذي في ظهره أو بطنه بياض، وقد اتفق العلماء على إخراج الغراب الصغير الذي يأكل الحب من ذلك ويقال له غراب الزرع ويقال له الزاغ، فبقي ما عداه من الغربان ملتحقا بالأبقع.

2. **قتل الْحِدَأَةُ :**

الحدأةُ طائرٌ جارحٌ من فصيلة الكواسر، تُسمّى: الحِدَأَة، الحِدَأ، وجمعها حِدَأ، وتَرِدُ في بعض الروايات بلفظ الحُدَيَّا، وتُعرف بجرأتها وسرعة انقضاضها، وغالبًا ما تُشاهد في جماعاتٍ قرب مكبات النفايات وأماكن نحر الحيوانات لأنها تتغذّى على الجيف ومخلفات الذبائح، وهذا يجعل وجودها مرتبطًا بمصادر التلوث والقاذورات، فضلًا عن أنها تفترس الطيور الصغيرة وتختطفها، فتُحدث أذًى مباشرًا في البيئات السكنية والزراعية، وتُسهم في إفساد بعض المواضع العامة ونشر النجاسات حيثما كثرت حول الموارد والمساكن.

3. **قتل العقرب:**

العَقْرَبُ من الفواسق المؤذيات التي أذن الشرع في قتلها؛ لما جُبلت عليه من الإيذاء، ولأنها من أكثر الدوابّ اقترابًا من مساكن الناس ومخالطتهم في فرشهم وثيابهم، فيقع خطرها بغتةً من غير إنذار. وهي حيوانٌ لَدّاغٌ ذو ذَنَبٍ ينتهي بإبرة سُمّية، يلسع دفاعًا أو عدوانًا عند الإحساس بالخطر، وقد يؤذي الإنسان لدغةً شديدة الألم تتفاوت آثارها بحسب نوع العقرب وكمية السم وموضع اللدغ وحالة المصاب، وقد تشتد الخطورة على الأطفال وكبار السن

وأصحاب الأمراض المزمنة. ومن خصائصها أنها تنشط غالبًا في الأجواء الحارة والجافة، وتختبئ نهارًا في الشقوق وتحت الحجارة والأخشاب وفي زوايا البيوت، ثم تخرج ليلًا بحثًا عن الغذاء، فتكون مظنة وقوعها في الطرقات والظلال ومواضع القمامة والحطب، وقد تندسّ في الملابس والأحذية والأغطية، مما يجعل مكافحتها وقتلها عند ظهورها إجراءً وقائيًا لحماية الأنفس ودفع الضرر العام. ولهذا جاءت النصوص بقتلها في الحلّ والحرم؛ لأن العلة قائمةٌ فيها وهي الإيذاء المتحقق، ولأن حفظ النفس من مقاصد الشريعة، ودرء الأذى مقدّمٌ على مراعاة حرمة ما لا يُقصد لذاته من الدواب المؤذية.

4. قتل الفأر:

جواز قتل الفأرة؛ لما فيها من الإيذاء والفساد، وقد ورد وصفها بـ«الفُوَيْسِقَة» في الحديث؛ لأنها تخرج عن مألوف الدواب في الإفساد والإضرار. والفأر جنسٌ تتعدد أنواعه؛ كالجرذ، وفأرة الغيط، وفأرة الإبل، وفأرة المسك، وغيرها، ويجتمع أكثرها في كونها تُتلِف الطعام وتُفسد الأمتعة وتُحدِث أذى مباشرًا في البيوت والمخازن؛ إذ تقرض الأكياس والملابس والأثاث والأسلاك، وقد تتسبب في الحرائق عند العبث بالتمديدات، كما تُلوِّث الأغذية والموارد بما تخلّفه من بول وروث، وتُهيّئ بيئةً لانتشار القاذورات والروائح الكريهة، فضلًا عمّا قد تحمله من مسببات مرضية بسبب ترددها على المزابل ومواقع النفايات. ومن ثمّ كان الترخيص بقتلها داخل الحرم وخارجه موافقًا لمقصد الشريعة في دفع الضرر العام وصيانة النفوس والأموال والبيئة من الفساد.

5. قتل الكلب العقور

الكلبُ العقور هو الذي غلب عليه العقرُ والافتراس؛ فيُهاجم الناس أو دوابَّهم، ويُحدِث إصاباتٍ بالغة قد تصل إلى التمزّق والنزف الشديد، وقد يُفضي إلى العاهات أو الوفاة، كما يترتب على عضَّه وخدشه خطرُ انتقال أمراضٍ مُعدية عبر اللعاب والدم، وفي مقدمتها داءُ الكَلَب (السُّعار) الذي يُعدّ من أخطر ما يُنقل بالعضّ إذا لم تُتدارك الحالة سريعًا، فضلًا عن التهابات الجروح الجرثومية وما قد ينشأ عنها من تسمم دموي. وإلى جانب ضرره المباشر على الأنفس، فإن العقور يعتدي على المواشي والطيور ويُفسد الزرع والممتلكات ويُثير الذعر ويقطع أمن الطريق، لذلك رُخِّص في قتله دفعًا لعدوانه وصيانةً للسلامة العامة؛ لأن العِلّة فيه هي تحقق الأذى الغالب لا مجرد كونه كلبًا. وقد ثبت اليوم علمياً أضرار هذه الحيوانات، وعرف الكثير من الأسرار في تسببها في نقل الأمراض الفيروسية والجرثومية، وانتشار الطواعين التي تسببها الفئران والقوارض، كما ثبت علمياً أن الكلب العقور ينقل داء الكَلَب الذي يؤدي إلى الموت، ولذلك ظهرت الحكمة الجلية الواضحة في قتلها والقضاء عليها، حتى ولو كان المسلم في الحرم، حيث يحرم عليه فعل كثير من المباحات. فقتل الفواسق الخمس يمثل مظهرًا من دلائل الإعجاز الوقائي في الشريعة؛ إذ يوازن بين حرمة المكان وتعظيمه وبين ضرورة دفع الأذى وصيانة الإنسان من المخاطر. فهذه الدوابّ تتصل غالبًا بأبواب الضرر العام: كإفساد الطعام والمتاع، وإثارة الفزع، وإيقاع الجراح والسموم، وإمكان نقل العدوى أو التسبب في إصابات قاتلة، ولذلك جاءت الرخصة الشرعية لتقطع أسباب الأذى من جذورها، وتؤكد أن مقاصد الشريعة تمتد إلى حماية الصحة العامة والأمن البيئي، وأن التشريعَ الإسلامي لا يكتفي بعلاج آثار الضرر، بل يضع قواعد عملية لمنع نشأته والحدّ من انتشاره في المجتمع.

سابعا: دلائل الإعجاز العلمي في غسل ولوغ الكلاب وخطورة مخالطته

دلائل الإعجاز العلمي في التشريع النبوي المتعلق بصيانة الصحة العامة والوقاية من العدوى، بغسل الإناء عند ولوغ الكلب سبع مرات إحداهن بالتراب، والنهي عن إدخال الكلاب البيوت إلا لحاجة معتبرة، تأسيسا لمنطقٍ وقائيٍّ دقيق يقطع طرق انتقال الملوثات البيولوجية المرتبطة بلعاب الكلاب وإفرازاتها وفضلاتها، ويحدّ من مخالطةٍ قد تفضي إلى انتقال أمراض خطرة وطفيليات دقيقة، بما ينسجم مع مقاصد الشريعة في حفظ النفس ودفع الضرر قبل وقوعه، ويكشف عن سبقٍ تشريعيٍّ في بناء سلوك صحي جماعي يحمي الأفراد والبيئة المنزلية والغذاء والأواني من مصادر التلوث، ، فعن أبي طلحة- رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قال: " لا تَدْخُلُ المَلائِكَةُ بَيْتًا فيه كَلْبٌ، ولا صُورَةُ تَماثِيلَ" (البخاري، برقم: (3225)، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "طَهُورُ إناءِ أحَدِكُمْ إذا ولَغَ فيه الكَلْبُ، أنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولاهُنَّ بالتُّرابِ" (مسلم، برقم: 279). وقال- صلى الله عليه وسلم: "إذا ولغَ الكَلبُ في إناءِ أحدِكُم، فليغسِلهُ سبعَ مرَّاتٍ، أولاهنَّ بالتُّرابِ" (النسائي، برقم: 337) ، وعن أبي هريرة- رضي الله عنه-: "إنَّ رَسولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم - قالَ: إذَا شَرِبَ الكَلْبُ في إنَاءِ أحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعًا" (البخاري برقم: 170) ، وقال- صلى الله عليه وسلم-: «طَهُورُ إنَاءِ أَحَدِكُمْ إذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ، أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولَاهُنَّ بِالتُّرَابِ» (مسلم، برقم: 279). وقال -صلى الله عليه وسلم -في الحديث الذي رواه أبو هريرة- رضي الله عنه-: (مَن اتَّخَذَ كَلْبًا إلَّا كَلْبَ ماشِيَةٍ، أوْ صَيْدٍ، أوْ زَرْعٍ، انْتَقَصَ مِن أجْرِهِ كُلَّ يَومٍ قِيراطٌ" قالَ الزُّهْرِيُّ: فَذُكِرَ لابْنِ عُمَرَ قَوْلُ أبِي هُرَيْرَةَ، فقالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أبا هُرَيْرَةَ كانَ صاحِبَ زَرْعٍ" (رواه مسلم، برقم: 1575)، وولوغ الكلب في الإناء إذا شرب بطرف لسانه، وأدخل لسانه في الإناء، حيث ينقل لعاب الكلب إلى الإناء مما يعرض الإنسان للإصابة بهذا المرض.

ويتوجب إراقة الإناء الذي ولغ فيه الكلب وغسله؛ لأنه صار نجسا، وتطهير الإناء يكون بغسله سبع مرات أولاهن بالتراب، ولا فرق بين الكلب المأذون في اقتنائه وغيره ولا بين كلب البدوي والحضري لعموم اللفظ (شرح النووي على مسلم، 3/ 184). فالكلاب؛ سباعٌ مدجنةٌ، تحمل في أبدانها الكثير من مسببات الأمراض من طفيليات وبكتيريا وفيروسات، وقد نهي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -عن إدخالها البيوت، إلى التي تحرس الماشية والزرع وكلاب صيد. فقد أكدت الكشوف الطبية أن لمس الكلاب والتعرض لفضلاتها أو لعابها يزيد من احتمال الإصابة بالعمى، وثبت علمياً أن الكلب ناقل لبعض الأمراض الخطرة؛ إذ تعيش في أمعائه دودة تدعى المكورة تخرج بيوضها مع برازه، وأكد الأطباء على ضرورة استعمال التراب في عملية غسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب؛ وذلك لأن فيروس الكلب دقيق ومتناه في الصغر مما يزيد من التصاقه به، ولعاب الكلب المحتوي على الفيروس يكون على هيئة شريط لعابي سائل؛ لذا فإنَّ التراب يمتص الميكروب بالالتصاق السطحي (مجموعة من العلماء الأطباء، الموسوعة العربية العالمية، ط2، الرياض، 1419هـ) ، وقد اكتشف الباحثون في عينة من التراب مضاداً حيوياً جديداً فعالاً ضد البكتيريا المقاومة للمضادات الحيوية المعروفة، يقضي على مجموعة واسعة من البكتيريا. ونشر هذا الاكتشاف في مجلة (سيل) الأمريكية العلمية، وشدد الباحثون على أن هذا الاكتشاف يُظهر من جديد أن البكتيريا الموجودة في التربة هي أفضل مصدر للمضادات الحيوية الجديدة (مجلة القبس، العدد (16085) ، 13/ مارس 2018م ، السنة (47). كما أن التراب يمتص اللعاب والفيروسات الموجودة فيه بقوة أكثر من إمرار الماء، أو اليد على جدار الإناء؛ وذلك بسبب الفرق في الضغط الحلولي بين لعاب الكلب وبين التراب؛ لذلك فإن للتراب خاصية قتل الجراثيم الضارة، ويزيل التراب البويضات والجراثيم؛ وذلك لأن ذرات التراب تندمج معها فتسهل إزالتها جميعاً (كمال المويل، 2005). ولقد أرشدنا النبي -صلى الله عليه وسلم -إلى التحكم في الحشرات والحيوانات الناقلة للعدوى ونهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم -عن مخالطة الكلاب لحملها الطفيليات والجراثيم الدقيقة التي تسبب للإنسان أخطاراً محققة كداء الكَلَب عدوى فيروسية حادّة ذات ميلٍ واضح لإصابة الجهاز العصبي؛ إذ ينتقل الفيروس عادةً عبر عضّة حيوانٍ مصاب

أو عبر تلوّث الجروح أو الأغشية المخاطية باللعاب المحتوي على الفيروس. وبعد حدوث التعرّض، قد ينتقل العامل الممرض على طول المسارات العصبية إلى الجهاز العصبي المركزي، مُفضيًا إلى التهاب دماغي قاتل عند ظهور الأعراض السريرية، وهو ما يفسّر تركيز الإرشادات الصحية على التقييم الفوري للتعرّض واتباع الوقاية بعد التعرّض (PEP) وفق البروتوكولات المعتمدة. (Centers for Disease Control and Prevention, 2008). وداء الكلب مرض خطير ينجم عن الإصابة بحمةٍ راشحة، هي حمة الكلَّب، وهذه الحمة لها انجذاب عصبي في حال دخولها للجسم، كما أن نهاية المرض مميتةٌ، وتحصل الإصابة عند الإنسان من عضِّ الحيوان المصاب، وذلك بدخول لعابه إلى الجرح، أي: حتى يصاب الإنسان يجب أن يلامس لعاب الكلب، أو توجد سحجة، أو جرح في الجلد، وفي هذه الحالة تنجذب الحمة إلى الأعصاب، وتنتشر في كل الجملة العصبية، مؤدية إلى التهاب دماغي مميت. وبالاتصال المباشر بالكلاب ينتقل داء المقوسات البشري والأمراض الجلدية فقد جُمع شعر 60 كلبًا من أماكن متفرقة في أيرلندا والمملكة المتحدة، وفُحص بحثًا عن بيض طفيل المقوسة الكلبية (Toxocara canis). وُجد بيض هذا الطفيل في شعر 25% من الكلاب؛ حيث جُمع 71 بيضة إجمالًا، منها 4.2% مخصبة و23.9% في طور التكوين. وبلغت أعلى كثافة للبيض في طور التكوين 180 بيضة لكل غرام من الشعر، و20 بيضة لكل غرام، وهي أعلى بكثير من الكثافة المُسجلة في عينات التربة. يُقترح أن الكلاب المصابة بـ Tcanis قد تنقل العدوى إلى البشر عن طريق الاتصال المباشر (Wolfe, A., & Wright, I. P. 2003) وتشير تقارير طبية بيطرية إلى أن مخالطة الكلاب بلمسها ومداعبتها والتعرّض لفضلاتها أو لعابها ترفع من خطر انتقال طفيليات معوية من نوع (Toxocara canis) إلى الإنسان، وهي طفيليات قد تُحدِث إصابات عينية خطيرة قد تنتهي بضعف البصر أو العمى. ولاحظ الدكتور إيان رايت، متخصص الطب البيطري في سومرسيت بعد فحص 60 كلباً أن ربع الحيوانات تحمل بيوض تلك الدودة في فرائها، حيث اكتشف وجود 180 بويضة في الغرام الواحد من شعرها وهي كمية أعلى بكثير مما هو موجود في عينات التربة كما حمل ربعها الآخر 71 بويضة تحتوي على أجنة نامية، وكانت ثلاث منها ناضجة تكفي لإصابة البشر (لمس الكلاب قد يؤدي

للعمى، 2009) ، والحمة المطلوبة الالتزام الصارم بالنظافة الشخصية، وفي مقدمتها غسل اليدين جيدًا بعد ملامسة الحيوانات وقبل تناول الطعام، وعسل الأواني التي ولغت منها الكلاب وغسلهن بالتراب ، وكلما قلَّ حجم الحمة إزداد الخطر، لازدياد إمكانية تعلقها بجدار الإناء، والتصاقها به، والغسل بالتراب أقوى من الغسل بالماء، لأن التراب يسحب اللعاب ويسحب معه الفيروسات الموجودة فيه بقوةٍ أكثر. فغسل الإناء عند ولوغ الكلب سبعًا مع إعمال التراب في إحدى الغسلات، يمثّل منظومةً وقائية متكاملة تجمع بين طهارة الظاهر وحماية الباطن من مخاطر العدوى. وهو ما تُقرره المعارف الطبية الحديثة من قابلية انتقال بعض العوامل الممرِضة والطفيليات عبر اللعاب والفضلات والتلوث غير المباشر، وأن الوقاية لا تتحقق بمجرد التنظيف الشكلي، بل تحتاج إلى إجراءاتٍ أشدّ فاعلية في إزالة الملوثات الدقيقة، وبذلك تتجلّى دلالة الإعجاز في أن هذا الهدي النبوي صاغ قاعدةً صحيةً محكمة قبل تشكّل مفاهيم علم الأوبئة والسلامة الحيوية بقرون، مؤكِّدًا شمول التشريع ورحمته بالإنسان في دنياه وأخراه. وعليه فالهدي النبوي أسّس لمنظومةٍ وقائية شاملة في حماية البيئة والأماكن العامة، تقوم على سدّ ذرائع التلوث ومنع الأذى قبل وقوعه، وربط السلوك البيئي بالإيمان والعبادة، فقد دلّت النصوص على أن نظافة الأفنية والمساكن ليست شأنًا شخصيًا فحسب، بل هي إجراءٌ صحيٌّ يحدّ من تراكم القاذورات وتكاثر مسببات العدوى، كما جعلت إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان وصدقةٍ يومية بما يرسّخ مفهوم السلامة العامة ويمنع المخاطر والحوادث ويصون جمال المجال العام. وأكدت السنة النبوية قيمة استزراع الأرض وإحياء الموات ورعاية الغرس بوصفه سلوكًا تنمويًا يحفظ الموارد ويعزز التوازن البيئي ويكرّس المسؤولية الاستخلافية. ومن جهة صيانة الموارد المائية، جاء النهي عن التبول في الماء الراكد وعن تلويث الموارد والطرقات والظلال تأصيلاً لمبدأ حماية مصادر المياه ومنع انتقال الأوبئة والطفيليات عبر الوسط المائي والبيئات الرطبة، بما أكدته قواعد الصحة العامة الحديثة. كما قررت نصوص قتل الفواسق والمؤذيات العامة مشروعية إزالة مصادر الضرر التي تهدد الإنسان في بدنه وغذائه وبيئته، وجاء الأمر بغسل الإناء من ولوغ الكلب بالتراب ضمن منظومة طهورية وقائية تحدّ من مخاطر التلوث والعدوى المرتبطة

بالمخالطة والإفرازات، وبذلك يظهر وجه الإعجاز العلمي في سبق هذه التوجيهات إلى بناء ثقافة صحة بيئية متكاملة تربط بين الطهارة والنظافة والسلامة العامة، وحفظ النفس والمجتمع والموارد.

الخاتمة وأهم النتائج

قدّم هذا الكتاب قراءةً علميةً معاصرة لعددٍ من دلائل الإعجاز العلمي في السنّة النبوية، من خلال تتبّع النصوص، وبيان دلائلها، ثم ربطها بما استقرّ من المعارف الطبية الحديثة ضمن ضوابط البحث العلمي في بناء منظومة وقائية شاملة تتناول نظافة البدن والملبس والبيئة، وآداب الطعام والشراب، وأسس التحصين من العدوى والتلوث، بما يحقق مقاصد الشريعة في حفظ النفس والعقل والنسل. كما أبرز الكتاب أن الإعجاز الصحي ثبت بالحقائق العلمية وتنوّعت دلائل الكتاب بين الطهارات وسنن الفطرة، والسلوك الغذائي والأغذية النافعة، والصحة النفسية والجسدية، والتحصن من المهلكات، وحماية الأماكن العامة والبيئة؛ لتؤكد جميعها أن الهدي النبوي يضع قواعدَ رفيعة للصحة العامة، ويربط الوقاية بالسلوك الإيماني، ويجعل العادات اليومية عباداتٍ واعية تحفظ الإنسان وتُحسّن جودة حياته، وتُبرز شمول الإسلام في رعاية الإنسان: جسدًا ونفسًا وسلوكًا وبيئةً. وقد اتضح عبر فصول الكتاب أن التوجيهات النبوية تتضمن حكمًا وقائية واضحة تُسهم في خفض عوامل المرض، وترشيد العادات اليومية، وصيانة الصحة العامة، وإقامة نمط عيشٍ متوازن وبذلك يثبت أن دلائل الإعجاز الصحي في السنّة تُعد شاهدًا على صدق الهدي النبوي وسبقه في بناء قواعد الوقاية والتحصين، وتؤكد أن الوحي قد وجّه الإنسان إلى ما يحفظ ضرورات حياته ويصون كرامته ويحقق مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، ضمن رؤية حضارية تُسهم في ترقية الوعي الصحي وتحسين جودة الحياة، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد:19]. وقد عالجت فصول الدراسة كيفية الاستفادة من الدلائل الصحية في السنّة النبوية بوصفها هديًا تشريعيًا وتربويًا، وتحويلها إلى إجراءات عملية في الوقاية والنظافة والتغذية والسلوك والصحة النفسية والبيئة، كقواعد وقاية، وبناء سلوك صحي مستدام يُغلق أبواب الضرر قبل وقوعه، ويربط الصحة بالمسؤولية الفردية والاجتماعية، وتعزيز

الوعي الصحي المعاصر من خلال هدي السنّة النبوية ، وقدم الكتاب حلولًا عملية لمعضلات الصحة العامة المعاصرة عبر سبعة مسارات تطبيقية كبرى: أولاها: مسار النظافة والطهارة (غسل اليدين، نظافة البدن والملبس، سنن الفطرة) بما يحدّ من انتقال الملوثات والعدوى؛ وثانيها: مسار سلامة الغذاء (تغطية الإناء وإيكاء السقاء، آداب الشرب والتنفس خارج الإناء، النهي عن النفخ، تجنب الإفراط) بما يقلّل مخاطر التلوث الغذائي واضطرابات الهضم؛ وثالثها : مسار التدخلات العلاجية المساندة بضوابطها (كالحجامة) ، ضمن السلامة الطبية؛ ورابعها: مسار الصحة النفسية والسلوكية (النوم المبكر، قيام الليل، تهذيب الغضب، الزواج، التلبينة) بما يعزز الاتزان النفسي ويحدّ من عوامل الإجهاد؛ وخامسها: مسار التحصين من المهلكات (تحريم الخمر، الميتة، لحم الخنزير، النهي عن الفواحش) بوصفه سياسة وقائية تمنع مصادر الضرر العضوي والاجتماعي قبل تفاقمها؛ وسادسها: مسار حماية الموارد والفضاءات العامة (تنظيف الأفنية، إماطة الأذى، منع التبول، والتغوط في الموارد والطرق والظل، النهي عن التبول في الماء الراكد) بما يقطع طرق انتقال الممرضات ويحفظ المياه والطرقات من التلوث؛ وسابعها: مسار إدارة المخاطر الحيوانية والآفات (قتل الفواسق، وغسل ولوغ الكلب) بما يرسخ قواعد السلامة من النواقل المؤذية. وتؤكد هذه المسارات مجتمعة أن دلائل الإعجاز العلمي في الهدي النبوي أعمال وقاية يومية تُقلِّص عبء المرض، وترفع جودة الحياة، وتقدّم إطارًا مرجعيًا أخلاقيًا للصحة العامة يوازن بين حق الفرد وحق المجتمع وأهم النتائج تتمثل بالآتي:

1. دلائل الإعجاز العلمي في الهدي النبوي في الطهارة والنظافة كأصلٍ وقائيٍّ شامل: دلّت عليها أحاديث الطهارات التعبدية وسنن الفطرة، بما يبني ثقافةً صحيةً تقلّل العدوى وتحمي الجلد والفم والمجاري التنفسية، وتنعكس إيجابًا على صحة الفرد والمجتمع؛ من خلال غسل اليدين في مواطنه، والعناية بسنن الفطرة، ونظافة الثياب والبدن، وتنظيف مواضع التعرّق والاتّساخ بوصفها ممارسةً وقائيةً ثابتة، مما يبرز عظمة الهدي النبوي وشموله.

2. دلائل الإعجاز العلمي في الهدي النبوي في السلوك الغذائي الذي يحقق السلامة ويمنع أسباب المرض: وذلك عبر توجيهاتٍ عملية مثل تغطية الإناء، والنهي عن الإسراف، وآداب الشرب والتنفس خارج الإناء، والنهي عن النفخ في الطعام والشراب؛ لتؤسس هذه الإرشادات لقواعد صحية تقلل التلوث، وتحد من الاضطرابات الهضمية، وتدعم جودة الغذاء وسلامته، وتحمي من مخاطر التلوث الغذائي ومشكلات الجهاز الهضمي.
3. دلائلُ الإعجاز العلمي في الهدي النبوي في الأغذية النافعة ذات الأبعاد الصحية والعلاجية: كالعسل، وزمزم، واللبن، وزيت الزيتون، والتمر والعجوة، والحبة السوداء، والسنا والسنوت، والقسط الهندي، واليقطين؛ بوصفها أبوابًا للتغذية والاستشفاء، مع ظهور دلائل بحثية علمية معاصرة تسند كثيرًا من جوانب نفعها ضمن ضوابط المنهج العلمي.
4. دلائل الإعجاز العلمي في الهدي النبوي في تعزيز الصحة النفسية والاتزان السلوكي: عبر النوم المبكر وتقليل السهر، وتهذيب الغضب وضبط الانفعال، وتفعيل أسباب السكينة، والتخفيف من الحزن بالتلبينة، وتنظيم النوم، وتقوية المعنى الإيماني بقيام الليل، والحث على الزواج بما يدعم الاستقرار النفسي ويخفف التوتر وآثاره الجسدية.
5. دلائل الإعجاز في الهدي النبوي في بعض الوسائل ذات الدلائل الصحية: مثل الحجامة، والإثمد، والصيام، وغيرها من التوجيهات التي تحمل أبعادًا وقائيةً وعلاجية، وتفتح مجالًا لفهم العلاقة بين الممارسة الشرعية وأثرها في وظائف الجسد ضمن إطارٍ علمي منضبط.
6. دلائل الإعجاز العلمي في الهدي النبوي في قطع أسباب الضرر وحفظ الضرورات من جذورها: إذ يُحفظ العقل والبدن والنسل بمنع السلوكيات المدمرة ومصادر الأذى، من خلال تحريم المهلكات العامة والمحرمات الغذائية؛ كالخمر، ولحم الخنزير، والميتة، والفواحش، بما يحقق وقايةً شاملة ويحد من الأوبئة والأمراض والانحرافات ذات الآثار الفردية والمجتمعية.

7. دلائل الإعجاز العلمي في الهدي النبوي في حماية البيئة والأماكن العامة بوصفه مقصدًا شرعيًا ذا أثرٍ صحيٍّ مباشر: من تنظيف الأفنية، وإماطة الأذى عن الطريق، ومنع تلويث المياه والطرق والظل، والنهي عن قضاء الحاجة في الموارد وقارعة الطريق والظل، والنهي عن تلويث الماء الراكد، وقتل المؤذيات، وغسل ولوغ الكلب؛ بما يرسّخ قواعد للصحة البيئية تقلل انتقال العدوى، وتمنع التلوث، وتصلح البيئة، وتحقق سلامة المجال العام.

المراجع والمصادر

أولا: المرجع العربية:

ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس. (د.ت.). الجرح والتعديل. (دار إحياء التراث العربي).

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد. (1979). النهاية في غريب الحديث والأثر تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي (المكتبة العلمية).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1422هـ). زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (دار الكتاب العربي).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1981). العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق: إرشاد الحق الأثري (إدارة العلوم الأثرية).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. (1998). تلخيص كتاب الموضوعات، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد (مكتبة الرشد).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. (د.ت.). غريب الحديث، تحقيق) عبد المعطي أمين القلعجي.

ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد. (1406هـ). تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، تحقيق: عبد الله بن سعاف اللحياني (دار حراء).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (1987). الفتاوى الكبرى. (دار الكتب العلمية).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (1991). درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد. (1988). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: علاء الدين علي بن بلبان، ترتيب؛ شعيب الأرنؤوط. (مؤسسة الرسالة).

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (1997). نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عصام الصبابطي، عماد السيد (دار الحديث).

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (2000). نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، تحقيق: نور الدين عتر (مطبعة الصباح).

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (د.ت.). فتح الباري شرح صحيح البخاري (دار المعرفة)

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد. (د.ت.). المحلى بالآثار. (دار الفكر).

ابن سينا، الحسين بن عبد الله، القانون في الطب، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي

ابن عابدين، محمد أمين بن عمر. (1992). رد المحتار على الدر المختار. (دار الفكر)

ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي. (1419هـ). البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (نشر خاص، القاهرة).

ابن عدي الجرجاني، أبو أحمد. (1997). الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض (دار الكتب العلمية)

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله. (1995). تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي (دار الفكر).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (1971). تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط (مكتبة دار البيان).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (2019). زاد المعاد في هدي خير العباد. (دار عطاءات العلم، دار ابن حزم).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (د.ت.). الطب النبوي (جزء من زاد المعاد، (دار الهلال).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1999). تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع).

أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى. (د.ت.). تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. (دار إحياء التراث العربي).

أبو الشيخ الأصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان. (1998). أخلاق النبي وآدابه، تحقيق: صالح بن محمد الونيان، (دار المسلم للنشر والتوزيع.

أبو عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني. (1991). الآحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة (دار الراية).

أبو عَوانة، يعقوب بن إسحاق الإسفراييني. (2014). المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم. الجامعة الإسلامية.

أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران. (2006). الطب النبوي، تحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي (دار ابن حزم).

أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران. (1998). معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي (دار الوطن للنشر).

أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى. (1984). مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد (دار المأمون للتراث).

الألباني، محمد ناصر الدين. (1985). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، إشراف: زهير الشاويش (المكتب الإسلامي).

الألباني، محمد ناصر الدين. (1997). صحيح الأدب المفرد (دار الصديق للنشر والتوزيع).

الألباني، محمد ناصر الدين. (2000). صحيح الترغيب والترهيب (مكتبة المعارف).

الألباني، محمد ناصر الدين. (د.ت.). السلسلة الصحيحة (المكتب الإسلامي).

الألباني، محمد ناصر الدين. (د.ت.). صحيح الجامع الصغير وزياداته (المكتب الإسلامي).

الألوسي، محمود بن عبد الله. (1415هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية (دار الكتب العلمية).

الأمير الصنعاني، محمد بن إسماعيل. (2011). التنوير شرح الجامع الصغير، تحقيق محمد إسحاق محمد إبراهيم (صنعاء: مكتبة دار السلام).

الأنطاكي، داوود. (د.ت.). تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة).

البسام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح (1426 هـ - 2006 م) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق (الأمارات: مكتبة الصحابة، - مكتبة التابعين، القاهرة، 10)

البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود (1420هـ)، تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط 1)

البغوي، الحسين بن مسعود. (1983). شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش (المكتب الإسلامي).

البيهقي، أحمد بن الحسين. (1408هـ). الأربعون الصغرى، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري (دار الكتاب العربي).

البيهقي، أحمد بن الحسين. (1988). الآداب للبيهقي، تحقيق: أبو عبد الله السعيد المندوه (مؤسسة الكتب الثقافية).

البيهقي، أحمد بن الحسين. (2003). السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية).

البيهقي، أحمد بن الحسين. (2003). شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد (مكتبة الرشد).

البيهقي، أحمد بن الحسين. (2017). المدخل إلى علم السنن، تخريج: محمد عوامة، (دار اليسر؛ دار المنهاج).

الترمذي، محمد بن عيسى. (1975). سنن الترمذي. (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي).

الجرجاني، علي بن محمد. (1983). التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، (دار الكتب العلمية).

الجوهري، إسماعيل بن حماد. (1987). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين).

الحاضري، شبيب بن علي (2000)، الخمر داء وليست بدواء (مكة المكرمة: هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط٢)

دياب، عبد الحميد، قرقوز، أحمد. (1982). مع الطب في القرآن الكريم (مؤسسة علوم القرآن، ط. 2).

الذهبي، محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون (القاهرة: مكتبة وهبة).

الذهبي، محمد بن أحمد. (د.ت.). التفسير والمفسرون. (مكتبة وهبة).

رومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان. (2003). دراسات في علوم القرآن (ط. 12).

روَيحة، أمين. (1973). التداوي بالأعشاب بطريقة علمية تشمل الطب الحديث والقديم. (دار القلم).

الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني. (د.ت.). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين (دار الهداية).

الزرقاني، محمد بن عبد الباقي. (2003). شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد (مكتبة الثقافة الدينية).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (2003). الدر المنثور في التفسير بالمأثور تحقيق: مركز هجر للبحوث (دار هجر).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (د.ت.). تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، (دار طيبة).

الشعراوي، محمد متولي. (د.ت.). تفسير الشعراوي: الخواطر (مطابع أخبار اليوم).

الشوكاني، محمد بن علي. (1993). نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي (دار الحديث).

الشوكاني، محمد بن علي. (د.ت.). إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أحمد عزو عناية (دار الكتاب العربي).

الشوكاني، محمد بن علي. (د.ت.). فتح القدير. (دار ابن كثير؛ دار الكلم الطيب).

الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي (1403)، التبصرة في أصول الفقه، تحقيق: محمد حسن هيتو (دمشق: دار الفكر، ط1)

الصاوي، عبد الجواد بن محمد. (1428هـ). التصور الطبي حول قاعدتي: لا ضرر ولا ضرار، والمشقة تجلب التيسير.

الصديقي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته (بيروت: (دار الكتب العلمية - الطبعة: الثانية، 1415 هـ)

الصفدي (ابن طرخان)، علي بن عبد الكريم. (مخطوطة). الأحكام النبوية في الصناعة الطبية.

الطبراني، سليمان بن أحمد. (1985). المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير (المكتب الإسلامي؛ دار عمار).

الطبراني، سليمان بن أحمد. (د.ت.). المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني (دار الحرمين).

الطبراني، سليمان بن أحمد. (د.ت.). المعجم الكبير. (مكتبة ابن تيمية).

الطبري، محمد بن جرير. (2000). جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر (مؤسسة الرسالة).

الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة. (1415هـ). شرح مشكل الآثار تحقيق: شعيب الأرنؤوط (مؤسسة الرسالة).

عبد الصمد، محمد كامل. (1997). الإعجاز العلمي في الإسلام (دار المصرية اللبنانية).

العيني، محمود بن أحمد بن موسى. (1999). شرح سنن أبي داود، تحقيق: خالد بن إبراهيم المصري (مكتبة الرشد)

العيني، محمود بن أحمد بن موسى. (د.ت.). عمدة القاري شرح صحيح البخاري. (دار إحياء التراث العربي).

الغزالي، محمد بن محمد. (د.ت.). إحياء علوم الدين. (دار المعرفة).

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (1418 هـ) محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود (بيروت: (دار الكتب العلمية، ط1)

القاسمي، محمد جمال الدين. (1418هـ). محاسن التأويل، تحقق: محمد باسل عيون السود، تحقيق (بيروت: دار الكتب العلمية).

القرطبي، محمد بن أحمد. (1964). الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية).

الكرماني، محمد بن يوسف. (1981). الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري. (دار إحياء التراث العربي).

اللوح، عبد السلام حمدان (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (غزة : آفاق للطبع والنشر والتوزيع، ط 2)

الماوردي، علي بن محمد. (د.ت.). تفسير الماوردي. (دار الكتب العلمية).

المجددي، محمد عميم الإحسان، (1424هـ - 2003م)، التعريفات الفقهية (دار الكتب العلمية، ط 1)

المطيري، عبد المحسن زبن، & الطواري، طارق محمد. (2008). النوم في الكتاب والسنة وأوجه الإعجاز العلمي في النوم الشرعي. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، 23 (72).

المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف. (1988). التيسير بشرح الجامع الصغير. (مكتبة الإمام الشافعي).

المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف. (د.ت.). فيض القدير شرح الجامع الصغير (المكتبة التجارية الكبرى).

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي. (1968). الترغيب والترهيب ضبط وتعليق: مصطفى محمد عمارة (مكتبة مصطفى البابي الحلبي).

النسفي، عبد الله بن أحمد. (1998). تفسير النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي (دار الكلم الطيب).

النسيمي، محمود ناظم. (1991). الطب النبوي والعلم الحديث (ط. 3، ج. 3).

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى، المجموع شرح المهذب (دار الفكر)

النووي، يحيى بن شرف. (1392هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم. (دار إحياء التراث العربي).

الهَيْثمي، علي بن أبي بكر. (1994). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد تحقيق: حسام الدين القدسي (مكتبة القدسي).

باشا، حسان شمسي. (1992). الأسودان: التمر والماء. (دار المنارة.

باشا، حسان شمسي. (د.ت.). أسرار الحبة السوداء تتجلى في الطب الحديث. مجلة الإعجاز العلمي، (19).

باشا، حسان شمسي. (د.ت.). الختان وقاية وتوفير.

البرشة، محمود. (1996). الغضب وأثره السيئ على البدن. صدى الإيمان، (12).

الخياط، أحمد حمدي. (1380هـ). الطب الوقائي والاجتماعي (دمشق).

الدقر، محمد نزار. (2013). عليكم بالسنا والسنوت.

الدقر، محمد نزار. (د.ت.). الإعجاز الطبي والدوائي.

الراوي، إبراهيم. (1966). استشارات طبية في ضوء الإسلام. حضارة الإسلام، (4).

الراوي، إبراهيم. (1966). النهي عن الشرب قائماً. حضارة الإسلام، (2).

الراوي، إبراهيم. (1966). موقف الإسلام من الإصابة السرطانية. حضارة الإسلام، (18).

سالم، ماهر. (د.ت.). تداعي الجسد عند الإصابة بالمرض باختصار.

سراج ولي. (د.ت.). اضطرابات النوم. (مركز طب وبحوث النوم/جامعة الملك عبد العزيز).

القضاة، عبد الحميد. (د.ت.). تفوق الطب الوقائي في الإسلام. (عمّان).

مسعود، عبد الله عبد الرزاق. (1982). السواك والعناية بالأسنان.

ثانيا: المراجع الإنجليزية:

Wolfe, A., & Wright, I. P. (2003). Human toxocariasis and direct contact with dogs. Veterinary Record, 152(14), 419–422. https://bvajournals.onlinelibrary.wiley.com/doi/abs/10.1136/vr.152.14.419?utm_source=chatgpt.com

Centers for Disease Control and Prevention. (2008, May 7). Human rabies prevention—United States, 2008: Recommendations of the Advisory Committee on Immunization Practices. MMWR Recommendations and Reports (Early Release).

Petrusevich, M., Austin, W., Zheng, J., Evans, M. F., Ma, L., & Olmstead, S. (2025). Impacts of the SDWA Arsenic Rule on arsenic occurrence in U.S. drinking water. Environmental Science & Technology, 59(41), 21790–21800. https://doi.org/10.1021/acs.est.5c05873

World Health Organization. Environmental health. https://www.who.int/health-topics/environmental-health#tab=tab_1

Millennium Ecosystem Assessment. (2005). Ecosystems and human well-being: Synthesis. Washington, DC: World Resources Institute. Retrieved February 5, 2026, from https://www.millenniumassessment.org/documents/document.356.aspx.pdf

Abbas, M., Gururani, M. A., Ali, A., Bajwa, S., Hassan, R., Batool, S. W., Imam, M., & Wei, D. (2024). Antimicrobial properties and therapeutic potential of bioactive compounds in *Nigella sativa*: A review. *Molecules, 29*(20), 4914. https://doi.org/10.3390/molecules29204914

Abd Kadir, E., Sulaiman, S. A., Yahya, N. K., & Othman, N. H. (2013). Inhibitory effects of Tualang honey on experimental breast cancer in rats: A preliminary study. *Asian Pacific Journal of Cancer Prevention, 14*(4), 2249–2254. https://doi.org/10.7314/apjcp.2013.14.4.2249

AbuMweis, S. S., Jew, S., & Ames, N. P. (2010). β-glucan from barley and its lipid-lowering capacity: A meta-analysis of randomized, controlled trials. *European Journal of Clinical Nutrition, 64*(12), 1472–1480. https://doi.org/10.1038/ejcn.2010.178

Ali, B. H., & Blunden, G. (2003). Pharmacological and toxicological properties of *Nigella sativa*. *Phytotherapy Research, 17*(4), 299–305.

Al-Kaff, A., Al-Rajhi, A., Tabbara, K., & El-Yazigi, A. (1993). Kohl—The traditional eyeliner: Use and analysis. *[Journal details as provided]*. https://pubmed.ncbi.nlm.nih.gov/17587986/

Almasaudi, S. (2021). The antibacterial activities of honey. *Saudi Journal of Biological Sciences, 28*(4), 2188–2196. https://doi.org/10.1016/j.sjbs.2020.10.017

Almasaudi, S. B. (2021). The antibacterial activities of honey. *Saudi Journal of Biological Sciences, 28*(4), 2188–2196. https://doi.org/10.1016/j.sjbs.2020.10.017

Al-'Attas, A. A. M., El-Shaer, N. S., Mohamed, G. A., Ibrahim, S. R. M., & Esmat, A. (2015). Anti-inflammatory sesquiterpenes from *Costus speciosus* rhizomes. *Journal of Ethnopharmacology, 176*, 365–374. https://doi.org/10.1016/j.jep.2015.11.026

Brandhorst, S., et al. (2015). A periodic diet that mimics fasting promotes multi-system regeneration and enhanced cognitive performance. *Cell Metabolism*.

Caili, F., et al. (2006). A review on pharmacological activities and utilization technologies of pumpkin. *Plant Foods for Human Nutrition, 61*(2), 73–80.

Centers for Disease Control and Prevention. (2004). Purine-rich foods, dairy and protein intake, and the risk of gout in men. *The New England Journal of Medicine, 350*(11), 1093–1103. https://doi.org/10.1056/NEJMoa035700

Choi, H. K., Atkinson, K., Karlson, E. W., Willett, W., & Curhan, G. (2004). Purine-rich foods, dairy and protein intake, and the risk of gout in men. *The New England Journal of Medicine, 350*(11), 1093–1103. https://doi.org/10.1056/NEJMoa035700

Cianciosi, D., Forbes-Hernández, T. Y., Afrin, S., Gasparrini, M., Reboredo-Rodriguez, P., Manna, P. P., Zhang, J., Lamas, L. B., Florez, S. M., Toyos, P. A., Quiles, J. L., Giampieri, F., & Battino, M. (2018). Phenolic compounds in honey and their associated health benefits: A review. *Molecules, 23*(9), 2322. https://doi.org/10.3390/molecules23092322

de Groot, T., et al. (2021). Antifungal activity of (medical-grade) honey formulations against *Candida* spp. *Journal of Fungi, 7*(1). https://doi.org/10.3390/jof7010050

Díaz-Obregón, D., et al. (2004). Preclinical studies of *Cucurbita maxima* as a traditional intestinal antiparasitic. *Revista de Gastroenterología del Perú, 24*, 323–327.

Fukuda, A., Usui, M., Masui, C., & Tamura, Y. (2019). Quantitative analysis of houseflies-mediated food contamination with bacteria. *Food Safety (Tokyo), 7*(1), 11–14. https://doi.org/10.14252/foodsafetyfscj.2018013

Garofoli, F., et al. (2023). Anti-inflammatory and anti-allergic properties of colostrum and human milk. *Nutrients, 15*(19), 4249. https://doi.org/10.3390/nu15194249

Gossell-Williams, M., et al. (2008). Pumpkin seed oil improves plasma lipid profile and cardiovascular outcomes. *Phytotherapy Research, 22*(7), 873–877.

Hunaydi, Z. F. O., et al. (2023). Clinical effects, uses and applications of miswak (*Salvadora persica*) on oral health over the last three decades: A scoping review of literature. *JUMMEC* (Special Issue). https://jummec.um.edu.my/index.php/jummec/article/view/43918/15667

International Agency for Research on Cancer. (2016, June 15). *IARC Monographs evaluate drinking coffee, maté, and very hot beverages* (Press Release No. 244).

Kafas, P., & Stavrianos, C. (2008). Thermal burn of palate caused by microwave heated cheese-pie: A case report. *Cases Journal, 1*, 191. https://doi.org/10.1186/1757-1626-1-191

Krieger, J., & Higgins, D. L. (2002). Housing and health: Time again for public health action. *American Journal of Public Health, 92*(5), 758–768. https://pmc.ncbi.nlm.nih.gov/articles/PMC1447157/

Kwakman, P. H. S., te Velde, A. A., de Boer, L., Speijer, D., & Vandenbroucke-Grauls, C. M. J. E. (2011). Two major medicinal honeys have different mechanisms of bactericidal activity. *PLOS ONE, 6*(3), e17709. https://doi.org/10.1371/journal.pone.0017709

Landvatter, J. D., Uchino, B. N., Smith, T. W., & Bosch, J. A. (2022). Partner's perceived social support influences their spouse's inflammation: An actor–partner analysis. *International Journal of Environmental Research and Public Health, 19*(2), 799. https://doi.org/10.3390/ijerph19020799

Majdalawieh, A. F., & Fayyad, M. W. (2015). Immunomodulatory and anti-inflammatory action of *Nigella sativa* and thymoquinone: A comprehensive review. *International Immunopharmacology, 28*(1), 295–304. https://doi.org/10.1016/j.intimp.2015.06.023

Marlett, J. A., Li, B. U. K., Patrow, C. J., & Bass, P. (1987). Comparative laxation of psyllium with and without senna in an ambulatory constipated population. *The American Journal of Gastroenterology, 82*(4), 333–337. https://pubmed.ncbi.nlm.nih.gov/3565338/

Moussa, A., Noureddine, D., Saad, A., Abdelmelek, M., & (آخرون/كما ورد). (2012). Antifungal activity of four honeys of different types from Algeria against pathogenic yeast: *Candida albicans* and *Rhodotorula* sp. *Asian Pacific Journal of Tropical Biomedicine*. https://doi.org/10.1016/S2221-1691(12)60096-3

Owings, M., Uddin, S., & Williams, S. (2013). *Trends in circumcision for male newborns in U.S. hospitals: 1979–2010 (Health E-Stats).* National Center for Health Statistics.

Parisi, A. V., Turnbull, D. J., Downs, N., & Smith, D. (2012). Dosimetric investigation of the solar erythemal UV radiation protection provided by beards and moustaches. *Radiation Protection Dosimetry*. https://doi.org/10.1093/rpd/ncr418

Safaet. (2025). Amelioration of hepatic injury through oxidative stress management employing methanolic extract of Crepe-ginger (*Cheilocostus speciosus* (J. Koenig) C. Specht) flower (Version 1) [Preprint]. *Research Square*. https://doi.org/10.21203/rs.3.rs-6182508/v1

Salomi, M. J., Nair, S. C., & Panikkar, K. R. (1991). Inhibitory effects of *Nigella sativa* and saffron (*Crocus sativus*) on chemical carcinogenesis in mice. *Nutrition and Cancer, 16*(1), 67–72. https://doi.org/10.1080/01635589109514142

Teff, K. L., & Engelman, K. (1996). Palatability and dietary restraint: Effect on cephalic phase insulin release in women. *Physiology & Behavior, 60*(2), 567–573. https://doi.org/10.1016/S0031-9384(96)80033-3

The Nobel Assembly at Karolinska Institutet. (2016). *The Nobel Prize in Physiology or Medicine 2016: Yoshinori Ohsumi*.

Tocantins, L. M. (1940). Probable mechanism of the “physiologic” hypoprothrombinemia of the newborn. *American Journal of Diseases of Children, 59*(5), 1054–1056. https://doi.org/10.1001/archpedi.1940.01990160126007

Varady, K. A., & Hellerstein, M. K. (2007). Alternate-day fasting and chronic disease prevention: A review. *The American Journal of Clinical Nutrition, 86*(1), 7–13.

Vijayalakshmi, S., Ranjitha, J., Devi Rajeswari, V., & Bhagiyalakshmi, M. (2013). Pharmacological profile of *Cassia occidentalis* L—A review. *International Journal of Pharmacy and Pharmaceutical Sciences, 5*(3), 29–33.

Williams, L. B., & Haydel, S. E. (2010). Evaluation of the medicinal use of clay minerals as antibacterial agents. *International Geology Review, 52*(7–8), 745–770. https://doi.org/10.1080/00206811003679737

Wiswell, T. E. (1990). More on risks of circumcision. *Pediatrics, 85*(1), 136–137. https://doi.org/10.1542/peds.85.1.136

Wong, C. W., Kwok, C. S., Narain, A., Gulati, M., Mihalidou, A. S., Wu, P., Alasnag, M., Myint, P. K., & Mamas, M. A. (2018). Marital status and risk of cardiovascular diseases: A systematic review and meta-analysis. *Heart, 104*(23), 1937–1948. https://doi.org/10.1136/heartjnl-2018-313005

World Health Organization. (2007). *New data on male circumcision and HIV prevention: Policy and programme implications.* World Health Organization. https://www.who.int/publications/i/item/9789241595988

World Health Organization. (2009). *WHO guidelines on hand hygiene in health care (WHO/IER/PSP/2009/01).* https://www.who.int/publications/i/item/9789241597906

World Health Organization. (2018). *Global status report on alcohol and health.* World Health Organization.

Zou, X., & Liu, H. (2025). Cardiovascular, metabolic and endocrine, cancer, mortality, derma, and other outcomes of olive oil and oleic acid: An umbrella review. *Food Science & Nutrition, 13*(10), e71115. https://doi.org/10.1002/fsn3.71115

Mosquito Shield. (2023, November 6). How do I prevent mosquito breeding in stagnant water? *Mosquito Shield – Backyard Protection.* Retrieved from https://moshield.com/how-do-i-prevent-mosquito-breeding-in-stagnant-water/

Sanitary-net.com, Asking Expert: Can bacteria pass through toilet paper? Retrieved from https://www.sanitary-net.com/global/asking_expert/02.html

Cleveland Clinic. (2022). Colostrum: What is it, benefits & what to expect. Retrieved from https://my.clevelandclinic.org/health/body/22434-colostrum

Mayo Clinic Staff. (2024). Anger management: 10 tips to tame your temper. *Mayo Clinic.* Retrieved from https://www.mayoclinic.org/healthy-lifestyle/adult-health/in-depth/anger-management/art-20045434

Mayo Clinic Staff. (2025, May 3). Sweating and body odor: Diagnosis & treatment. *Mayo Clinic.* Retrieved from https://www.mayoclinic.org/diseases-conditions/sweating-and-body-odor/diagnosis-treatment/drc-20353898

Centers for Disease Control and Prevention. (2024, February 16). About handwashing. Retrieved from https://www.cdc.gov/clean-hands/about/index.html

Food and Agriculture Organization of the United Nations. (n.d.). Milk composition. *Gateway to dairy production and products.* Retrieved from https://www.fao.org/dairy-production-products/products/milk-composition/en

International Agency for Research on Cancer. (2016, June 15). IARC Monographs evaluate drinking coffee, maté, and very hot beverages (Press Release No. 244).

ثالثا: مو اقع الإنترنت:

إسلام أون لاين، التمر بين الدين والعلم.

https://islamonline.net/archive

أمين، سلوى عبد الله. اللبن بين العلم والدين .إسلام أون لاين

https://islamonline.net/archive

الحدّاد، عبد الحفيظ. النوم آية من آيات الله .الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة .

https://www.iijazforum.org/sample-page

الصاوي، عبد الجواد، الطب الوقائي والكائنات الدقيقة (1).

https://www.dr-sawi.net

الصاوي، عبد الجواد. (2015، 25 يناير) .من أوجه الإعجاز العلمي في الصيام .موقع الدكتور عبد الجواد الصاوي

https://www.dr-sawi.net/

هلال، رمضان مصري، الحبة السوداء .(Nigella sativa) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة – جمعية السبيل الاجتماعية الخيرية

https://www.alsubeel.org/index.php/news/93-nigella-sativa.html

الدقر، محمد نزار. (2013، 24 فبراير). عليكم بالسنا والسنوت .المدونة

https://draldaker.wordpress.com/2013/02/24/

ميداد. (2007، 8 نوفمبر). الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

https://midad.com/article/197782/

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بحوث الحبة السوداء.

https://www.eajaz.org/

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. (2004). أبحاث المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدولة الإمارات.

https://www.eajaz.org/

الجزيرة نت – مدونات. (2019، 18 أبريل). في لبن الإبل أسرار عظيمة وإعجاز إلهي بديع.

https://www.aljazeera.net/blogs/2019/4/18/

اليوم السابع. (2015، 23 مايو). دراسة ألمانية: مياه زمزم لها خواص علاجية.

https://www.youm7.com/story/2015/5/23/

الختان وقاية وتوفير.

https://al-forqan.net

الجوير، محمد أحمد. (2007، 8 نوفمبر) .أثر الصيام على الإنسان .مداد.

https://midad.com/article/200326

الهيئة العامة للبيئة .(2011) .المواد الكيميائية .مجلة بيئتنا،

https://www.beatona.net/ar/knowledge-hub/article/content-40504?utm_source=chatgpt.com

هذا الكتاب

«المعجزات الصحية في السنة النبوية: دلائل علمية معاصرة» يأتي لوصف رحلة علمية معرفية شيّقة تربط بين نور الهدي النبوي والعلم الحديث، من خلال عرضٍ منهجي لأبرز دلائل الإعجاز الصحية الواردة في السنّة النبوية، وبيان ما تحمله من حكمٍ وقائية وعلاجية ثبتت فائدتها بتجارب علمية معاصرة. يقدّم فيه المؤلفان الدكتور/ صالح بن عبد القوي السناني، والدكتور/ عبد الوهاب مهيوب عامر، مادّةً علمية مبسطة بأسلوب قريب من القارئ، تجمع بين قوة الدليل الشرعي وجمال العرض، وتفتح أمام القارئ نافذةً لفهم السنّة بوصفها منهج حياة للإنسان بدلالة الهدي النبوي وتقدّم البحث العلمي الحديث. ويمتاز الكتاب بأنه لا يكتفي بسرد النصوص، بل يصوغها في إطارٍ معرفي يهدف إلى تعزيز الوعي الصحي، وترسيخ الثقة بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، وتقديم فائدة عملية لكل قارئ يبحث عن نمط حياة أكثر توازناً وطمأنينة، ليكون الكتاب مرجعاً ممتعاً ونافعاً يجمع بين الإيمان والمعرفة وبين التراث والبرهان العلمي.

e ISBN 978-629-99491-5-2

9 786299 949152

أكاديمية البيان للتعليم القرآني
ALBAYAN ACADEMY FOR QURANIC EDUCATION
+601111008036
albayan.aqe@gmail.com
albayanaqe.org
@manasahbayan
@albayanaqe
Malaysia